أحكام صنعة الكلام

في فنون النثر ومذاهبه في المشرق والأندلس

لذي الوزارتين
أبي القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي الأشبيلي

حققه وقدم له
الدكتور محمد رضوان الداية

عالم الكتب

دراسات أندلسية
١٣

إحكام صنعة الكلام

في فنون النثر ومذاهبه في المشرق والأندلس

لذي الوزارتين
أبي القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي الأشبيلي

حققه وقدم له
الدكتور محمد رضوان الداية
أستاذ الأدب الأندلسي والمغربي بجامعة دمشق

عالم الكتب

حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الثانية
١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

إحكام صنعة الكلام

فنون النثر ومذاهبه في المشرق والأندلس

بسم الله الرحمن الرحيم

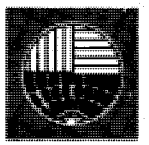

بيروت - المزرعة بناية الايمان - الطابق الاول - ص.ب. ٨٧٢٣
تلفون : ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - برقياً : نابعلبكي - تلكس : ٢٣٣٩٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة الطّبعة الثّانية

١ ـ عُرفت رسالة « إحكام صنعة الكلام » في الأندلس في عصر مؤلّفها ، وفي الأعصر التالية كما نتبيَّن من خلال كتب التّراجم التي تحدثت عن المؤلّف ، ومن بعض الكتب الأخرى كرحلة أبي البقاء البلوي « تاج المفرق بتحلية علماء المشرق » .

وقد أدّى إلى هذه المعرفة أمران :

أ . مكانةُ أسرة بني عبد الغفور الكلاعيّين ، وفيهم أبو القاسم محمد بن عبد الغفور صاحب هذا الكتاب الثمين .

ب . طبيعة رسالة إحكام صنعة الكلام ، فهو كتاب أدب ونقد على درجة من الأهميّة ، وفيه فصول تضعه في جملة كتب (أدب الكتّاب) وما يخصّ صنعة الكتابة ذات المَكانة والأثر .

ونجد في رحلة البلوي خبراً عن إقامته في تلمسان ، في طريقه من الأندلس إلى المشرق لأداء فريضة الحج ، ولقائه « الشيخ الفقيه العالم أبا العباس النّقارسي » سنة ٧٣٦ ، وأن أبا البقاء خالد البلوي صاحب الرحلة قرأ على النقارسي بعض مؤلفاته وملخّصاته ، وفي جملة ما قَرأ « جميع تأليفه في الأدب الذي لخّص فيه

رسالة إحكام صنعة الكلام من إنشاء الوزير الكاتب أبي عبد الله[1] بن عبد الغفور » . وهذا يعني أن الكتاب كان ما يزال منشوراً معروفاً مستفاداً منه بعد مرور نحو قرنين من الزّمان على وفاة مؤلفه .

فإذا ما وصلنا إلى القرن الحادي عشر الهجري ، وطالعنا ترجمة صاحب إحكام صنعة الكلام في كتاب نفح الطيب للمقرّي ، الذي فرغ من تأليفه سنة ١٠٣٧ لم نجد في ترجمته ثمة أية إشارة إلى كتابه المذكور ، واكتفى المقري بنقل ما سجّله الفتح بن خاقان . ومعنى ذلك أن تلمسان نفسها نسيت هذا الكتاب ، وأهملته في زوايا المكتبات .

ولا أعرف أحداً أشار إلى هذا الكتاب في الزّمن التالي للمقّري أو أفاد منه إلى أن دخل العصر الحديث ؛ حين عادت الإشارة إليه ، في كتاب « تعريف القدماء بأبي العلاء » الذي صدر في القاهرة سنة ١٣٦٣ هـ (١٩٤٤ م) . فقد نشرت نصوصٌ من رسالة (إحكام صنعة الكلام) نقلها أبو القاسم بن عبد الغَفُور من بعض كُتب المعرّي ، عن نسخة ـ لا نعلم إلى اليوم ثانية لها ـ في مكتبة الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب رحمه الله . ورجع الدكتور إحسان عبّاس إلى مصورة الكتاب (ومنها نسخة في دار الكتب المصرية) وجعلها في جملة مصادره المعتمدة في كتاب تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين) ونبّه إلى مكانة الكتاب وأهميّته .

٢ ـ ورجعت إلى مصورة مخطوطة « إحكام صنعة الكلام » في دار الكتب بالقاهرة في جملة ما رجعتُ إليه لوضع خطة بحث مقنعة ، لتسجيل موضوع الرسالة الجامعية الأخيرة عن « النقد الأدبي في الأندلس » . وكان لا بدّ من قراءة المخطوطة

---

(١) كذا فيه كنيته ، والمعروف في كتب التراجم جميعاً أنه أبو القاسم محمّد . ويكنى من يسمّى محمداً بأبي عبد الله ، فلعل له كنية أخرى ، أو هو وهم وسهو .

على عُسرها ، ثم انتهى أمر العناية بالكتاب إلى تحقيقه ونشره . وأسهم إخراج الكتاب في تقديم مادّة جيدة لدارسي الأدب الأندلسي عامة ، ودارسي النقد الأدبي خاصّة ولقي الاهتمام المُناسب . وأفردت للكتاب فقرة مطولة في رسالتي التي طبعت بعنوان : « تاريخ النقد الأدبي في الأندلس »[1] .

وقد أتاحَ لي الأستاذ الصّديق الدكتور إحسان عبّاس فرصة طباعة الكتاب وقْتَها بإشرافه ، متفضّلاً ، في بيروت ، وأضاف إلى ذلك مُلاحظات أثبتها في آخر الكتاب زيادة في العِناية والرّعاية . ولا بدّ لي ، وأنا أُعيد النظر في الكتاب وأُعدّه للطبعة الثانية من تسجيل الشُّكر الذي لا ينقضي بانقضاء زمانه . ولقد أفادَني ـ فيما رَعى ونوَّه ونَبّه ـ مَنهجاً أسلكه مع طلبة العلم الراغبين فيه الساعين إليه ؛ جَزاه الله تعالى خير الجَزاء ، وأدامه علماً من أعلام الفكر والرَّأي والعلم ، وخدمة التراث وحفظه . وقد أفدتُ ـ في أثناء مراجعة الكتاب وإعداده الثاني ـ من ملاحظاته القيّمة في المتن والحواشي .

وكان « إحكام صَنعة الكلام » أوّل كتابٍ أُخرجه ؛ ولقد اجتهدت آنذاك في توفية العمل حقّه ، بالجهد الممكن ، والأدوات المتاحة ، فجاءت الطبعة الأُولى منه حاملة سِمات حماسة الشَّباب ، وخلاصة جهده ، وثمرة متابعته . ثم دارت عجلة الأيَّام ، وظهر من التراث الأندلسي والمشرقي عدد كبير من كتب الأدب ودواوين الشعر وكتب التاريخ وغيرها ؛ ثم إنه اجتمعت لي بطاقات كثيرة تخصّ كتاب (إحكام صنعة الكلام) هذا . ودونت على نسختي الخاصة منه ملاحظات كثيرة اجتمعت مع الزَّمن ، ومن طول الممارسة والمُدَارسة .

ومع زيادة العناية بالتراث الأندلسي ، والعودة إلى موضوعات الأدب والنقد

---

(١) الطبعة الثانية منه في مؤسسة الرسالة .

والتّاريخ في الأندلس تكرّر الطلب لإعادة طبع الكتاب وإخراجه إلى النّاس مرّةً أخرى ، فصحّ العزم على ذٰلك ، ورجعتُ إلى الكتاب ، وأعدتُ النظر فيما صنعته قديماً جملةً وتفصيلاً ، وأفدت من الكتب والدراسات التي ظهرت في الأعوام العشرين الماضية ، وهيأته ـ ثانية ـ على الوجه الذي يراه القارىء الكريم بين يديه .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمَةُ الطَّبعة الأولى

كتاب إحكام صنعة الكلام للوزير الأندلسي أبي القاسم محمد بن عبد الغفور الكَلاعي الإشبيلي ، من الكتب المهمّة التي بقيت على عوادي الزَّمن التي اجتاحت الآثار الأندلسيّة ، وأتت على كثير منها بالضياع والتّبديد . وترجع أهميّته ـ في الدرجة الأُولى ـ إلى أنه يبحث في أمور نقديّة وبلاغيّة ، على قلّة ما بين أيدينا من الكتب والرّسائل في هٰذِه الموضوعات .

وضَع المؤلّفُ كتابه لدراسة النثر وفنونه ، وبحث ضروب الكلام وأنواعه ، قال : « وإنّما خصصتُ المنثور لأنَّهُ الأصلُ الذي أَمِن العلماءُ ـ لامتزاجه بطبائعهم ـ ذهاب اسمه فأغفلوه ، وضمن الفصحاءُ ـ لغلبته على أذهانهم ـ بقاءَ وسمه فأهملوه ، ولم يُحكِمُوا قوانينه ، ولا حصَرُوا أفانينه » [إحكام صنعة الكلام : الورقة ٤/ب] . ولكنّ المؤلف كان يستطرد إلى أمور تتعلّقُ بالشعر ، ويَغتنمُ الفرصة للحديث عن المتنبي وتفضيله ، والدفاع عنه ، والإشارة إلى كتابه فيه الذي سَمّاه : (الانتصار لأبي الطيّب) .

وسمّى المؤلف كتابه (رسالة إحكام صنعة الكلام) إشارة إلى أنه في موضوع النثر . وقد وَرَدَ اسمُ الكتاب في عبارة له عارضة ، فبعد أن ذكر رأياً استحسنه قال :

« وهذا حسَنٌ يجبُ أن يمتثله مَنْ أرادَ إحكامَ صنعة الكلام » [الورقة ١٦/ب] .

ويمكن أن نلخّص أهمية هذا الكتاب في أربعة أمور :

١) في الكتاب آراء مختلفة في كثير من أمور النَّقد والبلاغة ، وبعض هذه الآراء خاصّ بالمؤلف ، ومن استنباطه واختراعه . ولقد قدّم المؤلف عدداً من المُصطلحات في أثناء دراسته تطوّر الأساليب النَّثرية بالإضافة إلى تنبهه المبكر إلى اختلاف تلك الأساليب ، وتطوّرها ، وتقديمه سمات مميّزة لكل واحد من تلك الأساليب .

٢) وفي الكتاب إشارات إلى ما يعضد فكرة شعور الأندلسيّين بتفوقهم وتقدّمهم ، بله مجاراتهم المشارقة ومُشاركتهم إيّاهم في جوانب الحضارة والثقافة . ومما أورده في مجال المقارنة بين الأندلسيّين والمشارقة [الورقة ١٢/أ]: «وأمّا ما ذكرته من انحراف أهل الأندلس فقولٌ ليس بالصَّحيح ، وكلامٌ يطيرُ مع الرّيح ، وإنّهم لأهل إتقان وخطّ ، وفهم وضبط . . . » .

٣) وفيه إشارات إلى عدد من الكتب المشرقية التي كانت متداولة ـ في الأندلس ـ في أيّامه ، وثبتٌ بكتب المعرّي والثعالبي التي وصلت إليهم .

٤) ونتبيّن من الكتاب بوضوح أثر المعرّي وظهور أُسلوبه في النثر الفَنّي ، ونتبيّن ظهور طريقة المتنبّي في الشعر على غيرهما من المشارقة في أساليب الأندلسيّين وطرائقهم .

أسرته :

ينتمي المؤلف إلى أسرة عريقة مشهورة ، من أُسر العلم والأدب والثقافة ، والإدارة والوزارة في إشبيلية بالأندلس . جَدُّه هو ذو الوزارتين أبو القاسم محمد بن

عبد الغفور[1] صاحب المعتمد بن عَبّاد : صحبه قبل إمارته وإبّانها ، وتوفي في عنفوان شبابه ، وذكر المؤلف أبياتاً لجدّه قالها في صديقه المعتمد ، وكان قبلُ يُلَقَّبُ بالظافر ، وهما من المطيّر الملغز به (المُعَمّى)

ظَفِرتَ بالأعداءِ يا ظافِرُ ونلتَ مَجْداً نُورُهُ باهِرُ
فمنك للباغي وللمبتغي عَضْبٌ جُرازٌ ونَدىً غامِرُ

فراجعه المعتمِدُ ، وقد فكّ المعمى ، فقال :

لي هِمَّةٌ تُدرِكُ مَطْلُوبَها ما فاتها ساعٍ ولا طائرُ
يفديكَ بالنَّفْس فتىً وُدُّهُ فيكَ مَدى أيّامِه ناضِرُ

ثم عَلَّق المؤلف على البيت الأخير بقوله : « فما فَداه ، ولا دفعت عنه محتوم قَدَرٍ يداه ، بل توفي قبل ذهابِ ملكه وانتثار سلكه » . [الورقة : ٥٩/أ] .

وقال ابن بَسّام في (الذخيرة) فيهما : « وكانا قبل تمكّن السلطان رضيعي لبان أمهما الكأس ، وفرسي رِهان ميدانهما الأنس ، فلمّا أفضى الأمرُ إليه ، وأديرتْ رحى التدبير عليه أرعاهُ تلاعَهُ ، وعصب له خلافه وإجماعه . . » . ووصف ابن بسام شعره بالملاحة والسلاسة ، واختارَ له من شعره[2] .

وأبوه : هو الوزير الكاتب أبو محمد عبد الغفور ، ذكره ابنُ بسَّام فقال فيه : « وأبو محمد هذا في وقتنا عارِضٌ إذا همع استوشلت البحار ، ونجمٌ إذا طلع تضاءلت الشموسُ والأقمار . . . وهو على منهج قويم سابق لا يمسح وجهه إلّا بهيادب الغيوم ، وصارِمٌ لا يُحَلّى غمده إلّا بأفراد النُّجوم . وكان نشأ بين يدي أبيه من

---

(١) ترجم له في المغرب في حُلى المغرب ١ : ٢٤١ . والذّخيرة ق ٢ ج ٢ ص : ٣٢٣

٢) الذخيرة ق ٢ ج ٢ ص : ٣٢٤ .

دولة المعتمد بحيث يفيءُ عليه ظلالُها ، ويتشوّفُ إليه قبولُها وإقبالُها . فانشقّت تلك السَّماء قبل أن ينوبُ منابَ سلفِهِ في سُرُجِها ، ويحلّ بيت شرفه من أبرُجِها . ولله هو ! فلئن كانَ نَبا به الأوان ، وضاق عنه السلطان ، فلقد نهضَ به جَنانٌ يتدفّقُ بالغرائب ، ولسانٌ يفري شبا النوائب ، وإحسانٌ يملأ أقاصي المشارق والمغارب » .

وأثنى عليه الأدباء والمؤرّخون الذين ترجموا له إلاّ الفتح بن خاقان[1] ، فقد نالَ منه ، وتهجّم عليه . ونقل ابن سعيد عن الحجاري قوله في أبي محمد عبد الغفور « قطع الله لسان الفتح صاحب القلائد ، فإنه شَرَع في ذمّه بما ليس هو من أهله . والله ما أبصرتْ عيني شخصاً أحقّ بفضلٍ منه » ومع هذا فإنّ ابن خاقان يقول بعد انتقاصه « أستغفر الله ، إلاّ نظمه فربّما ألَمَّ فيه بالبدائع إلماما ، وملك لها زِماماً ، وصَرَّف فيها لساناً صَناعا ، وأسالَ لها بالمحاسِنِ تلاعا . وله سَلَفٌ نبيهٌ علقه في حبالة الديوان ، وألحقه بأعيان الأوان . وربّما نَدرت في نثره ألفاظ سهلة الغَرض ، مستنبلة الفَرض ، سلسة القِياد ، وارية الزّناد » . فهو يتحدث عن مجده التلّيد ، ويميل إلى إنصافه في شعره ونثره .

وإذا كانت فرصة الرعاية في دولة المعتمد قد فاتته لوفاة والده فإن الأيّام قادَتْهُ إلى الكتابة لأمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين أمير المرابطين كما ذكر ابن سعيد في ترجمته من كتاب : (رايات المبرّزين وغايات المميّزين) . وترجم له العِمادُ الأصفهاني فقال : « ذكره لي الفقيه اليسع بمصر ، وقال أدركتُه سنة إحدى

---

(١) ترجمته في الذخيرة لابن بسّام ق ٢ ج ٢ ص : ٣٢٥ . وقلائد العقيان : ١٥٩ ، والمغرب في حلى المغرب ١ : ٢٤١ ، وخريدة القصر للعماد الأصفهاني (قسم شعراء المغرب . .) ٣ : ٤٣٩ . ومسالك الأبصار لابن فضل الله العمري (مخطوطة دار الكتب برقم ٥٥٩) ٨ : ٢٤٠ والمطرب لابن دحية : ٢٠٠ .

وثلاثين وخمس مئة وهو كاتب أمير المسلمين » .

ولا نعلم سنة ولادة أبي محمد عبد الغفور ، ولا نعلم أيضاً سنة ولادة أبيه أبي القاسم . ومن شعر أبي محمد : (إلى أمير المسلمين في غزوة غَزاها) :

سِـرْ حـيثُ شئـتَ يحـلُّه النـوّارُ وأرادَ فـيـكَ مُـرادَكَ الـمِـقـدارُ
وإذا ارتَحَلْتَ فشيّعتْـكَ سـلامَـةٌ وغـمـامَـةٌ لا ديـمـةٌ مِـدْرارُ !

المؤلف : ليس في أخبار أبي القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي ما يشير إلى سنة ولادته أو سنة وفاته على التحقيق . غير أننا نعرف من خلال رسالة (إحكام صنعة الكلام) أنّه أدرك وفاة ابن بَسّام الشنتريني صاحب (الذخيرة) ، المتوفّى سنة ٥٤٢ . ونعرف أيضاً أنّ مكاتبة جَرَت بين المؤلّف أبي القاسم وبين الوزير الكاتب أبي بكر البطليوسي سنة ٥٠٧ . ونقرأ أيضاً لابن سعيد فيما نقله عن (سمط الجمان) أنه (اعتُبط شاباً) . فإذا تساهلنا في تقدير معنى (الشّباب) الذي ذَهب إليه مؤلف (سمط الجمان) وعددنا سنّ الخمسين أو نحوها رقماً ملائماً ، إذن ، فنحن أمام رجل وُلد في أواخر القرن الخامس الهجري (٤٨٥ ـ ٤٩٠ ؟) وتوفي في أواسط القرن السادس الهجري (٥٤٥ ـ ٥٥٠ ؟) .

قال أبو القاسم في (إحكام صنعة الكلام) [الورقة ٧٠/أ] : « وأخبرني أبو الحسن بن بَسّام ، قال أخبرني الوزير الفقيه أبو بكر بن العربي أنّه سقط إليه من تواليفه أحد وعشرون كتاباً لم يُسمّها لي أبو الحسن المذكور ، ثم وجدت بعد موته تسميتها بخطّ يده . » . وأبو القاسم ـ كما قال صاحب التكملة لكتاب الصلة : صحب أبا الحسن بن بسّام وطبقته من الأدباء »[1] .

---

(١) انظر ترجمته في مطمح الأنفس لابن خاقان : ٢١٩ ، والمغرب لابن سعيد ١ : ٢٣٧ ونفح الطيب للمقري (ط بيروت بتحقيق الدكتور إحسان عباس) ٣ : ٥٥١ ـ وهو ينقلُ عن المطمح ، والتكملة لكتاب الصلة لابن الأبار ٢ : ٤٦٨ .

نشأ المؤلف ـ إذن ـ في بيت من بيوت العلم والثقافة والحسب والرياسة ، فاكتسب من مخالطة الوزراء وكبار الكتاب والأدباء ، وأخذ عن شيوخ عصره وأئمة زمانه . فإذا أضفنا إلى ذلك ذكاءً لماحاً[1] ، تبين لنا وجه نبوغه المبكر حتى قال ابن خاقان إن له « شبيبة ألحقته بالكهول » .

وقد أدرك والد المؤلف ابنه وهو يبرز في حلقات التدريس طالباً ، كما عاصره وهو يجيد الكتابة ، ويقرض الشعر ويصنف التصانيف . فقد كان والده حياً سنة **٥٣١** كما نقل صاحب الخريدة ، وكان حينها كاتباً لابن تاشفين . فإذا أضفنا إلى ذلك أن المؤلف كان من طبقة ابن بسام المتوفى سنة **٥٤٢** ، وأصحابه ، جاز لنا أن نقدر أنّ والد المؤلف أدخله الديوان ومهد له سبيل خدمة السلطان . وترجمَ ابن خاقان له في قسم الوزراء والكتاب ، وسماه : (الوزير أبا القاسم) . وفي كتابنا هذا نسخة عهد كتبها المؤلف عن السلطان في تولية ابنه ولاية العهد ، مما يؤكد أنه كتبَ للسلطان وتولّى وزارة القلم .

ثقافته وشيوخه :

ليس بين أيدينا ثبت بأسماء شيوخه الذين تلقى عنهم ، ولكن صاحب التكملة ذكر بعضهم ، وذكر المؤلف بعضهم في كتابه . فقد أخذ الآداب عن أبيه أبي محمد ، وأخذ العربية عن أبي عبد الله بن أبي العافية ، وتفقه بأبي القاسم الزّنجاني[2] وذكرَ في (إحكام صنعة الكلام) شيخه أبا عبد الله بن أبي العافية ، وآخر سمّاه : شيخنا الحافظ بن إسماعيل .

وكان اهتمامه موزعاً بين غرضين هما : الشريعة والأدب . فابن الأبار يقول[3]

---

(١) مطمح الأنفس : ٢١٩ .

(٢) التكملة لكتاب الصلة ٢ : ٤٦٨ .

(٣) المصدر السّابق .

إنه : « صحب أبا الحسن بن بسام وطبقته من الأدباء ، وإنه حدّث في بعض تواليفه عن أبي بكر بن العربي بواسطة ، وقد جرت بينهما مخاطبات » . ويختم ترجمته بأن « الآداب كانت بضاعته » ، فهو يرجح جانبَ الأديب منه على جانب الفقيه .

والمؤلف نفسه يحدثنا عن اهتمامه الموزع بين هذين الفنين فيقول في ختام كتابه « هذه ـ أعزك الله ـ بضاعة استخرجَتْها يد النصيحة من صدق الفكر ، وفتقتها يمين الأنفة من كِمام الذِّكر ، وكتبها قلم الاستعجال في صحيفة الارتجال . إذ الخاطر متقسّمٌ بين تفقه في أدب ، وتفقه في شرع محافظة على فرع . وفي هذا عذر إن وقعَ تقصير ، ولا ينفرد بالكمال إلا السميع البَصير[1] . . » .

وهو يبدو في كتابه مثقفاً واسع الاطلاع ، مشاركاً في فنون مختلفة من الأدب والشريعة ، ومطلعاً على تراث عصره الفكري والأدبي .

ومن شعر أبي القاسم[2] :

تـركتُ التّصابي للصَّـوابِ وأَهْلِه ... وبِيْضَ الطُّلى للبيض والسُّمْرَ للسُّمْرِ
مُـدامِي مِدادي والكؤوسُ محَـابِري ... ونـدمـايَ أَقـلامي ومنقلتي سِفـري

وفي هذا رسمٌ لمنهج خاص في الحياة من الالتفات عن مشاغل الدنيا إلى محاريب العلم . وله أيضاً :

لا تُنكـروا أنّنـا في رحلةٍ أبَـداً ... نحثُّ في نَفْنَفٍ طـوراً وفي هَـدَفِ
فـدهـرُنـا سُـدفَـةً ونحنُ أنْجُمُهـا ... وليس يُنكر مجرى النجم في السُّدَفِ
لو أسفرَ الدهرُ لي أقصرتُ عن سَفَرٍ ... ومِـلْتُ عن كَـلَفِي بهـذه الـكُلفِ

---

(١) إحكام صنعة الكلام : الورقة ٧٨/ب .

(٢) الشعر كله في المطمح ، ونُقل في المصادر الأخرى .

وتغلب على الشاعر جوانب الفقه والشريعة ، والرَّغبة في أحوال العلم والعُلماء ، حين يقول :

رُوَيـدك يـا بَـدْرَ التّمـامِ فـإنني ... أرى العِيْسَ حَسْرى والكواكب ظُلَّعا
كـأنّ أديمَ الصُّبحِ قـد قـدَّ أنجمًا ... وغُـودِرَ دِرْعُ الليـل فيهـا مُـرَقَّعـا
فـإني وإن كـانَ الشبـابُ مَحُبّبـا ... إلَيَّ وفي قـلبـي أَجـلّ وأوقـعـا
لآنَفُ من حسنٍ بشعـري مُفْتـرى ... وآنفُ من حسنٍ بشَعْـري قُنِّعـا !

آثار المؤلف :

١ ـ وصلنا من آثاره كتاب (إحكام صنعة الكلام) هذا وحده ، وقد ذكره ابن الأبار في ترجمته فقال : « وله رسالة إحكام صنعة الكلام في سفر » .

ـ وقد ذكره أبو القاسم في أثناء الكتاب باسم (رسالة إحكام صنعة الكلام) وسمّى أكثر من كتاب من كتبه باسم (رسالة . . . .) . فقد قال في الورقة [٢٨/ب] : « وسأثبت في هذه الرسالة ما فيه على سبقه بيان . . . » وفي الورقة [٣٤/أ] « قال منشىء الرّسالة . . . » . الخ .

ـ وقد ذكرناها أبو البقاء خالد بن عيسى البلوي في رحلته باسم (رسالة إحكام صنعة الكلام) .

ـ واختصر هذه الرّسالة أبو العباس النقارسي (النّقاوسي ، بالواو ، في كتاب : البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لابن مريم) . ولا نعرف خبراً عن هذا المختصر سوى ما ذكره البلوي في الرّحلة . وأعتقد أن ما بين أيدينا هو النسخة الأصلية التي ألّفها ابن عبد الغفور . أما المختصر فيظهر لي أنه قد حذفت منه فقراتٌ من الاستشهاد بالنصوص الكثيرة من الشعر والنثر والخطب ومثل هذا مما يختصر : فيُجتَزأ منه أو يُحذف .

٢ ـ (الانتصار لأبي الطيب) ذكره المؤلف في كتابه أكثر من مرة ، وذكره ابن الأبار فقال « وألف كتاب الانتصار » .

٣ ـ (الساجعة والغربيب) ألفه معارضاً لأبي العلاء المعري في كتابه المسمى : الصاهل والشاحج ، وأورد منه ابن سعيد في المغرب قطعة هي :

« . . . إلى أن احتل بقعة استقاها من قليب النصرانية ، بأرشية الردينية . واستخرجها من لهوات الكفر بأيدي المهندة البتر »[١] . وسمى ابن خاقان في مطمح الأنفس وابن الابار في التكملة كتاب الساجعة والغربيب : رسالة .

٤ ـ (السجع السلطاني) قال المؤلف[٢] : « ثم حملني ـ أعزك الله ـ ما جرى في هذا المجلس من الكلام وما وجدتُ له في نفسي من الكلام على تأليف كتاب على مثال السجع السلطاني لأبي العلاء المعري » . ولم يسم كتابه هنا صراحة ، إلا أنه في مكان آخر من كتابه[٣] قدّم لكتاب سلطاني بقوله : « وسأذكر مما أثبتناه لأنفسنا من كتاب السجع السلطاني نسخة عهدٍ اولها . . . » .

وهذا يرجح لدينا ان اسم كتابه هذا : (السجع السلطاني) . ولم يذكره احد ممن ترجم له .

٥ ـ (خطبة الإصلاح) قال المؤلف[٤] : « ولما مِلْتُ ـ أعزّك الله ـ بالطبع الى التفقه في الشرع ، كرهت أن يخلق برد الشباب قبل أن أطرزه بعلم المتاب ، فعمدت

---

(١) المغرب ١ : ٢٣٨ .

(٢) احكام صنعة الكلام : ٢/ب .

(٣) المصدر نفسه : ٦٨/ب .

(٤) المصدر نفسه : ٣/ب .

إلى خطبة الفصيح (للمعري) فعارضته بخطبة الاصلاح » ولم يذكره احد ممن ترجم للمؤلف .

٦ ـ (ثمرة الأدب) ذكره في الورقة ٣/أ و٦/أ وهو معارضة لكتاب سقط الزند .

والكتب الأربعة الأخيرة ألفها الكلاعي لمعارضة أبي العلاء المعري ، ولإثبات قدرته على مضاهاته ومجاراته .

٧ ـ (حلية الفقهاء) ذكره في الورقة [١٤/أ] .

بين الشعر والنَّثر : يعقد الكلاعي في كتابه فصلاً عن الترجيح بين المنظوم والمنثور[١] . فيتبين ما في الشعر من موسيقى ورُواء وأنه : « تزيَّى من الوزن والقافية بحلة سابغة ضافية » إلا أنه يفضل النثر عليه لأنه « أسلم جانباً وأكرم حاملاً وطالباً . . لأن الشعر داعٍ لسوء الأدب وفساد المنقلب ، ويحمل الشاعر على الغلوّ في الدين وعلى الكذب » ، يرى أنَّ الكتابة بعيدة عن ذلك كله .

كما يتنبه إلى أن الكتابة والشعر شيئان متنافران « لتنافر طبائع أهلهما » وأنه يصعب الجمع بين الفنين بمقدرة واحدة وبيان واحد .

وهو يوضح في أوائل كتابه أنه ما ترك الشعر عن ضعف ، فقد كان مولعاً « بترصيعه وتصنيعه حتى وصل به إلى أعلى المراتب »[٢] ، ولكنه نزع منزعاً كريماً من علم الديانة ، واقتصر من قسمي البلاغة على قسم الكتابة . وانه ما ترك الشعر عجزاً عنه ، ولا اتخذ النثر بدلاً بئيساً منه .

---

(١) المصدر نفسه : ٦/ب ـ ٨/أ .

(٢) إحكام صنعة الكلام : ٣/أ .

وأثنى صاحب المطمح على شعره فقال : « وله شعر بديع السرد ، مفوف البرد »[1] ، وأورد له مقطوعات منها :

تـركت التصابي للصـواب وأهله ... وبيض الطلى للبيض ، والسمر للسمر
مُـدامي مدادي والكؤوس محـابري ... وندماني الأقـلام ، والعين كـالسِّفر

وملخص مذهبه أنه يرجح النثر على الشعر لاعتبارات دينية بالدرجة الأولى ، وانه اهتم بالنثر لعدم اهتمام الكتاب والمؤلفين بذلك ، والتفاتهم إلى الشعر وفنونه .

إحكام صنعة الكلام

طالعنا المؤلف في مقدمة الكتاب بأحاديث موجهة الى شخصية مجهولة يجلها ويحترمها ، عن مجالس كان يحضرها ، ويلقى فيها انتقادات واتهامات عن قصر باعه في الكتابة وفنونها ، وأورد عدة اتهامات منها ، ثم أعلن انه عارض المعري ليثبت لهم مقدرته ـ ومن ضاهى المعري فقد سبق ـ وأورد نتفاً من معارضاته للمعري .

ثم تحدث عن سبب تأليفه كتابه هذا فقال[2] : « وأما المجلس الرابع فقد شاهدته ورأيته ، وسمعت قوله فيه ووعيته من أني لا أقابل كل طبقة بما يشاكهها من اللفظ ويوافقها ، ولا أخاطب كل فرقة بما يشاكلها من المعنى ويطابقها ، وأني لا أفرق بين من يُكتب إليه : أدام الله عزك ، وبين من يكتب إليه : أعزك . ولما كان في قوله ردُّ شهادتك التي تبرع بها بارع سيادتك ، رأيت أن أصدق حسن انتقادك ، وأحقق جميل اعتقادك بهذه الرسالة التي ابتدعتُها قالباً يفْرغ عليه ، واخترعتُها إماماً يُفزع إليه ، تحرز ما أنعم الله به على الإنسان من علم البلاغة والبيان » .

---

(١) مطمح الأنفس : ٢٩ ـ ٣٠ والنفح ٥ : ٩٣ .

(٢) إحكام صنعة الكلام : ٤/ب .

ومن الطريف أن والد المؤلف تعرض لمثل انتقادات ابنه من بعض معاصريه . فقد نقل ابن بسام رسالة من رسائله خاطب بها بعض أهل عصره ، افتتحها بهذين البيتين :

لـولا عِـدى غـاظُـوا الصَّـدِيـ ـقَ بِنَـفْيهم عـنيّ الـكِتَـابـهْ
لم أُوذِ سَـمْـعَـكَ بـالهـرا ءِ ولانـحـرفتُ عـنِ المعـابـهْ

منها « لعمري وإن كان نفي منفياً ، وتقرع صديقاً حفياً ، لرب أعجم ضجر فأفصح ، وأجذم عيرّ فقدح . . . فلله من احتال لتخلصه ، ولم يعجب بتخصصه ، ودفع بيد جلده في صدر حُسَّده ، وفي هذه الجملة لو ارتضيت بها متنقصاً ، ولم يرني في الاقتصار عليها متخرصاً وفي الكتابة متلصصاً ، إذ لعله ممن يظن الإيجاز حَصَراً أو انقطاعاً ، أو يعتقد الإجادة مع الإسهاب شيئاً موجوداً ولا مستطاعاً . . . الخ[1] » .

ولم يكن دفاع المؤلف أو والده ، ولا هجومها لفظياً أو شخصياً ، ولكنه انصبّ على أمور أدبية ذات صلة بأسلوب الكتابة ، وحدود البلاغة والبراعة .

مصادره :

اعتمد الكلاعي على مصادر مشرقية ومغربية كثيرة ، لم يشر إلى كثير منها فهو يعتمد على ابن قتيبة ، وفي كتابه نقول من (أدب الكاتب) و (تأويل مشكل القرآن) ؛ وعلى الثعالبي ، فنراه يكثر من النقول عن (يتيمة الدهر) . وعلى بديع الزمان الهمذاني في (مقاماته) ورسائله ، وعلى أبي العلاء المعرّي في آثاره المختلفة . وفي (إحكام صنعة الكلام) نقول مبثوثة من (البيان والتبيين) للجاحظ و (فحولة الشعراء) للأصمعي و (الملاحن) لابن دريد و (نقد الشعر) لقدامة بن جعفر ، وسواهم .

---

(١) الذخيرة ٢/٢ : ٢٠٢ .

ومن المصادر المغربية كتاب (الذخيرة) لابن بسام و (زهر الآداب) للحصري و (رسالة التوابع والزوابع) لابن شهيد و (ديوان) ابن خفاجة وسواهم .

وكان المؤلف ينقل أحياناً بعض آراء شيوخه مشافهة .

موضوع الكتاب وأقسامه :

لم يقسم المؤلف كتابه بوضوح ، فقد صدر القسم الثاني بكلمة (باب) دون ذكر موضوع ذلك الباب . وباستعراض فصول الكتاب ومقاصده نتبين أنه في مقدمة وبابين .

عرض في المقدمة لما كان بينه وبين منتقصي فضله وعلمه وأورد نبذاً من نثره الذي ضاهى به أبا العلاء . ثم أورد فصلين : أحدهما عن فضل البيان : فتحدث عن معنى البيان وأهميته مستشهداً بالقرآن الكريم والحديث الشريف ، ومحتجاً بعبارات بعض البلغاء . والفصل الآخر في الترجيح بين المنظوم والمنثور ، وقد ذكرنا أن المؤلف رجح المنثور ومال إليه .

ويتعلق الباب الأول بالكتابة وآدابها ، وما يتعلق بأسبابها ، وهو ينتظم عدة فصول تبحث في رتبة الخط وتسوية البطاقة ، والاستفتاح ، والدعاء ، والسلام ، ومكاتبة أهل الكفر وأقسام الخطابة وغير ذلك . ويشغل هذا الباب ما بين ٥/أ و ٢٧/أ .

وأما الباب الثاني وهو معظم الكتاب وقسمه الهام فيقول فيه :[1] « وجعلت أبحث عن ضروب الكلام فوجدتها على فصول وأقسام منها :الترسيل ، ومنها التوقيع ومنها الخطبة ، ومنها الحكم المرتجلة والأمثال المرسلة ، ومنها المورّى والمعمّى ،

---

(١) إحكام صنعة الكلام : ٢٧/أ ـ ٢٧/ب .

ومنها المقامات والحكايات ، ومنها التوثيق ومنها التأليف . وتأملت أيضاً ـ أكرمك الله ـ الأسجاع فوجدتها على ضروب وأنواع . فمنها ما يجب أن يسمى المنقاد ، ومنها ما يجب أن يسمى المضارع ومنها ما يجب أن يسمى المشكل . وقد أثبت ما ذكرت من التفصيل والتبويب على التدريج والترتيب » .

وهو يحتج في كل فصل من فصول هذا الباب ـ الذي يبتدىء من الورقة ٢٧ /أ وينتهي بانتهاء الكتاب ـ بآثار الأدباء من المشارقة والمغاربة ويشير إلى مواضع الإحسان والإساءة على قلة ويورد لنفسه أحياناً بعض الجمل والعبارات والفقر ، شواهد على تقسيماته وشروحه .

صفة المخطوطة :

الكتاب نسخة مصورة في دار الكتب المصرية برقم ١٨١٩٠ ز ، صورته دار الكتب المصرية من مكتبة الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب باشا .

وهو بخط مغربي دقيق يبدو عليه التنسيق ، وكتبت عناوين الفصول والمطالب بخط أكبر . ومن المرجّح ـ أخذاً بطريقة الكتابة ونوع الخط ـ أن يكون مكتوباً في القرن الحادي عشر الهجري ، والكتاب لا يحمل أي تاريخ .

وبه بعض ضبط بالشكل . وبالرغم من دقة الكتابة وتنسيقها فإن الناسخ في حالة العبارات المبهمة أو غير الواضحة كان يرسمها كيفما اتفق ، مما أدّى إلى كثير من التصحيف والتحريف والتغيير .

وليس على الكتاب من الإشارات أو التعليقات ما يدل على أنه قوبل على مخطوطة أخرى ، وليس له صفحة عنوان . وإنما توجد ورقة مكتوب عليها بخط حديث هو خط السيد الأستاذ حسن حسني باشا التونسي ما نصه :

« كتاب إحكام صنعة الكلام تأليف أبي القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي الوزير الأندلسي . وكان يعيش في أواسط القرن السادس للهجرة (منتصف الثاني عشر للميلاد) راجع ترجمته من كتاب التكملة لابن الأبار وقلائد العقيان لابن خاقان » . والحق أن ما في القلائد هو ترجمة والد المؤلف وحده .

عدد أوراق الكتاب (٧٨) وفي كل صفحة ١٩ سطراً ، ومتوسط كلمات كل سطر (١١) كلمة .

أسلوب التحقيق :

كنت أعلم قبل البدء في تحقيق هذا الكتاب أنني مقدم على نشر نصٍّ مشكل . وأن كثيراً من المعتنين بنشر التراث وتحقيق النصوص أكبُّوا عليه زمناً ، ثم أعرضوا عنه إشفاقاً من صعوبته ، وكثرة مزالقه .

ونحن ننشر النص على أصل فريد ، كثير التحريف والتصحيف ، مضطرب في بعض النقول والشواهد ، غير واضح في بعض الصفحات من أثر التصوير . وكان لا بد من العناية في ضبطه وتحقيقه .

وقد قرأت الكتاب ونسخته بعناية ودقة ، واستعنت على فك غوامضه ، وإيضاح مبهماته بالصبر والتأني ، والتمرس بعادة الناسخ وطرائقه في الكتابة ، وبأسلوب المؤلف وصيغه وعباراته . وتبيّنت مصادره التي اعتمد عليها ونقل منها ـ ذكر ذلك أم أغفله ـ فعُدت إلى مظانّه ، وعارضت نقوله بأصولها .

وكان لا بد من إعادة النص إلى ما كان عليه كما كتبه المؤلف ، وتقويم خطئه حيث وجد ، بما لا ينافي الأصول المعتبرة في تحقيق النصوص :

١ ـ قابلت النصوص المنقولة في هذا الكتاب من كتب أخرى ، واعتبرت

المصادر التي نقل عنها المؤلف أصولاً كالمقامات التي نقلها عن بديع الزمان ، وكالأمثلة الكثيرة التي نقلها عن يتيمة الدهر للثعالبي .

٢ ـ أكملت النقص في العبارات المنقولة من مصادرها ـ حيث وجدت ـ وأتممت عبارات المؤلف التي سقط منها كلمة أو حرف بِما يلائم المقام ، وأشرت إلى ذلك بالمعقوفتين : [ ] .

٣ ـ قوّمت الأبيات الشعرية التي كان يدرجها الناسخ في ثنايا النثر غالباً .

٤ ـ استشهد المؤلف بعدد من الأحاديث ، فرجعت إلى كتب الحديث وخرّجتها اعتقاداً مني أنّ تحقيق الأحاديث النبوية ـ حتى في مجال الاحتجاج الأدبي واللغوي ـ جزء هام من ضبط النص . وانصبَّت عنايتي في ذلك على ضبط الحديث ، وبيان مصدر من مصادره المعتمدة .

٥ ـ ضبطت النص ، ولم ألتفت إلى الشكل الذي أثبته الناسخ إلا قليلاً فمعظمه اعتباطي . كما شرحت بعض الألفاظ حين آنست ضرورة ذلك .

٦ ـ رجعت في مسائل الكتاب وأبوابه إلى المظانّ التي قدّرتُ إنها تفيد في التحقيق ، أو تعين القارىء على استجلاء النص ، أو إيضاح مواضع غامضة منه ، أو تلقي ضوءاً على مصادر المؤلف التي أخذ عنها .

٧ ـ وترجمتُ لمعظم الأعلام تراجم سريعة كان قصدي منها إيضاح النص . لأن الكتاب لا يقتضي الإسهاب في التعريف بأعلامه ، ولا يحتمل ذلك . كما ذيَّلتُ كل ترجمة ببعض المراجع الهامة دون التزام المصادر جميعاً ، اكتفاء بما يكفل توثيق الكلام .

٨ ـ في اللوحة (٤٦) من الكتاب جدولان ملحقان بفصل (المبتدع) ، حشر

الناسخ فيهما الكلمات والعبارات حشراً ، فطُمس بعضها ، واستبهم بعضها الآخر . فآثرتُ أن أضع هاتين الصفحتين بين يدي القاريء مصوَّرتين ليطلع عليهما ، ويستبين منهما ما استطاع . كما أن عبارات وكلمات قليلة استعصت على القراءة او الوضوح ، أثبتُّها على حالها ونبهتُ عليها .

● ولا بد في الحقيقة من تقويم آراء المؤلف النقدية والبلاغية وتحليلها ، وعرض بعض مصطلحاته البلاغية التي اخترعها واستنبطها على الآراء المشرقية ، ودراستها دراسة مقارنة ، وتبيان أن المؤلف استطاع ان يميّز الأساليب النثرية العربية بعضها عن بعض بوضوح ، وأن يعيّن أبرز أعلامها بعبارات واضحة وأمثلة دقيقة . ولكني آثرت أن تكون دراسة كل هذا جزءاً من عمل مستقل ـ يكاد ينجز ـ يتناول (النقد الأدبي في الأندلس) وللكلاعي وكتابه فيه سهم وافر ونصيب وافٍ[1] .

وبعد ،

إني لأتوجه بالشكر إلى الأستاذ الدكتور عبد العزيز الأهواني الذي شجّعني على المضيّ في هذا العمل ، ورجعت إليه في حل كثير من مشكلات الكتاب .

ولا يفوتني أن أشكر الأستاذ فؤاد سيد أمين المخطوطات بدار الكتب والأستاذ رشاد عبد المطلب[2] أمين المخطوطات بالجامعة العربية على ما قدما من عون صادق ، وسهّلا الرجوع إلى كثير من المخطوط والمطبوع .

محمد رضوان الداية

---

(١) أنظر الحاشية (١) في الصفحة (٧) من المقدمة هنا .

(٢) في غضون هذه العشرين عاماً ـ وما أسرع مَرّ الأيام والسنين ـ اختار الله تعالى إليه الأستاذ فؤاد السيد والأستاذ رشاد عبد المطلب والأستاذ الدكتور عبد العزيز الأهواني أسبغ الله تعالى عليهم جميعاً رحمته ورضوانه وأسكنهم فسيح جنّاته ، وجعل لهم من العلم النافع الذي بثّوه في الناس صدقة جارية تنوّر روضاتهم وتقربهم إلى مرضاة الله تعالى .

إحكام صنعة الكلام

في فنون النثر ومذاهبه في المشرق والأندلس

لذي الوزارتين
أبي القاسم محمد بن عبد الغفور الكلاعي الأشبيلي

بسْم الله الرحمّن الرّحيم

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم

قال الشيخ الفقيه الوزير الكاتب أبو القاسم محمد بن عبد الغفور بن محمد بن عبد الغفور الكلاعي ، رحمه الله :

الحمد لله الذي إذا أراد أمراً انفرجَ بابُه ، واتّفقت أسبابه . والصَّلاة والسَّلام على محمدٍ خيرته ، وعلى أبرارِ عِترته ، وسلّم تسليماً .

حضرتُ ـ أبقاك الله للعلم تَنظم جواهرَه ، وللفهم تُطلع أزاهرَه ـ مجلساً بيني وبين من رفعته عن الذكر ، لأنّا نعلمه بالضَّمير والفِكر ، وسمعت إنكاره عليَّ ، وتزييفَهُ ما كنت تحسبه من الإحسان لديّ . وما كان إنكاره مرّةً ولا مرتين ، ولكن مراراً !

فصل

جَمعني وإياه ـ أدام الله علياه ـ مجلس واحد ، فأخذنا في ضروب الفصاحة ، وجُلنا في طرق البلاغة ، فقال لي ما أنتَ إلا كاتب ، ولكنّك اتخذتَ الغريب دَيدناً واعتقدته دِيناً . حتى إنك في صُدور رسائلك خارج عن

الطريق ، غيرُ آخذٍ مع الفريق ؛ فلو أردتَ [المستعمل [1]] لألفيتَ عنانه قصيراً ، وطَلْقهُ ضَنكاً ، ومركبهُ صَعباً . فقلت له : إن القادر ـ أدام الله عِزّك ـ على الغريب يقدر على المُستعمل . وهذا يعضدُه القِياس ، وأمر يُقيم [2] أَوَده البرهان . أَلا تَرى أن كُلَّ مَنْ بَنى حائطاً في غاية [3] النَّقش والتَّحسين يقدر [١/ب] على بُنيانه مُختصراً دون تزيين ؟ وليس كلُّ مَن بناه مُختصراً يجد تزيينه وتحسينه ميسّراً . ألا ترى أنّي إذا ابتدأت [4] رسالةً بقولي : أسلِّم على حَضرة الوزير الأَجل تسليماً عميماً لا يشاكِهُ [5] ريّاها وإن فاحَ نسيماً ؛ ولا يُشاكِلُ علاها ، وإن طابَ عبقاً وشميماً ؛ وهيهات لو استعرتُ في ذلك من الرَّوض نَضارته ، ومن المُزن طهارته ، ومن شوقي إلى مرآه تجدّده وغَزارته [6] ؛ واتخذتُ نِقسَ المِداد من سُويداء الفؤاد ، وكتبتُ بين العَين والحاجب ، لَما قَضيتُ لها بعض المتعيِّن الواجب ؛ لأنها مطلع المفَاخر ، وبحرُ الكَرم الزاخر ، وغُرّة الحواضر ، وهالةُ القَمر الزّاهر :

وما المُرادُ بِحمدي غير أَحمدها الفضلُ للدُّرِّ ليسَ الفَضلُ للصَّدفِ

وابتدأت ثانياً بقولي : حَماكِ الله أيَّتها البقعة الكريمة أرجاؤك ، وسَقاك سقياً لا تشرَقُ به أكوافُك [7] ولا يَنفق ؛ ولا يُجحِفُ [8] بظاهرك ولا باطنك .

---

(١) زيادة على الأصل . وهي لازمة ، وقد وَرَد ما ينبّه عليها بعد سطر .

(٢) في الأصل : نقيم .

(٣) في الأصل : عناية .

(٤) في الأصل : ابتديت (ابتدئت ؟) .

(٥) شاكهه : شابهه وشاكله .

(٦) في الأصل : غرارته .

(٧) في الأصل : أكوامك . وأثبت قراءة الدكتور إ . عباس . وأكواف جمع كوفة وهي الرملة ، أو الرملة الحمراء .

ـ وبعدها في الأصل : ولا تنفق . وأثبتها بالياء ، عوداً على السَّقي . يقال نفق إذا نَفِد .

(٨) في الأصل : ولا يحجب .

وهيهات ! ما بي حِفظ جَنابك المُشرق ، لكنْ حفظ الأبِ القاطن بك المشفق . وما بِي سقيُ ما فيك من تِلاع ، ولكن حُبُّ لمن حل بك من كلاع [1] .

وإذا أتيتُ في هذا الباب بمثل هذا المتخيَّر اللُّباب ، لم يغرب عليَّ ما استعملته عامة الكتَّاب ، من الإكثار بالدعاء [2] ، والتملُّق والإطراء . ومن قولهم : يا سيّدي وعِمادي ، ومَعاذي [3] وعَتادي ، إلى غير ذلك مما يطَّرد كهذا الاطّراد ، وينتسبُ إلى هذا الواد [4] ، من الألفاظِ المُستعملة ، والمعاني المُتَداولة المبتذلة ، التي تتداولها ألسنةُ أقلام ٢/أ [و] تستريح لها مُتعَبات الأفهام .

فصل

وجمعني وإياه ـ أدام الله علياه ـ مجلس ثان ، فَرتعنا في رياض الآداب [5] ، وهَصرنا أغصانَ الألباب ، فقال : إنك تكتبُ الإخوانيّات ، ولكنك لا تنفذُ في السُّلطانيات . فقلتُ له : اختبر إن شئت ! فقال : إنّه توفي بحضرتنا طفلٌ وارِثُه في الحاجّ ، فَأمَر الأمير بتحصيل تركته حتّى يقفل وارثه . ثم ورَد منه كتابٌ ثانٍ بتوجيه المال إليه . فجاوبْ عن هـذا الكتاب إن كنتَ من الكُتَّاب ! فأنشأتُ ما نسخته :

« ورَد كِتابُ الأمير ـ أدامَ الله تأييده ـ في أمرِ تركةِ الطّفل المتوفَّى ، فأدّينا

---

(١) كلاع : قبيلة من قبائل حمير . ويلاحظ أيضاً انتماء المؤلف إلى كلاع .

(٢) كذا عدّى الإكثار بالباء . وفي كتب اللغة : أكثر من كذا .

(٣) في الأصل : (معادي) بالدال المهملة .

(٤) في الأصل : الوادي . وآثرنا مجاراة أسلوب المؤلف في انتظام السجع .

(٥) في الأصل : الأدب .

من الاجتهاد في تنشُّق قِرطاسه ، ولثم أنفاسه ، والانقياد طوع نصّهِ ووفقَ قياسِه ، الحَقَّ الموفَّى . والله يوفقنا لاستقراء براعته ، ويُعيننا على أداء طاعتِه ، إنّ ذلك في قدرته واستطاعته ، لا ربَّ غيرُه .

وأما أمرُ التركة المذكورة ـ أدام الله تأييدك ـ فكنّا بعنا جميعَ أنواعها ووقفنا ثمنَ كلّ سلعة في ذمةِ مُبتاعها ، حتى يقفِلَ عن أداء حجّة الفريضة من حُجب ، فيجدَها على ما انبغى وكما وَجب . وأما الآن فقد ورد أمرك العالي بإنفاذِها إلى الحضرة السّامية ، مقر الفضل ومأوى المَعالي ؛ فسأجدُّ في اقتضائها ، وأُوجّه بصفرائها وبيضائها ، راكبةً مطيّة الضمان ، مصرورة في ربطةِ الأمان ، لا تهاب السَّير ، ولا تَغُرُّ ـ بحول الله ـ الغير » .

ثم حَملني[1] ـ أعزك الله ـ ما جَرى في هذا المجلس من الكلام ، وما وجدت له [٢/ب] في نَفسي من الكلام ، على تأليف كتاب على مثال (السجع السُّلطاني) لأبي العلاء المعري[2] استفتاحه :

بحكم البيان رجح القلمُ القناةَ وإن كانت أطولَ باعاً ، وفضلت السَّاجعة [غيرها] وربّما أُبصرت أجمل قِناعاً . ولكنْ وجدت من الفضل للّسان ، ما لا [يعرف[3]] قدره كلُّ إنسان . والحمد لله الذي رزَقني منه ما إن لم أتَّشِ به [بين الأُدباء][4] فإني أتميز به من الأمة الوكعاء[5] . وإن لم أجرِ به في حلبة

---

(١) نقلتُ هذه الفقرة إلى آخر الفصل في (تعريف القدماء بأبي العلاء : ٤٤٠ ـ ٤٤١) .

(٢) انظر : الجامع في أخبار أبي العلاء وآثاره تأليف محمد سليم الجندي وتحقيق الأستاذ عبد الهادي هاشم ج ٢ ، ص : ٧٦٢ . وتعريف القدماء بأبي العلاء ص ٥٣٣ .

(٣) موضع هذه الكلمة بياض في الأصل ، واقترح لها في التعريف (يستطيع) ، ورأينا المعنى فيما أثبت .

(٤) أتّش على وزن أفْتعل ؛ والوشي : التحّسين .
ـ وعبارة « بين الأدباء » تتم السجعة ، وتزاوج الكلام .

(٥) وكع : حَمُق . وهو أوكع ، وهي : وكعاء .

الضُّمر الأعوجيّة [1] فإني أسبق بهِ في جُملة [الحُمر] الأهلية ! ولا عتبَ في هذا المِقدار من الافتخار . فلو استُهجن مِسمارُ السُّنبك [2] لزَعم أنه قُطَّ من سِنان ، ولو استُوجِنَ ماءُ السِّكك لأقسم أنه سقط من عَنان [3] . بل لو ازدُري سَمِيُّ الدَّياجير [4] ، لانتحَل سَنا القمر المُنير . ما كلّ الانقباض يصحُّ عليه الاعتراض ، ولا كلّ السكون يصلح إليه الركون . ولكن لا حَرج فإنما هو سعدٌ واحد ؛ أما الجَدُّ فيقلب النُّغبة لُجّاً [5] ، وأما الحقُّ فيترك السِّنانَ زُجّاً [6] . وقد قرعت من السّجع السلطاني ما أُبهم دُوني ـ فيما زعم ـ رِتاجُه ، وسُلب من فودي ـ فيما ذكر ـ تاجُه ، لأحقّق دعوى لمآرب أخرى . وقبل الرَّمْيِ تُملأ الكَنائن [7] . وكل ما قُدِّر فهو كائن ، وبالله التوفيق .

فصل

وجمعني وإياه ـ أدام الله عَلياه ـ مجلسٌ ثالث ، فأخذنا في ذكر الشُّعراء العلماء ، حتى جاء ذِكر أبي العلاء ، فتذاكرنا ما له من التَّواليف [8] البديعة التصنيف ، التي اغترفها من بحره ، واعتمد فيها على فِكره . فذكر أنّه لا يُضاهَى [٣/أ] فيها ولا يُجاري ، ولا يعارض في واحدٍ منها ولا يبارَى . فسوَّلت لي نَفسي مناهضَته ، وزيَّنتْ لي نفسي مُضاهاته ومعارضته . وقديماً

---

(١) الأعوجية خيل كريمة منسوبة إلى (أعوج) فرس كريم أصيل .

(٢) السُّنبك : طرفُ الحافر .

(٣) أجِنَ الماء : تغيّر طعمهُ ولونهُ ورائحته . و (استُوجِن) أي عُدَّ آجناً . والعَنان : السحاب .

(٤) يقال : « أسود ديجوري » نسبة الى الديجور : الظُّلمة .

(٥) النُّغبة : مقدار حسوة الطائر من الماء . والجَدُّ : الحظ .

(٦) السِّنان حربة الرُّمح (وهو رأسه) والزّج أسفله (وطرفه الآخر)

(٧) « قبل الرّماء تُملأ الكنائن » مثل في مجمع الأمثال (٢ : ٤٠) أي تؤخذ الأُهبة للأمر قبل وُقوعه .

(٨) في الأصل : التواليف (من) البديعة ، وهو سهو .

عهدتُها ـ أعزَّك الله ـ نفساً أبيّة ، تُكلّفني نيل العظائم ، وتُجشّمني مُطاردة الأماني بين السُّها والنَّعائم [1] . فعارضته في رِسالة (الصّاهل والشاحج) [2] برسالة عرَّفتها برسالة (السَّاجعة والغِربيب) أولها :

أهدي إلى حضرة الأمير الأجل أبي زكريا ، سِرّ الدُّنيا ، وفخر العليا تحية لا تعادل إيماءه وإن طال طلقها ، ولا تُشاكل [3] إماءه وإن طاب عبقها . لكنها إن سَجح في ميدان التّحيات إرقالُها [4] ، فقد رجح في ميزان [5] المودات مثقالُها . والمَدارُ ـ أيّده الله ! ـ على قُطبِ النيّة لا على اتساع الرويّة ، وعلى أُسِّ الوِداد لا على نِقْس المداد .

ولما أكملتُ هـٰذه الرّسالة ، فجاءت من رسالة (الصَّاهل والشَّاحج) بمنزلة النُّغبة من البَحر المائج ، لم تقدُرني نفسي ، ولا رضي يومي فيها عن أمسي ، حتى عارضتُه في كتاب (سقط الزند) [6] بكتاب سَمَّيتُه بـ (ثمرة

---

(١) السها : كوكب صغير خفي الضوء يكون مع الكوكب الأوسط من بنات نعش الصغرى .
والنّعائم : منزلة من منازل القمر ، وهي ثمانية أنجم .

(٢) الصّاهل والشّاحج : رسالة ألفها أبو العلاء المعرّي نحو ٤١١ ـ ٤١٢ هـ على لسان فَرسٍ وبَغْل ، وهي (قصّة) واحدة ، يؤدي فيها الحوار بهائم مشخصة ، ورفعها إلى والي حلب آنذاك ، (راجع مقدّمة التّحقيق وعلاقة ابن عبد الغفور بآثار المعري) .
ـ وطبعت رسالة (الصاهل والشاحج) بتحقيق الدكتورة بنت الشاطىء في دار المعارف بالقاهرة ـ ١٩٧٥ م ـ .
ـ وانظر الجامع في إخبار أبي العلاء وآثاره ٢ : ٧٧٥ .

(٣) في الأصل : يشاكل

(٤) يقال أَرْقَل إرقالاً : أسرع .

(٥) في الأصل : ميدان

(٦) « سقط الزّند » ديوان جمع فيه المعرّي شعر الصّبا ، قال التبريزي تلميذ المعري في شرحه على السقط : « وهذا أول شعره وما سمح به خاطرهُ فشبهه بالسقط » لأن السقط أول ما يخرج من النار من الزّند . وكان =

الأدب) ، أوله :

أما بعد التبرك باسم الله العظيم ، والتيمن [1] بالصلاة على رسوله محمد الكريم ، فإنّ البلاغة تنقسمُ قسمين : منظوماً ومنثوراً . والترجيح بينهما يمٌّ قد خاض فيه الخائضون ، وميدانٌ قد ركَض فيه الرّاكضون . ورأيي [أن القريض [2]] قد تزّين من الوزن والقافية بحلة سابغة ضافية ؛ صار بها أبدعَ مطالع ، وأنصعَ مقاطع ، وأبهرَ مياسم ، وأنورَ مباسم . وقد كنتُ مولعاً بترصيعه وتصنيعه مائلاً في تقريطه وتشنيفه إلى مرتبة كنت أعدها أعلى المَراتب ، ومنقبةٍ [٣/ب] كنتُ أعتقدها أسنى المناقب . إلى أن رفضتُه رفض الشُّعلة للزّناد ، ونفضتُه نفضَ القادِم الغانم جافَّ الزاد . فنزعتُ منزعاً كريماً من عِلم الديّانة . واقتصرتُ من قسمي البلاغة على قسم الكتابة ، لأنها أنجحُ عاملاً ، وأرجحُ حاملاً ، وأكرمُ طالباً ، وأسلمُ جانباً . وأنا ذاكرٌ ـ إن شاء الله تعالى ـ من هذين الفنَّين ما يُعلم به أنّي ما تركتُ الشعر عجزاً عنه ، ولا اتّخذتُ النثر بدلاً بئيساً [3] منه ، بحول الله .

ولّما ملتُ ـ أعزك الله ـ بالطالع الى التفقه في الشرع ، كرهت أن يُخلق

= المعري قد شرح ما في السِّقط استجابة لرغبة بعض تلامذته وسمى شرحه « ضوء السقط » .

ـ وشرح (سقط الزند) شراح كثرٌ ، فيهم ابن السيد البطليوسي الذي عُني بشرح كثير من شعر المعري .

ـ انظر الجامع في أخبار أبي العلاء وآثاره (٢ : ٧٦٣) ومقدمة سقط الزّند (طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة) .

(١) في الأصل التّيامن (والتيامن : الذهاب ذات اليمين) . وإنما هو التيمّن من اليُمن .

(٢) بياض في الأصل . والعبارة مستدركة من فقرة أُخرى كتبها في فصل « الترجيح بين المنظوم والمنثور » الورقة ٦/ب .

(٣) في الأصل : يئساً . قرأها في « تعريف القدماء » يأساً . ولعل ما أثبتناهُ أقرب إلى المقصود ، وإلى رسم الكلمة .

برد الشباب قبل أن أطرّزه بِعلم المتاب . فعمدت إلى (خُطبةِ الفَصيح) [1] فعارضته بـ (خُطبة الإصلاح) وأولها :

« الشَّبابُ بحرٌ سفينةُ التقّوى ، لا الفُسحَةُ بالبَقْوى [2] فقد يُثمر الصِّغر ما يجتنيه الكبر ؛ كالقتادة أوّلها خَضِرةٌ نضِرة ، فإذا أخذت بالجفُوف قابلتك بألذع من السيوف ! ولما غَمرني بِضوْجِه [3] مزبد موجه ، ونادِيتُ بعض الأناسي ، فأسلمني كالحُوت المنسي ، تذكرت قوله سبحانه :﴿ **فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ في بَطْنِهِ إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ** [4] ﴾ . فنزّهت كلمي عن تقريض [5] المخلوق ، وطيّبتهُ من تَمجيد الخالق بآرَجِ خَلُوق . وجعلتُه في أوفى خِفارة ، ورجوتُه لِما دَرج كفّارة » .

فأنشأتُ هذه الخُطبة مشتملة على كتاب (المُنَخَّل) وهو مجرد (إصلاحُ المَنطِق) [6] ، المحيط بجميع فوائده ، دون تكراره وشواهـده . وإنما خصصته لأشياء ، منها : ما سأله مؤلفه في صَدره من التَّقييض ، والثّاني : ما شهدتْ به رسالةُ الإغريض ، والثالث : تعرّيه من أبيات القريض ، لتكون هذه الخطبة [٤/أ] كخطب الجمهور ، عاريةً من المكروه والمحجور . وهذا

---

(١) روى ابن خير الإشبيلي كتاب خطبة الفصيح في جملة مرويّاته من آثار المعرّي وقال ( ) : « خطبة الفصيح » لأبي العلاء المعرّي ضمّنه جميعَ ما حوَاهُ (الفصيح) ـ لثعلب ـ خطبة في تحميد الله تعالى وما قاربه من العِظات .

(٢) البقوى (بالفتح ، وبضم) البَقاء .

(٣) الضَّوج (وجمعه أضواج) : مُنعطف الوادي .

(٤) الصافات : ١٤٣ ، ١٤٤ .

(٥) التقريض ـ كالتّقريظ ـ المدح والثّناء .

(٦) كتاب (إصلاح المنطق) لأبي يوسف يعقوب بن السكّيت (١٨٦ ـ ٢٤٤) ، والسكيت لقب أبيه إسحاق . وهو كتاب في اللغة مشهور « ضمنه أبواباً يمكن بها ضبط جمهرة من لغة العرب » .

المسلك الذي دَحونا حَصاه [1] ، ولَحونا أعصاه ، لم تَخْفَ شقة ساحته ، ولا جهلت مشقّة مساحته . أسأل الله أن يجعلَ مُقتضاه موجب عَفوه ورضاه ، وألّا يجعلنا ممن يُضاهي الجاريةَ بسواكِ [2] سيره ، ويرى السُّحقَ أشاءً [3] بأرض غيره . وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت واليه أنيب .

« الحمد لله الذي بحكمته استأسدت أسد واستكلبت [4] سلول . وكلتا [هُما] تجري بها الى النَّاقبةِ [5] ذَلُول . يا ذلول يا ذلول . إنّ ظهر [ك لملول [6]] . ألأنفك عِران [7] أم لظهرك أونان [8] . هيهات ما لك فَودان . ولا ظهرٌ ولا يدان . لكن لك بقدرة الله اضطلاع ، ما ملكته رُعَينٌ ولا كلاع [9] . يا أمّ دَفر أوّنَ [10] ثديك بَطني ، وما قلت حسبي ولا قطني . يا حار احفلْ بحفلك ، لأخيكَ وطِفلك . ولا يكن سَحابُك سيفاً ولا معروفُك هَيفاً [11] ، يُعيي الطالبين . ليس الجمال في شَعرٍ جَثل [12] ، لكنّه في إطعام

---

(١) في الأصل : « دحَونا عصاه ، ونجونا أعصاه » والمثبت مُقترح .
ـ ودحا المطرُ الحصى عن الأرض : كشفه ونزعه ودفعه . ولحا (بالواو والياء) قشر .

(٢) السواك : السير الضعيف .

(٣) السحق ج سحوق : النخلة الطويلة ، الأشا : صغار النخل ، مفردها أشاءة .

(٤) في تعريف القدماء : ٤٤٤ آثر إبدالها بكلمة استسلمت مراعاة للاشتقاق .

(٥) الناقبة : الهلكة والنكبة .

(٦) ما بين معقوفتين زيادة عن تعريف القدماء .

(٧) العران : عود يجعل في وترة انف البعير ، وهي ما بين المنخرين .

(٨) الأونان مثنى اون وهو : احد جانبي الخرج .

(٩) رعين وكلاع : قبيلتان من قبائل حمير .

(١٠) في القاموس : أوّن الحمار ـ بتشديد الواو ـ اكل وشرب حتى امتلأ . وأُمّ دَفر : كناية عن الدنيا .

(١١) في القاموس : الهيف : ريح حارة تأتي من نحو اليمن ، تيبس النبات وتعطش الحيوان وتنشف المياه .

(١٢) الشعر الجثل : الكثيف الغليظ .

يوم مَحل . ليس الحُسن في شعرٍ وحف [١] ، لكن في بدار إلى الخيرات وزحف . رُبَّ مَعَر زعر [٢] رفق بمسكين مُعتّر ؛ فأعطاه الله في الآخرة شعراً أحْجَن [٣] مِسكيّاً ، طيّبَ العرف ذكياً ، جلّ عن ربّاتِ الخُدور . يا جفينةُ [٤] ما فعل جفناك : جفن العين وجفن خبيئة العين . أعندك لهما خَبر ، أو غَبرا فيما [٦] غَبر ؟ يفنى كلُّ شَيّ ، ولا يبقى سِوى الواحد الحَيّ » .

قد ذكرتُ ـ أعزَّك الله ـ ممّا جاريتُ [٧] به أبا العلاء نُتفاً ، وناولتكَ مما ضاهيتُه به طُرَفاً . وكأنّي بالناظر في هذه الرسالة بقول إذا قرأ هذه الفصول : أيّ فتى لو ميّز حده فوقف عنده . وعرف [٤/ب] قدر نفسه فلم يزد فيه على همسه . ورأى بون ما بين الأرض والسماء [٨] ، فلم يتطاول الى مناهضَةِ أبي العلاء . وتالله إني لأعلم قَدري ، ومساحة صَدري ، ومثقالَ فهمي ، وغَلوة [٩] سهمي ، وقُصوري عن أقصر إشاراته ، وعجزي عن أدنى عباراته . ولكن نُوزعت الظلّ فادَّعيت الجدار ، وأُبعدت عن العُقر [١٠] فاقتعدتُ الدار . وهيهات ! ما ناهضتُه في (سقط الزّند) إلا بما لففتُ بهِ رأسي

---

(١) الشعر الوحف : الكثيف الأسود .

(٢) المعر (بفتحتين) قلة الشعر وسقوطه ، والزعر : قلة الشعر وتفرقه . وفي شرح القاموس : الزعر المعر ، قليل الشعر . والمعتر : الفقير .

(٣) في الأصل : أحصى ؛ والأحجن : المسترسل الذي في اطرافه شيء من تحجن : اي تعوج .

(٤) يشير الى المثل : وعند جفينة الخبر اليقين . ويروى : جهينة . وانظر فصل المقال : ٢٣٩ والميداني ٢ : ٣٢ .

(٥) في الأصل لها .

(٦) في الأصل : فيها .

(٧) في الأصل : جريت .

(٨) في الأصل : السماء والأرض .

(٩) غلا بسهمه : رمى به أقصى الغاية .

(١٠) العقر : محلة القوم .

حياءً من المجد [1] وما أنا في مُضاهاتِه في رسالة (الصاهل والشَّاحِج) إلا كمن ضاهى بالنُّغمة عُبابَ البحرِ المائج . وما أنا في مُعارضته في (خطبة الفصيح) . إلا كمن عارض بالنَّفَس هبوب الريح . فليجفّ قلم المعترِض ، وليخبْ سهمُ [2] المتعقّب المغرض [3] ، إن شاء الله .

فصل

وأما المجلس الرابع ـ أَعزَّك الله ـ فقد شاهدته ورأيته ، وسمعتُ قوله فيه ووعيته ، من أنّي لا أقابل كل طبقةٍ بما يُشاكلها من اللّفظ ويوافقُها ، ولا أُخاطب كلَّ فرقة بما يشاكِهُها من المعنى ويطابقُها . وأنّي لا أُفرق بين من يُكتب إليه (أدام الله عزّك !) وبين من يُكتب إليه : (أعزَّك) . ولمّا كان في قوله ردُّ شهادتك التي تبرَّعَ بها بارعُ سيادتك ، رأيت أن أُصدّق حُسن انتقادك ، وأحق جميل اعتقادك [بـ] هذه الرسالة التي ابتدعتُها قالباً [4] يفرغ عليه ، واخترعتُها إماماً يُفزع إليه ، تُحرز ما أنعم الله به على الإنسان من علم البَلاغة والبيان .

وإنما خصصتُ المنثورَ لأنّه الأَصلُ الذي أَمِن العلماء ـ لامتزاجه بطبائعهم ـ ذهابَ اسمه فأَغفلوه ؛ وضمن الفُصحاء ـ لغلبته على أَذهانهم ـ بقاء وسَمه فأهملوه . ولم يُحكموا قوانينه ، ولا حَصروا أفانينه [٥/أ] .

---

(١) تضمين لعجز بيتٍ من قصيدة لأبي تمام مَدح بها أبا المغيث موسى بن إبراهيم الرافقي (ديوانه ٢ : ١١٥) وتمامه :

أتاني مَع الرُّكبانِ ظنُّ ظننتُه ... لَفقْتُ لهُ رأسي حَياءً من المَجْدِ

(٢) في الأصل : سم .

(٣) قرأها في : تعريف القدماء : الممرض ، ورجّحت القراءة المثبتة .

(٤) في الأصل : قلباً .

وأما النَّظمُ ، ففرعٌ تولدّ منه ، ونَورٌ تطلّع عنه [1] . فرأى العلماء ـ خوفاً أن تتحيف الأزمان مالٌ اختصّ به من القَوافي والأوزان ـ أن يَعُدُّوا سواكنه وحركاته ، ويُحكموا قوانينه وصِفاته ، ويلقّبوا ذلك ألقاباً ويبوِّبوه أبواباً . فلو نسأ الله في أجلهم إلى أن يسمعوا قول شاعر هذا الزمان :

فما شيءٌ ـ وقد بالغتُ فيه ـ بأحوجَ للبيانِ من البيانِ !

لأجروا النّثر [2] مَجراه ، وحفظوا منه ما حَفظناه . ولكن أبى الله إلا أن يكون لكلّ زمانٍ رِجال ، وفي كل أوانٍ للعقل مجال .

فصل
في فضل البيان

قال الله سبحانه : ﴿ **الرَّحْمنُ عَلَّمَ القُرآنَ . خَلَقَ الإنسَانَ . عَلَّمَهُ البَيَانَ** ﴾ [3] فعدَّد عزَّ وجهه البَيان في جُملة نِعَمه الغامرة ، وذَكره في سائر آلائه الباطِنة والظّاهرة . وقال النبي ﷺ : « **إنّ مِنَ البيان لَسِحراً** [4] » . فقال بعضُ العلماء : هذا ذمٌّ للبيان . واستدلُّوا على أن ذلك مذهبُ مالك بإدخاله هـٰذا الحديث فيما يُكره من الكَلام [5] . وهـٰذا ـ أعزَّكَ الله ـ جَهلٌ ظاهر ، وخَطل

---

(١) تطلّع : يقال طلعت النخلة وتطلعت أي خرجَ طَلْعُها . والطّلعُ غلافٌ يشبه الكوز ينفتح عن حبٍّ منضود فيه مادة إخصاب النّخلة .

(٢) في الاصل : لثمر . وهو يحريف .

(٣) « سورة الرحمن » : ١ ـ ٣ .

اخرج البخاري والترمذي وابو داود من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : (قدم رجلان من المشرق ، فخطبا ، فعجب الناس ـ يعني لبيانهما ـ فقال رسول الله ﷺ : « إن من البيان لسحراً » ، او : « ان بعض البيان لسحر » ، مختصر سيرة ابي داود ٧ : ٢٨٩ . وسيرد الحديث من وجه آخر .

(٥) ورد هذا الحديث في الموطأ ٢ : ٩٨٦ في باب (ما يُكره من الكلام بغير ذكر الله) لا في باب (ما يُكره من الكلام) وهما بابان اثنان .

بَيِّن . وكيفَ يكون ذلك كذلك وبالبيان تُستخرج الحَقائق ، ويُتوصَّل إلى معرفة الخلائق . وقد عدَّده الله عَلينا من آلائه ، وجعله من آيات أنبيائه . وخص منهم نبّينا عليه السلام بالحظ الأوفى ، والقسم الأفضل الأعلى . فكان ﷺ أفصح العرب بياناً ، وأطلقهم بالخير لِساناً ، وأدلاهم بحُجة ، وأنطقَهم بحكمة ، وأنظمَهم بخطبة . ووصفه جلَّ وعز بالبيان فقال : ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِم ﴾ (١) [٥/ب] وقد مَدحت العرب بالبيان ، وذمَّت من جهله . وقال صاحبُ المنطق (حدُّ الانسان : الحيُّ ، الناطق ، المُبين) (٢) . فَمن كان أعلى في المنطق رتبة كان بالإنسانية أولى .

وقال بعضُ العلماء : إنما عنى رسول الله ﷺ من البيَان ما يقصد به التلبُّس في الحق والتّمويه ، حتى يتشبه بالسِّحر الذي يأخذ بالسمع والبصر . قال : فهذا النَّوعُ من الكلام هو الذي كره النّبي عليه السلام . وأما غيره فليس بمكروهٍ مذموم ، بل هو من أجلّ المعارفِ والعلوم .

والذي عندي في ذلك : أنّه ليس في قوله عليه السلام كراهية ، وأنه خارجٌ مخرج المثَل . والدليل على ذلك ما روي من أنه كان سبب قوله ذلك أنّ وفداً وردوا عليه ﷺ فيهم قيسُ بن عاصم ، والزِّبرقان بن بدر ، وعمرُو بن الأهتم . ففخَر الزبرقان فقال : يا رسول الله ! أنا سيّد تميم المطاع فيهم ، والمجاب منهم ، آخذ لهم بحقوقهم وأضعُ من الظلم ، وهذا يعلم ذلك مني ؛ يعني عمرو بن الأهتم . فقال عمرو بن الأهتم : إنّه لشديدُ العارضة ، مانعٌ لحوزتِه ، مطاعٌ في أدانيه . فلم يرضَ عنه الزبرقان بذلك ، وقال : أما إنّه

---

(١) « سورة النحل » : ٤٤ .

(٢) في الأصل : . . الناطق الميت . والتصويب من البيان والتبيين ١ : ٧٧ .

قد علم أكثر مما قال ، ولكنه[1] حسدني مكاني منك ، يُخاطب النبي عليه السلام . فأثنى عليه عمرو شَرّاً فقال : أما لئن قد قال ما قال ، لقد علمتُه ضيّق الصّدر ، زَمِر المُروءة ، أحمق الأب ، لئيم الخال ، حديثَ الغنى ، ثم قال : والله يا رسول الله ما كذبت عليهِ في الأولى ، ولقد صدقت عليه في الأخرى [٦/أ] ولكن أرضاني فقلت بالرِّضا ، وأسخطني فقلت بالسخط ! فقال رسول الله ﷺ : إن من البيان لسحراً[2] . فقولهُ هذا خارجٌ مخرج المثَل كما قلنا فيه . وليس فيه إنكارٌ على عمرو ولا كراهية لقوله ؛ لأن عَمراً لم يكذب ، وإنما قال الحق[3] أولاً وآخراً . كما فعل غيلانُ بن خرشة الضبّي[4] ، وقد مرَّ مع عبد الله بن عامر[5] بنهر أمّ عبد الله[6] الذي يشق البصرة . فقال عبد الله : ما أصلح هذا النهر لأهل هذا المصر . فقال غيلان : أجلْ أيّها الأمير ، يتعلمُ فيه العومَ صبيانهُم ، ويكون سقاءهم ومسيل مياههم ، ويأتيهم بميرتهم . قال : ثم مرَّ غيلانُ يُساير زياداً على ذلك النهر وقد كان عادى[7] ابن عامر فقال زياد : ما أضرَّ هذا النهر بأهلِ هذا المِصر !

---

(١) في الأصل : ولكن .

(٢) أخرج الطبراني في المعجم الاوسط والكبير عن أبي بكرة قال : « كنا عند النبي ﷺ فقد عليه وفد بني تميم عليهم قيس بن عاصم ، وعمرو بن الأهتم ، والزبرقان بن بدر . . . » وساق الحديث بألفاظ قريبة مما أورده الكلاعي . انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ الهيثمي ٨ : ١١٦ - ١١٧ .

(٣) في الأصل : « الحق الحق » مكرّرة ، ورأيت حذف التكرار .

(٤) الخبر في البيان والتبيين ١ : ٣٩٤ - ٣٩٥ ، والحيوان ٥ : ١٩٨ .

(٥) هو عبد الله بن عامر ، من ولاة عثمان رضي الله عنه . ولاه البصرة وضم إليه فارس فافتتح خراسان وسواها . وولاه معاوية البصرة ، توفي سنة ٥٩ .

(٦) نهر أم عبد الله بالبصرة ، منسوبٌ إلى أم عبد الله بن عامر بن كريز أمير البصرة (معجم البلدان ٥ : ٣١٧)

(٧) في الأصل : عدى ، والتّصويب من البيان والتبيين .

فقال غيلان : أجل أيُّها الأمير تَنزُّ منه دورُهم ويغرق فيه صبيانُهم ، ومن أجله يكثُر بعوضُهم . فقال حقّاً أوّلاً وآخراً .

واحتج بعضُهم في ذمّ البيان أيضاً بقوله ﷺ : ما أعطي عبدٌ شرّاً من طلاقة اللسان . وليس كما تأوّلوه . وإنما عنى ﷺ : الذي يُطلقُ لسانه لا يُبالي بما نطقَ به من خير أو شر . وطلاقةُ اللسان وكثرة الكلام داعية لقول الزور ، والخوض في المهجور . ومَن صفتُه الإكثار [لا] يؤمن [1] عليه العِثار . ومن كلامهم : « من أكثر أهجر [2] » . وقد بيّن مراده ﷺ بقوله ـ في حديث آخر ـ وهو أنّ رجلاً تكلّم عنده ، فقال له النبي عليه السلام : كم دونَ لسانك من حجاب ؟ فقال : شفتاي وأسناني . فقال : الله يكرَهُ الانبعاق [3] في الكلام [٦/ب] فنضّر الله وجه رجلٍ أوجزَ في كلامه ، واقتصرَ في حاجته . وقولُه هذا ﷺ يدلُّ على فضلِ الايجاز على الإطالة والإسهاب ، الذي مالت إليه ، وعولتْ عليه ، طائفةٌ من الكُتّاب .

والإيجاز من أنواع البَديع [4] : ما قلَّ لفظُه وكَثُرَ معناه . والبيانُ : روحُ الكلام . وقال بعضهم [5] : الرُّوح عماد البدن ، والعلمُ عماد الروُّح . والبيانُ عِماد العلم [5] . فمن جَمع بين الإيجاز [والبيان] فقد حاز قصبَ السَّبق والإحسان .

---

(١) في الأصل : « ويؤمن » . والمعنى يقتضي ما أثبت .

(٢) المثل في فصل المقال : ٢٤ . والهجُر ـ بضم الهاء ـ القبيح من الكلام .

(٣) نقل في النهاية في غريب الحديث : « بعَق » من الحديث « كان يكره التبعُّقَ في الكلام » ويُروى : الانبعاق ، أي التوسُّع فيه ، والتكثر منه .

(٤) انظر في الايجاز : « تحرير التحبير » : ٤٥٩ وإحالاتِه على كتب النقد والأدب والبلاغة في حواشيه .

(٥ ـ ٥) نسبه الجاحظ في البيان والتبيين ١ : ٧٧ الى ابن التوأم .

فصل
في الترجيح بين المنظوم والمنثور

قد ألمحنا بهذا الفصلِ في كتابنا المعروف بـ : (ثمرة الأدب) . ولا بأس أن نأتي هنا منهُ بطَرف مستطرف مُستغرب إن شاء الله . فنقول : إنّ الترجيح بين المنثور والمنظوم يَمٌّ قد خاضَ فيه الخائضون ، وميدانٌ قد ركضَ فيه الراكضون . ورأيي أنّ القريضَ قد تزيَّن من الوزن والقافية بحُلةٍّ سابغةٍ ضافية ، صار بها أبدع مطالع ، وأصنعَ مقاطع ، وأبهرَ مياسم ، وأنور مباسم . وأبردَ أُصُلاً ، واشرد مثلاً ، وأهزَّ لعطفِ الكريم ، وأفلَّ لِغَرب [1] اللئيم . لكن النَّثر أسلمُ جانباً ، وأكرم حاملاً وطالباً . وقد قال رسول الله ﷺ : « **لأن يمتلىءَ جوفُ أحدكم قيحاً خيرٌ له من أن يمتلىء شِعراً** »[2] ، ولم يقل كتابةً ولا خَطابة ؛ لأن الشّعر داع لسوءِ الأدب ، وفسادِ المُنقلب . لأنه ـ لضيقه وصُعوبة طريقه ـ يحمل الشاعر على الغلوِّ في الدين ، حتى يؤول الى فساد اليقين . ويحملُه على الكذب ؛ والكذبُ ليس من شِيم المؤمنين .

ومن كلام بعض البُلغاءِ : إيّاك والشاعر فإنّه [٧/أ] يطلبُ على الكذِب

---

(١) كففت من غربه : أي حدته .

(٢) أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود وابن ماجة ، وفيها ـ عدا أبي داود ـ (قيحاً يريه) وفي روايات اخرى (حتى يريه) . انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ١٠ : ٤٥١ . وصحيح الترمذي بشرح ابن العربي ١٠ : ٢٩١ ـ ٢٩٢ ، ومختصر سنن أبي داود ٧ : ٢٩٠ . وفي فتح الباري قال ابن بطال : ذكر بعضهم ان معنى قوله « خيرٌ له من أن يمتلىء شعراً » يعني الشعر الذي هُجي به النبي ﷺ . وقال أبو عبيد : والذي عندي في هذا الحديث غير هذا القول ، لأن الذي هُجي به النبي ﷺ لو كان شطر بيت لكان كُفراً ، فكأنه اذا حمل وجه الحديث على امتلاء القلب منه أنه قد رَخص في القليل منه . ولكن وجهه عندي : انما يمتلىء قلبه من الشعر حتى يغلب عليه فيشغله عن القرآن ، وعن ذكر الله ، فيكون الغالب عليه . فأما إذا كان القرآن والعلم الغالبين عليه ، فليس جوفُه ممتلئاً من الشعر . انظر ١٠ : ٤٥١ ـ ٤٥٣ .

مَثُوبة ، ويقرِّع جليسه في أدنى زلة ! وقال الأصمعي : « الشعر نكدٌ بابُه الشر ، فإذا دَخل في الخير ضَعُف . هذا حسّان بن ثابت فحلٌ من فحولِ الجاهليّة ، فلما جاء الإسلام سقط شعره ! [1] » . وحسبُك هٰذا من معايب الشّعر !

وكتب عبد الله بن أبي ربيعة [2] إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه : إني قد اشتريتُ لكَ غلاماً شاعراً ؛ فكتب إليه عثمان رضي الله عنه : لا حاجة لي به . اردُدْهُ ، فإنما حظ أهلِ العبد الشاعر منه إذا شبع أن ينسب [3] بنسائهم ، وإن جاع أن يهجوهم . وهذا كلُّه من معايب الشعر !

ومن معايبه أنه قلّما يُجيده إلا مكتسب به . والدليل على ذلك قولهم : اللُّهى تفتق اللَّهى [4] وقولهم : بيع الشعر بالسِّعر ، وقولهم : لسان الشاعر أرض لا تُخرج الزهر حتى ينسكب المطر ! وقال أبو سعيد المخزومي [5] :

الكلبُ والشَّاعِرُ في حالةٍ ... يا ليت أنّي لم أكنْ شاعِراً !

أما تَراهُ باسِطاً كفَّه ... يستطعِمُ الوارِدَ والصّادرا ؟

---

(١) هذا الحكم النقدي مشهور للأصمعي تداوله القُدماء ، وأعادَ فيه المحدثون . (مثلاً : الشعر والشعراء ١ : ٢٦٥ ، وطبقات فحول الشعراء : ٤٢) .

(٢) هو والد الشاعر عمر بن أبي ربيعة ، كان تاجراً موسراً من تجّار مكة في الجاهلية ، وكان متجره في اليمن . . . ولي منطقة (الجَنَد) باليمن عاملاً للنبي ﷺ والخلفاء من بعده . وتوفي في طريقه الى المدينة قادماً لنصرة عثمان رضي الله عنه بعد حصاره ؛ سنة ٣٥ .
(الكامل لابن الأثير ٣ : ٢٠٠ ومواضيع أخر)

(٣) من النسيب والغزل .

(٤) في أساس البلاغة : اللُّهى تفتَحُ اللَّهى : أي العَطاء . (اللُّهى بضم اللام جمع لُهوة وهي العطية . واللَّهى بفتح اللام جمع لَهاة وهي أصلاً اللحمة المشرفة على الحلق . ويقال : فلانٌ تُسَدُّ به لِهوات الثغور) .

(٥) البيتان لأبي سعيد المخزوميّ ، في (نثر النظم وحلّ العقد) للثعالبي : الصفحة ٤) .
و (شرح مقامات الحريري للشريشي) ١ : ٢١٦ .

وما أعدَل قول أبي العلاء في خُطبة الفصيح :

« الشّعر إذا جُعل مَكسباً لم يترك للشاعر حسَباً . وإذا كان لغير مَكسب حَسن في الصّفات والنَّسب . ما لم تُسبَّ المُحصَنة ، وتعد للعارِ المُرصَفة [1] ؛ فاتقّ ربك . واذا رأيت الشاعر فلا تقل : ﴿ **والشُّعَراءُ يَتّبِعُهمُ الغَاوُونَ** ﴾ [2] فإنّ الآية وُصلت باستثنا [3] . وجنى السّيئةِ شرُّ الجَنى . لا تجهلوا فضيلة الشعر فإنّه يُذكِّر الناسي ، ويحل عزمة الفاتك ، ويعطف مودَّة الكاشح ، ويشجّعُ الجَبان : [٧/ب]

وإنَّ أشعرَ بيتٍ أنتَ قائلهُ بيتٌ يقال إذا أنشدته : صَدَقا [4] » .

صدق أبو العلاء وأنصف . إنَّ جَنى السيئة شرُّ الجنى كما وصَف . ما كذَب في قولِه ولا فرَّط . ولكن من لنا بما شَرط ؟ .

ومن معايب **الشّعر** أنّه يحملُ الشاعرُ على خِطاب الممدوح بالكاف ، ودُعائه باسِمه ، ونسبه إلى أُمّه . وهذا كله من سُوءِ الأدب ، أو داع إليه .

ومن معايب الشعر ما فيه من الوَزن ، لأن الوزْنَ داعٍ للترنُّم . والترنم من باب الغِناء ، وقد قال بعضهم : الغِناء رُقية الزنا [5] . وقال الكِندي [6] : الغناء

---

(١) في الأصل رسم يشبه : العصينة . ورسمها في تعريف القدماء : ٤٤٦ « العصنة » ولم تتوجّه . ـ وقرأتها ـ كما ترى ـ المرصنة . قال في اللسان (رصَن) : يقال : رصنتهُ بلساني رصْناً وشتمتُه .

(٢) سورة الشعراء ٢٢٤ .

(٣) بتسهيل همزة « استثناء » مراعاة للازدواج .

(٤) البيت لحسان بن ثابت ثاني بيتين في زيادات الديوان (١ : ٤٣٠) وقبله :

وإنّما الشّعرُ لبُّ المرء يعرضُه على المجالس إنْ كيْساً وإن حُمُقا

وإن أشعر بيتٍ . . . الخ . الديوان بتحقيق الدكتور وليد عرفات ـ بيروت .

(٥) في العقد (٣ : ٧٧) : من أمثال أكثم بن صيفي وبزرجمهر : الغنا رُقية الزّنا .

(٦) قطعة من العبارة في الشريشي ٢ : ١٧٥ .

بِرسامٌ حادّ ، لأن المرء يسمَعُ فيطرب ، ويطرب فيسمَحُ ، ويسمح فَيُعطي ، ويعطي فيفتقر ، ويفتقر فيغتّم ، ويغتُّم فيمرض ، ويمرضُ فيموت !

وأما الكتابةُ فبعيدةٌ عن هذا كُلّه ، سليمةً مما يدعو إلى المهجور ، أو يتشبّث بالمحجور . ولذلك نزّهتْ طائفةٌ من العلماء اسم الله تعالى عن الاستفتاح به فكتبوا في أوّل قصائدهم بذكر (الله أكبر) ، فمتى ما كتبوا رسالة أو خُطبة لم يفعلوا ذلك وكتبوا : بسم الله الرحمن الرحيم . وفي هذا كله دليل على فضل الكتابة على الشّعر .

ومما يدلُّ على ما أوردته ويقضي بصحة ما ذكرتُه أنّك تجد الكتّاب والبلغاء أكثَر أخباراً من الشُّعراء ؛ أمراً شائعاً فيهم ، ومعهوداً منهم . ومن الدّلائل على ذلك أنّ الكتابة والشعر شيئان متنافران ، لتنافر طبائع أهلهما . ومن أمثالهم : « اثنان قلّما يَجتمعان : اللّسانُ البَليغ ، والشعر الجيد »[1] .

[٨/أ] ولستُ بمنكر ـ مع هذا كله ـ فضائلَ الشّعر ، ولا قول الرسول عليه السلام ، والصّحابة ، رضي الله عنهم ، فيه . ولكّن القوم غيرُ هؤلاء القوم ، واليوم غير هذا اليوم . والله يستعملنا فيما يُرضيه ، ويكون لنا الخير أجمع فيه ، بقدرته .

فصل
في الكتابة وآدابها ، وما يتعلق بها من أسبابها

قال الله سبحانه : ﴿ **إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالقَلَمِ . عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾[2] .

---

(١) البيان والتبيين ١ : ٢٤٣ .

(٢) سورة العلق ٣ ـ ٥ .

فنبّه عزَّ وجلّ على هذه النِّعمة التي أنعم بها علينا ، والمِنّة التي أسداها إلينا فتفقَّهنا بها في حَقائق الاسلام ، واستَدْللنا بها على الطرق المؤدية إلى دار السلام . وقال بعضُ العلماء [1] : الكتابةُ من حَلي الملائكة . قال الله تعالى : ﴿ كِرَاماً كاتِبِيْنَ . يَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ ﴾ [2] . فالواجبُ على ما آتاه الله هذه الفضيلة ، وبوّأه هذه الدرجة الرفيعة ، وعلَّمه فصول الخطابة ، وفقَّهه في ضروب الكتابة أن يُطهّرها من دَنس القبائح . فيخزنَ لسانه عن الغيبة ، ويخلعَ نعل الدّناءة ، ويمتطيَ صهوةَ العافية ، ويكون بعيد الهِمّة ، نزيه النفس ، حسن الهيئة ، منتخباً ـ إن ساعدته الجدَةُ ـ آلة الكتابة ؛ فقد كان ابن الفَيَّاض [3] كاتب سيف الدولة [4] يعجن مداده بالمسك ، ولا تُلاقُ دواته إلا بماء الورد ، تفادياً من قول القائل [5] :

دَعِيٌّ في الكِتابة ، لا رَوِيٌّ ... لهُ فيها يُعدُّ ، ولا بَدِيهُ

كأنَّ دواتَهُ من رِيْقِ فِيهِ ... تُلاقُ [6] ، فريحُها أبداً كَرِيْهُ

[٨/ب] وإيثاراً لِما قال الآخر [7] :

---

(١) العبارة لابن برد الأصغر في الذخيرة ، القسم الأول ، المجلد الثاني : ٢٨ .

(٢) « سورة الانفطار) : ١١ ـ ١٢ .

(٣) ابو محمد عبد الله بن عمرو بن الفياض كاتب سيف الدولة ونديمة (ذكره الثعالبي في يتيمة الدهر ١ : ٧٢ ـ ٧٤ . وذكره في ١ : ٩ باسم عبد الله بن محمد بن الفياض . وانظر فهرس اليتيمة : ٣١٣) .

(٤) يتيمة الدهر : المصدر السابق .

(٥) البيتان مع ثالث لهما في أدب الكتاب للصولي : ١٠١ باختلاف قليل .

(٦) لاق الدواة وألاقها : أصلح مدادها .

(٧) البيتان في أدب الكاتب للصُّولي (٩٣ ـ ٩٤) من أبيات لأحمد بن إسماعيل برواية مختلفة قليلاً . وهما برواية المؤلف في يتيمة الدهر (١ : ٧٣) ووصف الثعالبي الشاعر المذكور بأنه أخذ بطرفي النظم والنثر .

في كَفِّهِ مثلُ سِنانِ الصَّعْدَهْ أرقَشُ بَزَّ الأفعوان جِلْدَهْ

كأنَّما النِّقْسُ إذا استمدَّه غاليةٌ مدقوقةٌ بنَدَّه [1]

ومما يَجِبُ على الكاتب : أنْ يجيد قلمه ، فهو ترجُمانه ولسانُه وسنانُه . ومن كلامهم : « القلم أحد اللّسانين » [2] . وقال الشاعر :

من خَطّ يَوماً ببريةٍ فَسدتْ أصاب أعضاءَ خطِّهِ خَدَرُ

وقد [3] حل عقد هذا النظم ابنُ بُرد الأصغر ، فقال [4] : فسادُ القلم خَدرٌ في أعضاءِ الخَطّ . ومن كلامه في صِفة القلم : يشرب ظلمة ويلفظ نوراً . قاتل الله القلم ، يفلُّ [5] السِّنان وهو يُكسَرُ بالأسنان .

وقال الشاعر [6] :

إذا أقْسَم الأبطالُ يوماً بسيفِهم وعَدُّوهُ مِمّا يُكسبُ المجدَ والكَرمْ

كفَى قلمَ الكُتّابِ مَجْداً ورِفعَةً مَدى الدَّهرِ أنّ الله أقْسَم بالقَلَمْ !

---

(١) القناة تنبتُ مستوية فلا تحتاج الى تثقيف . والغالية ضرب من الطيب كالمسك والعنبر . والندّ : ضرب من الطّيب يُتبخّر به .

(٢) في العقد (٣ : ٧٧) من أمثال أكثم بن صيفيّ . وفي (ألف باء) لابن الشيخ البلوي ١ : ٧٨ .

(٣) في الأصل : ومن . وأثبت ما يناسب المقام .

(٤) ورد البيت السابق في الذخيرة ١/١ : ٤٩٦ في ترجمة ابن بُرد الأصغر. والفقرات المقتبسة في الذخيرة ثمّة .

(٥) في الذخيرة : . . . كيف يفلّ .

(٦) البيتان في صبح الأعشى (٢ : ٤٤٥) لأبي الفتح البُستي .
وهما في ملحق الديوان : ٣٦٥ مخرجاً على عدد من المصادر . وروايته :
« إذا افتخر . . . » . ديوان أبي الفتح البستي من كتاب : (أبو الفتح البستي : حياته وشعره) للدكتور محمد مرسي الخولي رحمه الله . ـ طبع دار الأندلس ـ بيروت .

وفي الحديث [1] : « إنَّ القَلم أوّل مَخلوق » . ومما يجبُ على الكاتب : أن يستجيدَ سِكّينه فهو طبيبُ أقلامه ، وصِنوُ حُسامه . قال الشاعر :

ومُـرْهَفـةٍ أرقَّ شبـاً وأمْـضـى وأقطعُ من شَبا حدِّ الحُسامِ [2]

تُعـانِقُ في الـدُّويِّ قَنـا يَـراعٍ وتَنفي مـا اشتكَيْنَ من السّقـامِ

والدُّويُّ جمع دَواة . ومن كلامهم : الدَّواة أنفعُ الأدوات كالقلب ، والقَلم كـالخاطـر ، والصَّحيفة كـاللّسان . وهي المَحْبَـرة ، والمَحْبُرة ، والمِحبَرة . وهـذا مِمّا شذَّ عن أصله .

وحكى أبو هِفَّان قال [3] : سألتُ ورَّاقاً عن حاله فقال : عَيشي أضيقُ من محبرة ، وجسمي أدقُّ من مسطرة ، وجاهي [٩/أ] أرقُّ من الزُّجاج ، ووجهي عند الناس أشدُّ سَواداً من الزَّاج ، وخطّي أخفـى من شِقّ القلم ، ويدي أضعف من قصبة ، وطعامي أمرُّ من العَفص ، وسوءُ حالي ألزم لي من الصَّمْغ . قال فقلت : عبَّرت [عن] بلاء ببلاء [4] ! .

وينظر إلى قوله : « وخطي أخفى من شق القلم » قول أبي الطّيب :

---

(٣) في سنن أبي داود وغيره عن النبي ﷺ أنه قال : أول ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتبْ ، فقال : ما أكتب ؟ قال : ما هو كائن الى يوم القيامة » وانظر مجموع الرسائل الكبرى لابن تيميّة ٢ : ٦٦ . والحديث في مجمع الزوائد ٧ : ١٢٨ عن ابن عبّاس رضي الله عنه من وجه آخر ـ وفي صبح الأعشى (٢ : ٤٤٠) حديث مفصّل عن الدواة .

(٢) السّكين (تذكر وتؤنث) ، وهي المُدية أيضاً .

(٣) الخبر في أدب الكتّاب للصُّولي : ٩٧ وزهر الآداب ١ : ٥١٢

(٤) استخدم الورّاق في جوابه موادّ صنعته ، وأحسن في إشارته ؛ وهي المحبرة ، والمسطرة ، والزّجاج ، والزّاج ـ وهو في القاموس ملحٌ معروف ، قال في حاشيته : وهو الشبّ اليماني ـ والقلم ، والقصبة ـ ومنها تتّخذ أنواع من الاقلام المختلفة ـ ، والعفص وهو اسم لشجر ، ولثمر يثمره أيضاً ، وهو دواء قابضٌ ويتخذ منه صبغ بمعالجة خاصة ، والصمغ .

ولـو قَلَمٌ أُلقيتُ في شِقّ رَأسِـه من السُّقمِ ما غَيَّرتُ من خَطِّ كاتِبِ[1]

وقد حلّ الصاحبُ عَقد نظمِ أبي الطّيب ، ونظم الآخر إذ يقول [2] :

ضَنِيتُ حتّى صِرْتُ لو زُجَّ بي في مُقَـلِ النّـائم لم يَنْتَبِـه !

قال الصّاحب : ولو كنتُ شظيَّة في قلم كاتب لما غيّرت خطّه ، أو قذى في جفن نائم لما نبهت جفنه [3] .

ومما يجب على الكاتب : أن يستجيد مقراضه ، فهي آلة يفتقر اليها ، والمدار في تسوية البطاقة عليها . وفيه يقول الشاعر :

وصـاحِـبَـيْـنِ اتّـفـقَـا عـلى الـهـوَى فـاعْـتَـنـقـا

وأقْسَـمـا بـالـوُدّ والـ . . . إخـلاصِ أن : لاّ افْـتَـرقـا

ضـمَّهـمـا [4] أزهـرُ كـالـنّـ . . . ـجم بـه قَـد وُثـقـا

لم يشـكُ في خَصـريـهمـا مـذ ضـمـنـاهُ قَـلقـا [5]

مـن تـحـتِـه عَـيـنـان مُـنـ . . . ـذ انْفتَحا ما انـطَبقا

---

(١) البيت للمتنبّي من قصيدة يمدح بها أبا القاسم طاهر بن الحسين العلويّ .
(ديوانه بشرح الواحدي ١ : ٣٢٨) .

(٢) البيت في يتيمة الدهر (١ : ٨٨) وفيه : قال نصر :

ضـنـيـتُ حـتـى صـرتُ لـو زُجّ بـي فـي نـاظـر الـنـائـم لـم يـنـتـبـهْ

ـ وكلمة (مقل) في الأصل أولى بها أن تكون مقلة فلها وجهه .

(٣) العبارة في يتيمة الدهر ١ : ٨٨ ، منسوبة للصاحب بن عباد باختلاف يسير .

(٤) في الأصل : ضممنا .

(٥) الأصل محرّف ومصحف ، وشكله :

لـم يـشـك فـي حـصـريـهـمـا مـن ضـمـنـاه فـلقـا

وفـوقَـهُ نـابـانِ ، مـا حَـلاّ فَـمـاً مـذ خُـلقـا !

يُـفَـرِّقـان [1] بـيـن كـلّ مَـنْ عـليـه اتَّـفـقـا

فـأيّ شـيءٍ لاقَـيـا . . . هُ أَلـقَـيـاهُ مِـزَقـا

[٩/ب] ومما يجبُ على الكاتب : أن ينتخب جلساءَهُ وأصحابَهُ ، ويجعلَ أحظاهم عنده كتابه . فقد قال الشاعر [2]

عـدوُّك في صـديقـكِ مستفـادٌ فلا تستكثرنَّ من الصِّحاب [3]

فـإنَّ الـدَّاءَ أكـثـرَ مـا تَـراهُ يحولُ من الطَّعامِ أو الشّرابِ !

وقال الجُعفيّ [4] :

أعزُّ مكانٍ في الدُّنـى سرجُ سابحٍ وخيرُ جليسٍ في الزَّمـانِ كتابُ

وما أَحسنَ ما كتب به الحافظ إلى ابن أُخته [5]: « أنت وَلَدي ما دمت والعلمُ شانُك ، والمدرسةُ مكانُك ، والمِحبرةُ حليفُك ، والدَّفترُ أليفُك . وإن قصرت ـ ولا إخالُك ـ فغيري خالُك » .

وقال الآخر :

أنـا أشكـو إليـكَ فقـدَ حبيبٍ قـد فقدْتُ السُّرور منـذ تَـولّى

---

(١) في الأصل : يعرفان .

(٢) هو ابن الرُّومي . ديوانه : (١ : ٢٣١) ، وهما بداية قطعة من سبعة أبيات في : مجانبة صحبة الناس .

(٣) روى في الديوان : « عدوّك من . . . » وهو أولى .
ـ وروى في زهر الآداب : فأقلِلْ ما استطعت .

(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي (ويقال فيه الجعفي) بشرح الواحدي (٢ : ٦٨٣) .

(٥) رسائل بديع الزمان الهمذاني ص : ١٠٧ ، ويتيمة الدهر للثعالبي : ١٢٨

كـان لي مُؤنساً يسلّي هُمـومي بأحاديثَ ، من مُنى النَّفسِ أحلى

عن أبي حـاتِم عن ابن قُـريبٍ واليـزيديّ ، كـل ما كـان أملى

وهـو رهنٌ يشكـو إليـك ويبكي ويُـغنّي قـد آن لي أنْ أُخـلّى

فـتـفـضّـلْ بـهِ عَـليّ فـإنـيّ لـسـتُ إلاّ بـمـثـلهِ أتـسـلّى

فصل

في رتبة الخط ، وتسوية البطاقة ، وختمها

من أمثالهم : « الخطُّ نصف الكتابة » . وقالوا : « ردَاءةُ الخطّ قذىً في عين القارىء »[1] واذا كان الأمر على ذلك ، وجَبت المحافظة عليه ومُعالجة أحكامه . فإنْ عَزَّ ذلك فعليك بترتيبه ، فإنّ الترتيب نصفُ الخط . وترتيبه : استواء حروفه ، والفصلُ المتقاربُ المتناسبُ بينها . ومن ذلك إقامةُ أشكالِه وتبيينُها ؛ فقد قالوا : اكتبوا الكتاب [١٠/أ] لأواخرِ أعمارِكم . ومن تمام رتبته ألا يكثر شكله ونقطه ؛ فقد قالوا : « النَّقط الكثير في الكتاب استِعياءٌ للمكاتَب ، والتخطيط الكثير استخفافٌ به » . ولا يجب أيضاً أن يُغفلا ، فقد قالوا : « إعجام الخطّ يمنع من استعجامه ، وشكلُه يؤمن من إشكاله » .

واستقامةُ الأسطار والفصل بينها أصلٌ جلل في الخط . واعوجاجُها قبيح ، لا سيّما اعوجاج أوائل الأسطار إلى أول الكتاب ، واعوجاج أواخرها إلى أواخره . وقد رأيتُ جماعة من الكتّاب يستسهلون اعوجاج أواخرها إلى أول الكتاب . ومن أحسن ما وُصِف به كاتبٌ مقصِّر :

« كاتب ما عرف قط كيف البَرْيَةُ والقَط ، ولا نسخ سطراً إلا فسخ منه

---

(١) العبارة لابن بُرد الأصغر . الذخيرة ١/١ : ٤٩٦ .

شطراً . ألفاظُه ملحونة ، ومعانيه ملعونة ، ومقاصده خبيثة مكنونة . وحروفه مطحونة . إذا تهجّى هجا ، وإن تكلم شَحّ وشَحا[1] ، أَلِفاته سجود ، ولاماتُه رقود ، وميماته عُقَد لا عقود ، وقافاته واوات ، ونوناته راءات . يَرفع بالنَّواصب ، ويُكثر تنوين النقط الكواذب . ويعمى عن المعنى الجليّ . ويخاطب العدّو مخاطبة الوليّ . وتقرُّ كتبه بما فيها من الفساد ، بأنه قَرَّته عيون الأَعداء والحسّاد .

ومن أَحسن ما قيل في ذلك قول الهمذاني :

« وصل حجم هائل ليس وراءه طائل . وخطّ مجنون لا يدري ألف أم نون . سطورٌ فيها شطور . دبيبُ السَّرطان على الحيطان . وألفاظ أخلاط لا يدركها استنباط ، ولا يقيمها بقراط . هذيان المحموم وسوداءُ المهموم[2] » .

وقال الشاعر : [١٠/ب]

وكاتبٍ كُتْبُه تذكّرني الـ . . . . . ـقُرآنَ ، حتى أظلّ في عَجبِ
فاللّفظُ قالوا : « قلوبُنا غلفٌ[3] » والخطُّ : « تَبّتْ يَدا أبي لَهبِ[4] »!

وقد ذهب بعضم إلى تفضيل دقّة الخط وضعف حُروفه .

ومن كلام أبي عامر بن شُهيد[5] على لسان من اعتقد ذلك :

---

(١) شحا فمه : فتحه .

(٢) في الأصل : الهموم .

(٣) من الآية ٨٨ من « سورة البقرة » .

(٤) « سورة المسد » : ١ .

(٥) هو أبو عامر أحمد بن عبد الملك بن شهيد الأشجعي الأندلسي (٣٨٢ هـ ـ ٤٢٦ هـ) كان من أعلم أهل الأندلس ، وأبرعهم في نقد الشعر ، ولد وتوفي بقرطبة . (انظر ترجمته ونبذاً من شعره ونثره في الذخيرة لابن بسام : القسم الأول ـ المجلد الأول ـ ص ١٩١ . ومطمح الأنفس لابن خاقان : ١٦ ، وبغية الملتمس للضبي : ١٧٨ ، ويتيمة الدهر للثعالبي ١ : ٣٨٢) .
وطبع له مجموع ملتقط من شعره في بيروت بعناية شارل بلا ، وفي القاهرة بعناية يعقوب زكي .

« أدام الله يا أخي حفظَك ، وسدَّد لفظك ولحظك . بلغني ـ أعزك الله ـ أنك عِبتني بغُموض الخطّ وضعف حروفه ، ولم تعلم أنّ خطوط العلماء ضعيفة ، وأنّ حُروفَ الخلفاء لطيفة ، وأنّ ذلك من معالم السؤدد بينهم ، ودلائل الكلام فيهم . وأنّ ضعف الخط تميمةٌ علّقت على جيد اللفظ ، وأنّ منزلته من الكلام منزلةُ الكلَف من بَدر التمام » .

وهذ رأي فائل واعتقاد فاسد . ولو قال بتفضيل دقيق الخط ولطيفه دون هجينه وضعيفه لكان لكلامه وجهٌ ، ولقوله مَساغ .

ومعنى قول الحافظ : « حجم هائل » يعني عظم البطاقة مع صغر مُضمنها . وإلا فقد قالوا : « الكاتب مَن إذا أخذ طوماراً[1] ملأه ، وإذا اقتصر على شبر كفاه » . مع أنّ هذا القائل لم يُجِدْ ضرب المثل ، لأنا نجد الكتّاب الحذّاق لا يُجاوزون في أكثر كتبهم قيد شبر . ولو قال : وإذا اقتصر على فِترٍ كفاه لكان أسوغ في ضرب المثل .

واختياري في البطاقة أن تكون نحو الشبر ، كما أنّ اختياري في القصيدة : أن تكون نحو الأربعين بيتاً ، لأن الطّول في الغالب مملول . وهذا العدد من أبيات القصيد كان غايةَ الطّائي ، والجُعفي[2] في أكثر قصائدهما . وربما بعضهم أنّ [١١/ أ] ذلك من هذين الفحلين لضيق عَطن . وقد أشار إلى شيء من هذا أبو عامر[3] في : حانوتِ عطارِه[4] ، وليس كذلك ، وإنّما ذَهبا مذهب [ابن]

---

(١) الطومار : الصحيفة .

(٢) أبو تمام الطائي ، وأبو الطيب الجعفي المتنبي .

(٣) في الأصل : ابن عامر ، وهو تحريف ، وإنما المقصود أبو عامر بن شهيد السابق ذكره .

(٤) (حانوت عطار) من كتب ابن شهيد المفقودة ، انظر جذوة المقتبس : ١٢٤ . وتاريخ النقد الأدبي في الأندلس ، الطبعة الثانية : ٢٩٣ .

الزّبعرى وأخذا نحو ما أخذه . قيل لابن الزّبعرى[1]: مالكَ تقصر أشعارك ؟ فقال : لأنّ القِصار أولجُ في المَسامع ، وأجولُ في المحافل . وقيل للجَمّاز مثل ذلك فقال[2] : يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق . على أنّ أبا تمام وأبا الطيب لم ينزلا بهذا النزول ، كلاهما فوق القِصَر ودون الطُّول .

وقول الحافظ : « خطّ مجنون » يعني : عِظم حروفه وقلة استوائها وكثرة فضولها ، وهذا الغالب من الخط مذموم .

وقد أنكر الحسن بن سهل على كاتب رآه يكتب وقد ردَّ عن هاء (الله) خطاً من أوّل السّطر إلى آخره فقال ما هذا ؟ فقال : طُغيان في القلم[3] ! .

ومذهب جمهور الكتّاب : الاختصارُ في الخطّ ، والحذفُ فيما استعمل كثيراً منه ، لا الزيادة فيه ، ولا الإكثار من فُضوله ولغوه . حتى إنّ منهم من يختصر حروف (بسم الله الرحمن الرحيم) ، ويصلُها ويغيّر أشكالها ، ويسلسلها كنحو ما يفعلون في يا سيدي[4] . وهذا عندي مكروه في الاستفتاح خاصة ، لأنه روي عن الحَسن أنّه قال : من كتب (بسم الله الرحمن الرحيم)

---

(١) عبد الله بن الزبعرىٰ : كان شاعر قريش في الجاهلية وأسلم بعد الفتح واعتذر . توفي نحو ١٥ هـ (انظر طبقات فحول الشعراء : ١٩٥) . وله ديوان جمعه د . يحيى الجبوري ـ طبع مؤسسة الرسالة ، ١٤٠١ هـ .

(٢) في البيان والتبيين للجاحظ ١ : ٢٠٦ قيل لعقيل بن علفّة : مالك لا تطيل الهجاء ؟ قال : يكفيك من . . . والعبارة في أمثال الميداني ١ : ٢٧٠ .

(٣) الخبر في أدب الكاتب لابن قتيبة : ١٤ . وشرح أدب الكاتب للجواليقي : ١٠٧ .
ـ وأبو محمد الحسن بن سهل السّرخسي (١٦٦ ـ ٢٣٦) أحد كبار القادة والولاة في عصره ، وزير المأمون ، اشتهر بالذكاء المفرط والأدب والفصاحة وحسن التوقيعات .

(٤) ولا تزال عادةُ وصل حروف (سيدي) أو (يا سيدي) التي تردُ للتّوقير أو اعتياداً جارية إلى اليوم عند كثير من الكتاب ، وخصوصاً كتاب الدواوين .

فحسنه أحسن الله إليه يوم القيامة . واذا كانَ في تحسينه أجر ، ففي حذفه وتغيير أشكاله وِزر .

ومما يستحب في الخط قِصَرُ أَلفاتِه ولاماتِه ، واعتدالُها ، مع إحكام سائر حُروفه . وأحسنه ما يُكتب منه[1] في الشّبر ثلاثة أبيات من عَرُوض المضارع . وقد كان بعضُ العلماء من قرطبة ـ وأظنّه الطرابلسي[2] ـ يكتبُ [١١/ب] الدّقيق من الخط فقيل له في ذلك ، فقال : ذلك أخفُّ على العُنق وأوفر للورَق والورِق[3] ! .

ومن رُتبةِ الخطّ استواؤه وأن يكون أوّل البطاقة منفسحَ الخطّ ، وأن يكون آخرُها دقيقاً ، أحسنَ من أن يكون الأمرُ عل ضدِّ ذلك . وزعم بعضهم أنّ التحريف الذي في أول الأسطارِ إنّما جِيء به لمعنى ؛ وذلك أنهم أمدُّوا السطر الأول تَنبيهاً على عِظم اسم الله عز وجلّ ، وتنزيهاً له . وجيء بالثاني أقصر من الأول وأطول من غيره لكرامة[4] اسم الممدوح . وهذا قولٌ كما تراه ! ويا ليت شعري بِمَ استُوجب تقصيرُ السطر الرابع عن الثالث ؟ أو تراه لأنّ له مزيَّةً عليه لقربه من السطر الذي فيه اسم الممدوح ؟! فإنْ كان ذلك كذلك ، فما يصنعُ به إن تكرّر اسم الممدوح فيه ؟ وَليت شعري لِمَ لَمْ يُراعَ ذلك في سطر العنوان ؟ ولِمَ كتبه أمدَّ من سطر (بسم الله الرحمن الرحيم) ؟

---

(١) في الأصل : « ما يُكتب فيه ما يكتب » هكذا ، وهو سهو .

(٢) « الطرابلسي » هذا ما استجليتُه من الكلمة وهي مشوشة . وقرأت في (شجرة النور الزكية : ١٢٠) في تراجم الطبقة العاشرة من المالكية ، فرع الأندلس ، ترجمة لأبي القاسم حاتم بن محمد الطرابلسي ، قال فيه « أصله من طرابلس الشام : الإمام العامل العالم المحدّث الثقة الراوي المقرىء الفاضل . . » .

(٣) الورِقُ : الفضة ، كنى بذلك عن النقود جُملة .

(٤) في الأصل : « لكراهة » وهو تحريف .

والذي عندي في هذا أنّهم حرّفوا أوائل الأسطار من قِبَلِ تحريف البِطاقة لتستوي طُرَّةُ الكتاب ، هذا هو الأصل . وأمّا من زاد في التحريف فإنه رَغِب في تنميةِ الكتاب وخافَ نفادَ الكلام قبل تمام الرُّقعة .

وأحسنُ ما يُكتب به من الكاغدِ الأبيض لأنه ضدُّ لون المِداد . وقد قال الجُعفيّ :

* وبِضِدِّها تَتبيَّنُ الأشياءُ[1] *

وقال المعرّي :

والشَّيءُ لا يَكْثُرُ مُدَّاحُهُ إلّا اذا قِيسَ إلى ضِدّه[2]

هذا مما وهم فيه أبو العلاء . وقد بيّنت ذلك في كتابنا الموسوم بـ « الانتصار لأبي الطيّب » ، وبيّنتُ هنالك أيضاً ما أنكره أبو الفتح بن جنّي في قول الآخر[3]

ضِدّانِ لمّا استُجْمِعَا حَسُنا والضّدُّ يُظهِرُ حُسْنَهُ الضِّدُّ

[١٢/أ] وقد غيَّروا لون الكاغد في[4] الصُّفرة والحمرة . وما أراهم فَعلوا ذلك إلا لأنّ النّظر في البَياضِ يُسرع بالضّرر إلى البصر .

---

(١) من قصيدة للمتنبي (الديون ١ : ٢٤) يمدح بها هارون بن عبد العزيز الكاتب وكان يذهب الى التصوف . وصدر البيت : (ونَديمهُمْ ، وبهمْ عَرفنا فَضْلَهُ) .

(٢) البيت من قصيدة في (سقط الزند للمعري) يرثي بها ابن عمه . انظر شرح سقط الزند ٣ : ١٠٠٨ وقال الخوارزمي في شرحه : وهذا من قول أبي الطيب (وبضدها تتبين الأشياء) .

(٣) البيت من القصيدة (اليتيمة) وقد نسبها أسامة بن منقذ في (المنازل والديّار : ١١٦) إلى سعيد بن حميد المنبجي الملقب بـ (دوقلة) . وأولها :

هل بالطّلولِ لسائلٍ رَدُّ أم هل لها بتذكّرٍ عَهْدُ؟

ـ وانظر حاشية محقق المنازل والديار عن صاحب القصيدة .

(٤) كذا في الأصل .

وجَمعني مجلسٌ مع من طَرأ إلينا من أهل العلم ، فاحتاجَ إلى تسوية بطاقة ، فَرماها لمن يُسوِّيها له ، وذكر أنّ التحريف الذي فيها من جُملة انحرافِ أهلِ الأندلسِ عن الصّواب ، وأنه لا يُعرف ببلدِه لأنّه لا وجَه له ولا فائدة ! فقلت : أمّا الفائدة ـ أكرمك الله ! ـ فموجودة غير مفقودة ، وذلك : الصِّيانة ؛ لأنّ جوانِبَ الكتاب (تغطّى ؟)[1] بسبب ذلك التّحريف عند الطّيِّ ، فيكون ذلك أصوَن لها من الأنحاء[2] ، وأحفظ لها من العفاء . وأمّا ما ذكرته من انحراف أهلِ الأندلس فقولٌ ليس بالصَّحيح ، وكلام يطيرُ مع الريح . وإنهم لأهلُ إتقانٍ وخَطّ ، وفَهمٍ وضَبط . وقد ذكرنا منهم في هذه الرسالة طوائف ، ونَبّهنا على مفاخرَ جَمّةً ومعارف . وسأستوعبُ ذكرهم في غير هذا التصنيف ، وأذكر فيه من علماءِ وقتنا ما لم يمكنّي ذِكرُه في هذا التأليف ، وأنشر من مَفاخرهم ، وأذكر من مآثِرهم ، ما يُعلم به أنّ جَزيرتنا اليوم هي دارُ العلم ومَسكنه ، ومقرُّ البيان وموطنه ، إن شاء الله تعالى .

فصل
في العنوان

يُقال : عُنوان وعُلوان ، والجمع عَناوين وعلاوين . وقال أبو علي الفارسي : يقال : عَنْونَ[3] الكتاب ، وعلونته ، وعنينته ، وعلينته . وزاد غيره : عننته (خفيفة) ويُقال عُنوان وعِنوان ، وعُنيان وعِنيان وعَنيان ، وعُلوان وعِلوان وعَلوان[4] .

---

(١) كلمة غير ظاهرة في الأصل .

(٢) في الأصل : « الألحاء » باللام .

(٣) في الأصل : « عنوان » ، وسترد بعد قليل . وأثبت ما يتسق مع العبارة .

(٤) بعض الكلمات السابقة مصحّف أو مهمل في الأصل ، وضبطتُها على لسان العرب .

وأَصلُ العُنوان : ما دل على الشيء . قال الشّاعر :

[١٢/ب] ضَحَّوا بأشمطَ عنوانُ السُّجودِ بهِ
يُقطِّعُ اللّيْلَ تَسبيحاً وقُرآنا[١]

وهذا البيت يُصدِّقُ ما روي من أنه قُتل صبيحة يوم الأَضحى رضي الله عنه .

ويُحتمل أن يُسمّى عنوانُ الكتاب عُنواناً لوجهين :

أحدهما أنه يدل على غَرض الكتاب ، فإذا عنونت بقولك : (الواجد لوجده ـ أزاح الله أرزاءه ![٢] ـ فلان) دلّ على أنَّهُ في تَعزية . فإذا عنونت بقولك (رهينُ شكره ، اللّاهجُ بتطنيبِ ذكره فلان) ، دلّ على أنه في شُكر .

والوجه الآخر : أنه سُمّي عنواناً لأنه يدلُّ على الكِتاب مِمَّنْ هو وإلى مَنْ هو . وقد تأوَّلُوا على هٰذين الوجهين قولَ الشّاعر :

بَعثُوا إليَّ صحيفةً مطويّةً بِختامِها ، عُنوانُها كالعقربِ
فعرفتُ منها الشّأن حين رأيتُها ففضَضْتُها عن مثلِ ريحِ الجَوْربِ !

قال بعضهم : شَبَّه العنوان بالعقرب ؛ فإن ساغَ له فمن[٣] وجهين :

أحدهما : أنه شبّه حُروف العُنوان بالعقرب ؛

---

(١) البيت في اللسان (عنن) وفي (أدب الكتاب) للصولي ، لحسان بن ثابت ونسبه ابن درستويه في (كتاب الكتاب) لعمران بن حطان ، وهو وهم لأن له قصيدة على الوزن والرويّ .
ـ والبيت في ديوان حسان في طبعاته المختلفة . انظر مثلاً ديوان حسان بن ثابت بتحقيق الدكتور وليد عرفات (١ : ٩٦) . وهو من قصيدة في رثاء عثمان بن عفان رضي الله عنه .

(٢) في الأصل : أرواح الله أرزاؤه .

(٣) في الأصل : من .

والثاني أنه شبَّه احتضانه للنتن ودلالته عليه بالعقرب في احتضانِها السمَّ ودلالتها عليه .

وقال الأصمعي : إنما أراد أنّ عنوانها كَهْمَس[1] ، وليسَ في الخطِّ شيءٌ أشبه بالعَقرب من كهمس[2] . وقال غيرُه : أراد « عُمير » ؛ فذهب الأَصمعيّ إلى أنه سُمي عُنواناً لأنه يدلُّ على الكِتاب مِمَّن هو وإلى مَن هو .

وهذا القولُ هو الصحيح . والدّليل على صحته أنهم كانوا يكتبون أولاً : مِن فلان إلى فلان ، حتى كَثُرت الصّناعة وتَشذّذ فيها القالة ، فزادوا فيها هذه الزيادة الشريفة ، وأشاروا الى غرضهم بهذه الاشارة [١٣/أ] اللطيفة ، التي مَن نقصها في هذا الزمان فقد زلّ عن درجة الإحسان ، وأخلّ بصنعة البيان .

[كتابة العنوان]

ونظرت ـ أعزّك الله ـ العنوان فوجدته يختلف باختلاف الأزمان فكانوا فيما مضى لا يزيدون على قولهم : من فلان . وفي الكتاب العزيز : ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ ﴾[3] ثم زادُوا من بعد ذلك : من فلان إلى فلان . وبهذا كان يُكتب عن نَبيّنا الأُميّ ﷺ ويُكتب إليه ، ثم تفنَّنُوا بعد وتعمقوا .

والذي أختار أن يُكتب عن الآمر إلى المأمور : من الأمير فلان إلى فلان أعزه الله . فيُقدِّم في اللفظ من قُدّمت كفايته أو عنايته . وأن يكتب إلى مَن هو أرفع منه ، فيبدأ بذكر خُططه ثم يأتي بِكنيته ثم يدعو له بما يُشاكله من الدُّعاء ، ثم ينحو في الكتابة عن نفسه إلى ما يأتي بالكتاب من أجله . فان كان عنايةً

---

(١) كهمس اسم لرجل مقصود في الرسالة ، أو كلمة عنون بها المرسل ظهر رسالته . والعنوان المقصود هنا هو ما كان يكتب على ظهر الرسالة بعد ختمها .

(٢) يعني أن كتابة كلمة كهمس قريبة الشكل من صورة العقرب .

(٣) سورة النمل : ٣٠ .

قال : المتحرّم[1] به ، اللاجىء إلى عدله فلان . وأن يكتب إلى الكفيّ : معظّم قدره ـ أدام الله عِزّه ـ فلان .

وأصلُ هذا كله أنّ الناس على فِرَقٍ وأجناس ، فينبغي أن يَستعمل أهل التَّحقيق في مخاطبةِ كلّ فريقٍ ما يليقُ به من الترتيب ، ويشاكِلهُ من الألفاظ والمعاني . فإنّ الألفاظ كالكسُى وما كل لفظةٍ تليق بوزير ، كما لا تليق به كل كسوة .

ورأيت بعض أهل العلم مِمَّن بَذَّ في مجده ، وشُهر خط يده ، يكتب عن نفسه : معظِّم قدرك أعزك الله ، ولا يذكر اسمه . وهذا حسن ، وهو أعز لنباهة الذكر وعلوّ القدر .

والعنوان موطن من مواطن ذكر كُنية المخاطَب فلا يجب أن يخطِّط نفسه في كِتاب ، ولا يذكر كُنيته في خطاب .

[١٣/ب] وقد ذكرتُها في بعض رسائلي للحاجة إلى ذلك ، واعتذرتُ من ذكرها هنالك ، فقلت : وإنما ذكرتها ـ أعزك الله ـ تذكرة ، ولِأُعرّف نكِرة ، وأُنبِّه على شخصٍ خفيّ ، لا تعرُّضاً لقول الجعُفيّ :

أسـامِياً لم تـزدْهُ معـرفـةً وإنّمـا لـذَّةً ذَكـرنـاهـا[2]

ومن أطرف ما وقع في هذا الباب ما أخبرني به بعض الكُتّاب ، قال[3] :

---

(١) في الأصل : المحترم .

(٢) البيت من قصيدة للمتنبي يمدح بها عضد الدولة البويهي (الديوان ٤ : ٥١٩) ، وقبله : أبا شجاع ، بفارسٍ ، عضدِ الدَّو .....لة ، فنّا خسرو ، شاهنشاها .

(٣) لم أجد الخبر في مصدر آخر .

كتب بعض من يُعتدُّ به من الوُزَراء كتاباً إلى الحرة حَوّاء المذكورة[1] ، وكانت رجلة بالعقل مشهورة ، تعجَّبتْ منه ، وأطالتْ فيه النظر ، ثم قالت لمن شهد المجلسَ وحضر : والله لو كنْتُه ما قلته ! فتُعجب يومئذ من هذا اللَّفظِ الرَّائق ، والنقد الحسَن الفائق .

فصل

في الاستفتاح

ونظرتُ ـ أعـزّك الله ! ـ الاستفتاحَ أيضاً فوجدته يختلف باختلاف الأزمان . فكانوا في الجاهلية يكتبون[2] : « باسمك اللَّهم » . ورُوي عن زكرياء عن عامر قال : كان رسول الله ﷺ يُكتب عنه كما تكتبُ قريش « باسمك اللهم » حتى نزلت : ﴿ **وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ** ﴾[3] ، فكتب : بسم الله » حتى نزلت ﴿ **قل : ادْعُوا اللهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمٰنَ** ﴾[4] فكتب : بسم الله الرحمن » ، حتى نزلت : ﴿ **إِنَّـهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وإِنَّـهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ** ﴾[5] أثبتوها ؛ لقوله[6] عَزّ وجل . ﴿ **اقْرَأْ بِسْمِ رَبِّكَ** ﴾[7] ، وشبهه .

---

(١) الحرّة حواء هي السيدة حَوّاء بنت تاشفين من أسرة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، فأبوها والأمير أخوان لأمّ . وصفها ابن عذاري في البيان المغرب (٤ : ٥٧) فقال : كانت الحرّة حوّاء هذه أديبة شاعرة ، جليلة ماهرة ؛ وكانت (تحاضر) الرجال من أهل الثقافة والفكر . . وكانت ذات نباهة وحظر .

ـ وقد مدحها الشُّعراء ، وفيهم الأعمى التطيلي (ديوانه : ١٧) . وكان زوجها الأمير سير بن أبي بكر والياً على إشبيلية منذ ثبات السلطة للمرابطين سنة ٤٨٤ إلى وفاته فجأة سنة ٥٠٧ .

(٢) انظر الخبر في كتاب الكتاب لابن درستويه : ٧٥ ، وادب الكتاب للصولي : ٣١ .

(٣) (سورة هود) : ٤١ .

(٤) (سورة الاسراء) : ١١٠ .

(٥) (سورة النمل) : ٣٠

(٦) في الاصل : كقوله .

(٧) (سورة العلق) : ١ .

وعلى ذكر ألف الوصل ، فما أظرفَ قولِ الشَّاعِر[1] :

أفي الحقِّ أن يُعطى ثَلاثُونَ شاعراً ويُحْرَمَ ما دُونَ الرِّضى شاعِرٌ مِثلي ؟
كما سامَحُوا عَمراً بواوِ زيادة وضُوِيقِ « بِسم الله » في أَلفِ الوصْل !

وقال الآخر ، وذكر « بسم الله : [١٤/أ]

يا مَن بِعَينِ الرِّضا يرضِي مُؤمَّلَهُ والنَّملُ يطبق أجفاناً على الغَضَبِ
لو يَكْتُبُ المجدُ أحسابَ الملوكِ ، إذَنْ أعطاكَ مَوضِعَ « بسم الله » في الكُتب !

وموضع ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ نصب تقديره : أبدأُ بسم الله ، وابتدأت بسم الله . ويُحتمل أن يكون في موضع الرَّفع . تقديره : ابتدائي بسم الله . ويجوزُ أن يكونَ أيضاً في موضع الحال .

وللكلام على إعراب ﴿ بسم الله الرحمن الرَّحيم ﴾ واشتقاقه موضعٌ غير هذا . وقد ذكرتُ ذلك مستوعباً في كتابنا المعروف بـ « حِلية الفقهاء » ولله الفضل .

فصل

في الصَّلاة على النبي ﷺ

قال ﷺ : ﴿ لا تَجْعَلُوني في أعجازِ كُتبكم كقِدْحِ الرَّاكب ﴾[2] . فوجب

---

(١) البيتان لأبي سعيد الرستمي من قصيدة طويلة في مدح الصاحب بن عباد في (يتيمة الدهر) ٣ : ١٢٩ . وهما في (ثمار القلوب) للثعالبي . وبين الروايتين شيء من خلاف .
ـ وكان أبو سعيد من شعراء عصره ، ومن مشهوري أدباء بلده أصبهان .

(٢) نقل ابن الاثير في النهاية (قدح) من الحديث « لا تجعلوني كقَدَحِ الراكب » قال : أي لا تؤخّروني في الذِّكر ، لأن الراكبَ يعلِّق قَدَحَه في آخِر رحله عند فراغه من نزحا له ويجعله خلفه .

أن تمتثل قوله ﷺ. ونظرتُ أيضاً ـ أعزك الله ـ في الصَّلاةِ على النبي عليه السلام في الكُتب والرَّسائل ، فوجدتُ النَّاس أيضاً يختلفون في ذلك ، فكان من قبلنا من أهل الزَّمانِ الأوّل كثيراً ما يُغفلون ذلك .

وأما في عصرنا هذا ، فلا ينفكُّ كتاب ـ والحمد لله ـ عن الصلاة على النبي ﷺ. ثم رأيتهم يختلفون في كيفية ذلك . فبعضهم يكتب : وصلّى الله على محمدٍ الكريم » . وهذا لفظ معادلٌ للبسملة في الوَزن والسَّجع . وبعضهم يؤثر لفظَ القُرآن[1] ، وما أمر الله سبحانه من السَّلام عليه فيقول : وصلى الله على محمد وسلم تسليماً. وبعضهم يُراعي ذلك ويتحرى السجع ، فيقول : « بسم الله الرّحمنِ الرَّحيم ، وبالصَّلاة على رسولِه والتسليم » . وهذا اللفظ أصح في الاعراب [١٤ / ب] لأن قولنا : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ جملة ـ كما أخبرنا ـ خبرية . وقولنا : ﷺ جُملة دُعائية . ولا تُعطف الجملة الدُّعائية عل الخبرية . والذي يُخرجنا من هذا ـ فيما أخذته عن شيخنا أبي عبد الله بن أبي العَافية[2] ـ الاضمار ؛ وتقديره : أقول : صلى الله على محمد ، وشبه ذلك . ولهذه العلة يُسقط بعضُ الكتّاب الواو فيكتب : « بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على محمد وعلى آله وسلم » . وبعضهم يكتب : وعلى أهله ، وعلى آل محمد ، هرباً من إضافة (آل) الى المضمر ، لأنّه عند النحّاس لا يجوز[3] . وقد أجازه شيخنا المذكور ، واحتج على ذلك

---

(١) قال تعالى : ﴿ **إنّ اللهَ وملائكته يصلّون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلّموا تسليماً** ﴾ : سورة الاحزاب : ٥٦ .

(٢) ذكره ابن خير الاشبيلي في فهرسته : ٣١٦ وروى عنه بعض مؤلفاته في اللُّغة والفقه ، بطريق شيخه أبي الحسن بن شُريح . وسيذكره مؤلف (إحكام صنعة الكلام) فيما يستقبل من فصول . ولقبه ابن خير بالنّحوي .

(٣) نقل هذا الرأي ابن السيد البطليوسي في الاقتضاب في شرح أدب الكتاب : ٦ .
ـ وانظر في كلمة آل وما يتعلق بمعانيها ووجوه استعمالها مادة (أول) في اللسان .

بحجج يضيق عن ذكرها هذا الكتاب . وإنما الذي لا يجوزُ باتفاق قولهم : وعلى ذويه ، لأن (ذا) إنّما يُضاف الى اسم جنس ، لأنه إنّما دخل في الكلام وصَلة الى الوصف بالأجناس . وكان شيخُنا الحافظ بن إسماعيل إذا صلّى على النبي ، كثيراً ما يقول : وصلِّ اللهم على آدم ومُحمّد وما بينهما من النبيين والمرسلين . .

واختلف العلماء في الصَّلاة ، هل تُستعمل في غير النَّبي . فقال بعضهم : يُستعملُ ذلك في كل مَن آمن به ﷺواتبعه . واحتج بقوله ﷺ« اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمد » قال : آل محمد كلُّ من اتبع محمداً ، كما أن آل إبراهيم كل مَن اتبع إبراهيم ، وآل فرعون كل مَن اتبع فرعون .

وقال بعضهم : بل الصلاةُ على النبي لفظ مختصٌّ به ، واستدلَّ على ذلك بما رواه يحيى عن مالك عن ابن دينار أنّه قال : رأيتُ عبد اللهِ بن عمر [١٥ / أ] يقفُ على قبرِ النَّبي ﷺ، فيصلّي على النبي ﷺ، ويدعو لأبي بكر وعمر . هكذا وقع في رواية يحيى وغيره . وفي رواية القعنبيِّ أنه كان يُصلّي على النبي ﷺ، وعلى أبي بكر وعمر . ولا تخلو رواية القعنبي من أن تكون هي المحفوظة أو غير المحفوظة . فإن كانت هي المحفوظة فلا حُجّةَ له في الرواية الأخرى . وإن لم تكنْ هي المحفوظة فليس له أيضاً في الأُخرى حجة قاطعة . لأنه يُحتمل أن يكون فعل ذلك ابن عُمر لئلا يساويَ في لفظه بين النبي عليه السلام وبين أبي بكر وعمر . ولا يبعد فعله ذلك إذا أفرد ذكرهما أن يصلّي عليهما .

والذي عندي في هذا أنّ الصلاة موضوعُها في اللغة الدُّعاء[1] . ولكنها

---

(١) قال ابن الاثير (صلا) تكرر في الحديث ذِكرُ الصلاة والصَّلَوات وهي العبادة المخصوصة ، وأصلها في اللغة الدعاء ، فسمّيت ببعض أجزائها . . . وهذا الدعاء اختُلِف فيه : هل يجوز إطلاقه على غير النبي

لفظةٌ لَزِمت النبي ﷺ حتى اختصَّت به ، وثَقُل استعمالُها في غيره ﷺ .

فصل

في صدور الرسائل

ونظرتُ ـ أعزّك الله ! ـ في صُدورِ الرّسائل واستفتاحها فوجدتُها أيضاً تختلف . فكانوا في الزّمان الأول يكتبون في صُدور رسائلهم : أما بعدُ . وهو فصلُ الخطاب الذي ذكره الله سُبحانه في كتابه العزيز[1] . ورأيته أكثر ما تستعمله[2] الكتّاب في المخاشَنةِ والعِتابِ . فيعوِّلُون في هذا الفنّ عليه ، ويعدلون عن ليِّن الكلام ، وحَفِيِّ السلام اليه . وكانوا أيضاً يستفتحون بحمد الله سبحانه في الخُطَب ، وفي إصلاح ذاتِ البَين ، وفي الاستنفار ، وفي حِمالة الدّماء ، وفي خطب النِّكاح ، وفي كلّ أمرٍ لهُ بال . وكانت الخُطَب عندهم أوكد ما اعتُمِد [١٥ / ب] بالتحميد وأُعلم غفله بالتمجيد ، حتى إنهم سموا الخطبة التي لا يُحمد الله فيها سبحانه بتراء وقَطعاء[3] ، ومن ذلك خُطبة زيادة البتراء[4] .

وكانوا أيضاً يستفتِحُون رسائلهم بقولهم : « سلامٌ عليك ، إني أحمد الله إليك » . ثم تفنَّن الناسُ بعد ، وكثر التعمُّق حتى كتبوا ما يشاكه قول أبي العلاء : (أُسلِّمُ على الحضرة العالية تسليمَ العاجزِ المقصِّر ، كما ينظرُ الساري

ﷺ أم لا ؟ والصحيح أنه خاصّ له فلا يقال لغيره ، وقال الخطابي الصلاة التي بمعنى التعظيم والتكريم لا تُقال لغيره ، والتي بمعنى الدُّعاء والتبريك تقال لغيره . اهـ .

(١) في ذكر داود عليه السَّلام : ﴿ وَشَدَدْنا مُلكَهُ وآتَيْنَاهُ الحِكمَةَ وفَصْلَ الخِطَابِ ﴾ سورة ص : ٢٠ .

(٢) في الاصل : ما تستعمل .

(٣) في البيان والتبيين للجاحظ (٢ : ٦) أن الخطبة البتراء هي التي لم تبتدأ بالتحميد والتمجيد ، والخطبة الشوهاء هي التي لم توشح بالقرآن الكريم والصلاة على النبي ﷺ .

(٤) انظر البيان والتبيين ٢ : ٦١ .

المدُلج إلى فرقد الليل ، واليَماني المُشِيح الى سُهيل) . وقد ذكرنا جملة مما يشبه هذا الابتداء أول الكتاب ، فغنينا عن إعادته في هذا الباب .

ومن أظرف الاستفتاح والابتداء ما شاكل قول أبي العلاء[1] : ما حمامَةُ طَوق ، يُضربُ بها المَثَلُ في الشَّوق ، كانت في وَكرٍ مَصُون بين الشَّجر والغُصون ، تُؤالف من أبناءِ جنسها رِيداً[2] ، يتراسلان تغريداً . مسكَنُها نَعْمان الأراك[3] ، تأمن به غوائِلَ الأشراك . وتمرُّ في بُكرتها بالبيتِ الحرام . لا تَفرَّقُ لمكان صائدٍ ولا رام . [فعزّها القدر ، إذ لم يَنفع الحذر . فخرجت من الأرض المُحرَّمة . فأصبحتْ وهي جِدّ مُغرمة[4]] صادها وليد في الحِلّ[5] ، ما حفظ لها من إلّ[6] . فأودعها سِجناً للطير[7] ومنَعها من كل مَيْر[8] . فإذا رأتْ من خصاص[9] القفص بَواكِر الحمام ، ظلت تُمارس جُرَع الحِمام . تسألُ بطرفها أخاها ما فعل بعدَها فَرخاها . فيقول أَصْبَحا ضائِعينَ ، يستُرهما الورَقُ من كلّ عَين :

---

(١) انظر رسائل المعري : ٩٣ . والنّص في مطبوعة عَمّانِ في الجزء الثاني في ٣٣٣ - ٣٣٥ .

(٢) الريِّد بمعنى التّرب ، وأصل الكلمة الهمز ؛ يقال رئد الرجل : مساوية في سنّه ، وكذلك الانثى . وأكثر ما يردُ في الاناث .

(٣) قال في معجم ما استعجم (٤ : ١٣١٦) : نعمان : وادي عَرفة دونها الى مِنى ، وهو كثير الأراك .

(٤) ما بين معقوفتين من الرسائل .

(٥) الأرض المحرمة التي لا يحلّ الصيدُ فيها . والارضُ الحلّ أي ما جاوز الحرم من أرض مكة .

(٦) الإلُّ : العهد .

(٧) عنى به القفَص .

(٨) المَيْر مصدر فعل مارَ . يقال مال أهله مَيْراً : أعَدَّلهم الميرة . والميرةُ ، الطعَام .

(٩) الخصاص جمع الخصاصة : وهي الفُرَجَةُ أو الخَلل أو الخَرق في بابٍ وغيره .

[فُـرَيخان يَنْضـاعان[1] في الفجـر كلما
أحسَّا دَوِيَّ الريـح أو صَوْتَ نـاعِب[2]]

بأشوق [إلى العيسةِ النَّضرةِ[3]] منه الى حَضرَةِ سيدي الرئيس[4] .

وقد يستفتحون رسائِلهم بالمَنظُوم ، كقولي في رسالة :

وَعَينـاءَ كحـلاءِ المحـاجِرِ أقبلتْ تَبَسَّمُ عن دُرٍّ ، وتُسفر عن شمسِ
لـوَ انّ اللّيـالي مَتَّعـت بشـيبـتي وبَشّـرني يومي بِـوَفـريَ في أمسي
[١٦/أ]لكانَتْ على الأحشاء أبرد نوقعاً[5] وأشهى إلى قَلبي ، وأنجعَ في نَفسي

وتُنسَبُ لي العَـوراء[6] في القَـول ، والخَنـا
وهَيهـات لا يَخفى سَنَا الشَّمسِ بـالخمسِ

فسيحة معنى العَتْب ، والعدل أصلُها على آل قُزمان ، وليسَتْ من الانس أُناسٌ لهم في المكرُمات شرائـعٌ رَبَطتُ بها حِفظي ، وحُطْتُ بها دَرسي فَعِـرْضهم لحمي ، وحُـبُّهـمُ دَمِي ونَثْرُهُمُ[7] طِيبي ، ونظمُهم أُنسي وقـد هَـتنـتْ مـنهُـم سـحـائِبُ وَحْشـةٍ[8]
غَضضْتُ لهـا طَـرفي ، وطـأطـأتُ من رَأسي

---

(١) انضاع الفخ : بسط جناحيه الى أمه لتزقّهُ وتُطعمه .
(٢) النعيبُ صوتُ الغُراب اذا صاح وصوّت .
(٣) ما بين معقوفتين من رسائل أبي العلاء .
(٤) في الرسائل : منّي الى تلك الحضرة .
(٥) لم أجد (نَوْقَع) على وزن فوعل من مادة نقع . على أنّ فعل نَقَعَ يفيد معنى الريّ والتبريد ممّا يلائم المعنى .
(٦) الكلمة العوراء : القبيحة .
(٧) في الاصل : نشرهم .
(٨) في الأصل : وخشة .

كيف لا ، وهي سَحائِبُ غرائب لم يجر ذكرُها بكتاب (الأنواء)[1] ، ولا دُعي بمثلها للرَّبع القَواء[2] ، ولا حدَتْها[3] قهقهة الرعد ، ولا استسقاها طَرفة بن العبد[4] . وإني لأتوكَّفُها وأستسقيها ، وإن عطّلت قطر حياضي ؛ وأستوقِفها واستبقيها[5] وإن أبطلت زهر[6] رياضي . فأقول : اللهم بطون الأندية لا بطون الاودية . ومُتون الخِيام لا مُتون الآكام . ومَنابت زهر الطبع لا مَنابت زهر النبع . (وأتحمّل لزجاجةِ مُزجيها مد لهمّ داجيها ؟)[7] وأغفرُ بفصاحة مثيرها سيئات نظيمِها ونثيرها . ولولا التَّغاضي ، والاجمال في التَّقاضي ، لقابلتُ كلَّ فصل منها بِفصل ، بل كلَّ حرف بألف . ولكنّني أشفقتُ من أن نُصبح ـ ومعاذ الله ! ـ ضجيعَيْ مِهادِ دِهان[8] ، ورضيعَيْ لِبانِ شَنآن [9] فقيّدتُ مقالي بعقالي . ومَلكتُ نِظامي بِزمامي وَخِطامي . وعدت الى الاولى ، ولم أَعْدُ الطَّريقة المُثلى » .

---

(١) من كتب ابن قتيبة . وألفت كتبٌ أُخرى في الأنواء . ويصح أن يكون الكلام يجري مجرى عاماً دون قصد كتاب معيَّن .

(٢) يقال : ربع أو منزل قَوا وقواء (بالقصر والمدّ) : لا أنيس به . وكَثُر دُعاء الشعراء للابار الخالية ؛ قال جَرير :

ألا حَيِّيا الرَّبْعَ القَواءَ وسَلّما ورَبْعاً كجثمانِ الحمَاسةِ أدْهَما

(٣) في الاصل : حدثها .

(٤) يشير الى بيت طرفة من معلقته

فسقى ديارَكِ غَيْرَ مُفْسِدها صوبُ الربيعِ وديمةٌ تَهمي !

ويجعله البلاغيون شاهداً على الاحتراس المحمود .

(٥) في الاصل : وأستبقها

(٦) في الاصل : زمر .

(٧) في الأصل : « وأتحمّل الزجاجة مزجيها مولم داجيها » وكنت قرأتُها من قبل : « وأتحمّل لرجاحة مُزجيها مؤلم داجيها » . وما زال في النفس شيء من قراءتها .

(٨) في الاصل : مهاد وهاد .

ودهن دهاناً : نافق .

(٩) اللِّبان : الرضاع . والشنآن : البغض والكراهية .

وقد يستفتِحُونَ رسائلهم بمنظوم غيرهم ، كقولي في تعزية بعض الرؤساء :

« لعمرُكَ ما الرزيةُ فقد مالٍ ... ولا شَاةٌ تموتُ ولا بعيرُ[1]
[١٦/ ب] ولكنَّ الرزيّةَ فقدُ ملكٍ ... يموتُ بموتِه بشَرٌ كثيرُ

كهذهِ الرّزيّةِ الكُبرى ، والطامّةِ العُظمى ، التي تضعضعت لها الأَطواد ، فكيفَ الأكباد ؟ وتقطَّعت لها البِيضُ الحِداد ، فكيفَ الحمائلُ والأَغماد ؟ » .

وربما وصلوا صدورَ رسائِلهم بالمنظوم ، كقول المجيد[2] العَسقلانيّ[3] : خلَّد الله الدَّولةَ الأَفضلية[4] ما فضلت الأَسماءُ حروفاً ، وتقدَّمت وا العطف معطوفاً ، ولزمت الأَفعالُ اشتقاقاً وتصريفاً :

يُلْفى عليها الحمدُ مَوقُوفاً وفي ... عَرَصاتها شُمُّ الملوكِ وُقوفا
وتعيدُ سطوتُها سماءَ عِداتها ... كِسَفاً ، وبدرَ سُعودِهْم مكسُوفاً

وكان المجيد كثيراً ما يُضَمِّن في رسائله أشعاره وأشعار غيره ، فكان إذا ضَمَّن أشعاره يُوافق بين قافيتها وبين السَّجع الذي قبلها ، ليُعلَم بذلك أنَّ الشعر

---

(١) البيتان في الأمالي (١ : ٢٧٢) لأمرأة من الأعراب . وفي الحماسة البصرية (١ : ٢١٢) منسوبة إلى مُليل بن الدّهقانة التّغلبي .
ـ وفي الأمالي : « فقد قرمٍ » ، وفي رواية البصرية شيء من خلاف .

(٢) هو المجيد بن أبي الشخباء العسقلاني . قال فيه ابن بسام : (وكان من البلغاء الأفراد وأبهر نجوم تلك البلاد . طلوعاً من ثنايا الأدب . واختفاء لخبايا لسان العرب . وقد كاشف حقائقها ، واستخرج دقائقها ، وأحرز مسبوقها وسابقها . إلا أني وجدتُه يصرع إذ خطب . ويفيق إذا كتب . . . وكانت وفاته رحمه الله مقتولاً بخزانة البنود بمصر سنة اثنتين وثمانين وأربعمئة) . ونقل أخباره برواية أبي بكر بن العربي . انظر الذخيرة القسم الرابع ـ المجلّد الثاني ـ ٦٢٧ ـ ٦٦١ .
وحاشية المحقق .

(٣) النصّ في الذخيرة ق ١/ج٢ : ٦٤٠ ـ ٦٤١ . وفي الذخيرة : الحضرة الأفضلية .

(٤) يعني بالأفضلية دولة الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالي (ت ٥١٥) : ولي الوزارة بعد أبيه سنة ٤٨٧ زمن المستنصر واستمرّ أيام المستعلي والآمر .
ـ والعسقلاني يهنّىء الأفضل بإبلاله من مرض .

له . وكان إذا ضمّن أشعار غيره خالفَ بين السَّجعِ والقافية . وهذا حسنٌ يجب أن يمتثله من أراد إحكام صَنعة الكلام .

وقد يَصِلُون صدورَ رسائلم بمنظومِ غيرِهمْ ، كقول أبي إسحاق بن خَفاجة[1] :

أطال الله بقاء سيدي الأعلي ، وعمادي ، الموقوف عليه وِدادي ، المخيّم بين طَرفي وفؤادي :

سُهاداً لأجفانٍ ، وشمساً لناظرٍ وسقماً لأبدانٍ ومسكاً لناشق »

وقد يَستفتحون رسائلهم بقولهم : مَرحباً وأهلاً ، وسعةً وسهلاً ، كقول الصاحب في تهنئته ببنت :

« أهلاً وسَهلاً بعقيلةِ النِّساء ، وأُمّ الابناء ، وجالبةِ الأَصهار والاولادِ والأطهار . والمبشّرة بإخوة يتناسَقُون ونُجباء يتلاحقون [١٧/أ] :

فلو كانَ النّساءُ كمثلِ هٰذي[2] لَفُضّلت النّساءُ على الرّجالِ

وما التأنيثُ لاسم الشَّمسِ عيبٌ ولا التّذكيرُ فخرٌ للهِلالِ

فادَّرِعْ يا سيّدي اغتباطاً ، واستأنِفْ نَشاطاً ، فالدنيا مؤنثة والرجال يخدمونها والذكور يعهدُونها[3] . والأرض مؤنّثةٌ ومنها خُلقت البرية ، وفيها كَثُرت الذُّرية . والسَّماءُ مؤنثة ، وقد زُيّنت بالكواكب ، وحُلِّيت بالنَّجم الثاقب . والنفسُ مؤنَّثة ، وهي[4] قوام الأبدان ومِلاكُ الحيوان[5] . والحياة مؤنّثةٌ ، ولولاها لم تتصرف الأجسام ، ولا عُرف الأنام . والجنة مؤنثة وبها وُعِدَ

---

(١) لم أجد النصّ في ديوانه (وفيه نبذ من رسائله) .

(٢) البيتان من قصيدة للمتنبي (الديوان ٣ : ١٨٢) في رثاء والدة سيف الدولة . والشطر الاول في الديوان (فلو كان النساء كمن فقدنا) ونبه الثعالبي على هذا التحوير لمناسبة مقالة الصاحب .

(٣) في الاصل : يعمدونها .

(٤) في اليتيمة : وبها .

(٥) الحيوان : ما فيه الحياة .

المتقون ، وفيها ينعم المُرسلون . فهنيئاً [هنيئاً [1]] ما أُوليت ، وأوزعك الله شكر ما أُعطيت[2] .

وكقولي :

« مَرْحَباً بالعالم القادم ، ولا زالَ موفور خَوافي العِزّ والقوادم . وما ترحيب متحيّف الميادين ، قد قصر طلق إكرامه ، وضاقَت طُرق إسهامه . فلو مَرّ بِه طيفُ ضيفٍ لَجزع ، أو حل به ظلُّ خِلٍ لما وَسع .

وهذا النَّوع ـ أعزك الله ! ـ من الكلام لأمَةٌ ربّما لم يَنهض بها كلُّ أَحد ، وصَمصامَةٌ يمكن أَلَّا تهزَها كلُّ يَد . فأوّل ما نأخذ في ذكره بعد حمد الله وشكره ـ فصولٌ يُحتاج[3] اليها كثيراً ليحتذي من رام الصّناعة عَليها . فمن ذلك ما يُشكل بمخاطبة الأُمراء : أطالَ الله بقاءَ أمير المسلمين مؤمَّلهم الرّاسخ المكين . وأدام وقاية ظهير المؤمنين [و] مَعقلهم الشّامخ الحَصين . نافذةً وفقَ إرادته أَسنّة الليالي والأيام ، وناطقة بتحكم سَعادته ألسنةُ العَوالي والاقلام » .

ومما يُكتب به عن الأُمراء الى مَن مَرق عن الطّاعةِ وشَقّ العَصا : « أما بعد : [١٧ / ب] أحسنَ اللهُ توفيقك ، ونهج الى الرّشد طَريقك » .

ومما يُستفتح به عنهم الى زعماء الروم :

« سلام على من اتَّبعَ الهُدى ، وتجنّب سبل الضلالة والهوى . وتمسك من طاعة الله وطاعة رسوله بالعروة الوثقى » .

ومما يُكتب به عنهم الى القضاة الفُضلاء والفقهاء العلماء :

« أمدّك الله أيّها الوليُّ الأخَصُّ[4] ، والخليلُ الأخلصُ بالتَّقوى ، وفَسح

---

(١) من اليتيمة .

(٢) من ترجمة الصاحب بن عباد في يتيمة الدهر ٣ : ٨٣ .

(٣) في الاصل : تحتاج .

(٤) في الاصل : الاخلاص ، ورجّحت ما أُثبت .

لك في البَقوى[1] ، وجَمع لك بين خَير الآخرة والاولى » .

ويكتب عنهم في ذلك : « شدَّ الله ـ أيها الولي ـ بالتَقوى أزرك ، وأجرى على المرغوب والمَحبوبِ أمرك . وَوقاكَ ما تتوقَّاهُ وتَحذَرُه ، واعتمدك بالتّوفيقِ فيما تأتيهِ وتَذرُه .

ومما يُكتبُ عنهم إلى سائِر العُمّال : « كتابُنا ، أمدَّك الله بتقواه ، ويسَّرك لِما يرضاه » وما أشبه هذا .

وقد يذكرون الكُنية في صُدورِ رسائلهم ، ويستفتحونها بما يُجانسها كقولهم : حَسُنَت بك يا سيّدي أبا الحسن ضرائِبُ الايام » . وكقولي : بَكرت عليك يا سيدي أبا بكرٍ بواكر النِّعم . وكقولي : « عَمرت بك يا سيدي أبا عامرٍ رِباعُ الكرَم » .

ومن أغرب ذكرٍ ذكرتُ في الكُنى قولي من رسالة : « أطال الله بقاء الوزير الأوحد ، الأعز الأمجد ، كبيري أبي محمد في العزّ السَّرمد ، والجَدِّ الأسعد ، والعيشِ الرّغد ، ولا زال في المكارم طويلَ اليَد ، مُستولياً ، من المحامد على أبعدِ أمد . لله درُّها من كنيةٍ أعربت[2] عن مُرادي ، وأفصحَت بضميري واعتقادي . إذ[3] أعتقده ـ أدام الله عزه ـ الأبَ الثاني والوليَّ الدّاني » .

وإنما أشرتُ بقولي هذا الى أن اسمي محمد ، أي هو لي بمنزلة الأب .

ومما تُستفتح به الرسائل الى الوزراء والنُّبهاء [١٨ / أ] سوى ما ألمعنا بذكره مع الاستفتاح والابتداء قولهم : « يا سيّدي وعِمادي الذي اليه استنادي

---

(١) البَقْوى والبَقْيا : اسمان يوضعان موضع الابقاء . (اللسان) .

(٢) في الاصل : أعرفت .

(٣) في الاصل : إذا .

وبه اعتمادي واعتقادي ، ومن أبقاه الله ما ترنّمت سَواجع الأراك ، وأمنت[1] ببرقٍ غوائل الاشراك .

ومما يكتب به الأب الى ابنه : « يا بُنَيّ ، ومن سلَّمه الله وأبقاه ، وآتاه ما أتمنّاه ، ووقّاه ما يَتوقّاه » .

ومما يكتبه الابن إلى أبيه : « يا مَولاي وجَمال دُنياي ، وأوثق أَركان عُلاي ، ومن أدام الله لي عُلُوَّه ، ورَزقني رِضاه وحُنوَّه » .

قد ذكرنا ـ أعزّك الله ! ـ من أنواع الاستفتاحات نُبذاً ، وأثبتنا من أعلاها وأدناها ونتفاً[2] . وعلى النَّاظِر في كتابنا أن يقيس ويولِّد إن صاحبه فكر ، وينظر وينتهج إن هاوَده ذِكر . كما عَليه أن يذكر في كل كتاب ما[3] يُشاكله من الدُّعاء وما يشاكهه من الألفاظ، ويوافقه من المعاني ، ويطابقه من الايجاز والإسهاب ، فلكل مَقالٍ مَقام ، ولكلِّ طبقة تخيُّرٌ وكَلام .

فصل

الاشارةُ في الصُّدور إلى الغَرض المذكور

قال أبو الفتح بنُ جِنّي : وإذا كان المُرسلِ حاذقاً أشار في تحميده الى ما جاء بالرسّالة من أجله . وهذه عادةٌ لابنِ عَبْدِ كان مَشهورة[4]. ألا تراه ابتداء

---

(١) في الاصل : أمن .

(٢) في الاصل : تنعماً .

(٣) في الاصل : بما .

(٤) هو محمد بن عبد الله ، أبو جعفر ، المشهور بابن عبد كان (. . . ـ ٢٧٠) كاتب من كبار المنشئين ، تولى منصب الكتابة مدة ، وكتب لأحمد بن طولون وخمارويه ابنه ، وسواهما (الوافي بالوفيات ٣ : ٣١٥) .

الرسالة التي جَمع فيها ذكر استقامة الحال بين أبي الحسن خِمارَوَيه[1] ابن أحمد وبين المُعتضد[2] فقال : « الحمدُ لله مُقلِّب القلوب ، وعَلاَّم الغُيوب ، الجاعل بعد عُسرٍ يُسراً ، وبعدَ تحاربٍ اجتماعاً » .

وهذه كانت سبيله فيما يريده ويقصده .

وقد قدَّمنا ـ أعزَّك الله ! ـ في فصل العُنوان [أنّ] الإشارة فيه إلى الغرض المذكور ، والمعنى المراد ، أصلٌ جَلل يَفتقر العنوانُ إليه [١٨ / ب] فيجبُ المحافظة عليه . وإذا كان هذا رأينا في العُنوان فما ظنُّك بصدر الكتاب ؟ وكان أبو الطيّب الجُعفيّ ينحو في غَزَل قصائده الى غرض مَقاصِده . وقد نَبَّهنا في كتابنا الموسوم بِـ (الانتصار) على ذلك ، وأوعبنا فيه الكلام هُنالك .

ومن الاشارات في الصُّدور الى الغرض المذكور قول الأعلم[3] ؛ أخبرنا شيخنا أبو عبد الله بن أبي العافية قال : لما ألَّف شيخُنا أبو الحجَّاج الأعلم رسالته المعروفة بالرشيدية[4] ، حاول ابن سراج[5] استنقاصه فيها ، فتعقب

---

(١) خمارويه بن أحمد بن طولون (٢٥٠ ـ ٢٨٢) ولي مصر بعد أبيه سنة ٢٧٠ (الولاة والقضاة : ٢٣٣ ، وفيات الاعيان ١ : ٢١٨) .

(٢) المُعْتضد أحمد بن طلحة ، خليفة عباسي ، بويع سنة ٢٧٩ وتوفي ٢٨٩ (النجوم الزاهرة ٣ : ١٢٨ ، وتاريخ الخلفاء ط مصر ١٣١٥ ص : ٢٤٥) .

(٣) الأعلم الشنتمري (٤١٠ ـ ٤٧٦) يوسف بن سليمان الشَّنتمري . عالم باللغة والادب ولد في شنتمرية بالاندلس وتوفي في إشبيلية . آثاره كثيرة منها : شرح الشعراء الستة ، وشرح الحماسة وتحصيل عين الذهب ، وغيرها (انظر : مطمح الانفس لابن خاقان : ٦٤ ، وبغية الوعاة : ٤٢٢ ، ووفيات الاعيان ٢ : ٤٦٥ و Brock. S. L. 542) .

(٤) ذكرها ابن خير الاشبيلي في فهرسته (الصفحة ٣١٥) باسم المسألة الرشيديّة . سمّاها الاعلم كذلك ، لأنه « وسمَها باسم الرشيد ابن المعتمد بن عباد » . قال ابن بسّام في ترجمته : « وكان الاستاذ أبو الحجاج الأعلم يومئذ زعيم البلد (علمياً) وأستاذ ولد المعتمد » . .

(٥) أبو مروان عبد الملك بن سراج (٤٠٧ ـ ٤٨٨) وزير قرطبي ، أديب . أثنى عليه ابن بسّام في الذخيرة (ق إ / ج١ / ص ٨٠٨ ، وبغية الملتمس : ٣٦٧ ، والمغرب في حلى المغرب ١ : ١١٥) . وكان

عليه قوله في اسم الله عزَّ وجل : إنّهُ اسمٌ منقولٌ من الجِنس الى العلمية ، وإنّ أصله إله[1] . فشنّع عليه ابن سراج[2] من هذا غير تشنيع ، ورام أن يُسكته بهذا الكلام ، ونسب اليه الكُفر إذ جعلَ اسمه تعالى وجلَّ من أسماء الأجناس . وإنّما هو اسمٌ مخصوصٌ لم يتسَّم به أحدٌ سِواه جلَّ وعزّ . فردَّ عليه شيخُنا رحمه الله برسالةٍ فريدة وهو في مَرضه الذي مات فيه ، في حال شديدة ، واستفتحها بأنْ قال : « الحمدُ للهِ خيرُ الرّازقين ، وإن كان لا رازق سواه ، وأحسن الخالِقين وإن كان لا خالق حاشاه » .

فأشار كما تَرى في تحميدِهِ الى تخطئة ذلك المتعقّب وتفنيده .

ومن الاشارات في الصُّدور الى الغرض المذكور قَولي من رسالةٍ أُعزِّي بها بعضَ القُضاة في أبيه : أطالَ الله بقاء الفقيه الأجلّ ، القاضي الأعدل ، مُحرزاً من العِلم أفضله ، ومن الأجر أكمله ، ومن الصَّبر على محتوم القدَر أحسنه وأجمله .

ومن ذلك ما كتبتهُ لأحد الجلَّة الفضلاء ، وقد ظنَّ ظنَّ السوء بأحد الأخيار النُّبهاء :

[١٩ / أ] « أطال الله بَقاء الفقيه الأجل ، القاضي الأفضل ، مُسدّد الإخاء ، موفَّق الآراء ، جميلَ الظنَ بالأحرار الأخيار ، والأولياء الفُضلاء » .

ابن سراج أديباً لغوياً ، وله استدراكات على عدد من الكتب المشهورة في الادب واللغة والحديث والتفسير والامثال . .

(١) أنظر اللسان (أل هـ) : وفيه قال ابو الهيثم : (الله) أصله إلاه ، قال الله عزوجل : ﴿ **ما اتَخَذَ اللهُ من ولدٍ وما كان معه من إله إذاً لَذَهَبَ كلُّ إلهٍ بما خلق** ﴾ .

(٢) قال ابن بسام في الذخيرة وكان بين الاستاذ ابي الحَجاج وأبي مروان بن سراج ما يكون بين فحلين في هجمة ، وزعيمين في أمّة . . » .

فمن قَرأ هذا الفصل وما يناسبه لم يَخْف عليه ما ذَهب اليه كاتُبه .

وهذا فَنٌّ يطولُ استقصاؤه ، وفيما ذكرناه كفايةٌ ودَليل ، إن شاء الله تعالى .

فصل

في التخلُّص من الصُّدورِ إلى الغَرض المَذكور

ورأيتُ ـ أعزّك الله ! ـ الرسائل على قسمين : أحدهما ابتداءُ الخِطاب ، والثاني ردُّ الجواب[1] .

[في ابتداء الخطاب]

فمما توصلوا به من الألفاظ في ابتداءُ الخِطاب الى غرض الكتاب ، قولهم : كتبتُ ، وكتابي ، وكتابنا . كقولهم : « كتبتُ وقد هَبَّت ريح النَّصر من مَهَبِّها[2] ، والأرضُ مشرقةٌ بنورِ ربها » . وكقولهم : كتبت وقد اضطرّني الزَّمن الأبتّ . وكقولهم : « كتبتُ ، كتب الله لك أماناً من النوائب ، وأجزل لك الحظَّ من سنيات المواهب » . وكقولهم[3] : « كتابي أطالَ الله بقاء الأمير ، وبودّي أن أكونه فأسعد به دونه[3] » .

وأما لفظة « كتابنا » فإنّما يكتب بها عن نفسه آمِرٌ وناهٍ ، كقولهم : « كتابنا أمدَّك بتقواه ، ويسرَّك لما يرضاه » .

وقد يستفتح هذا اللفظ الكتاب ، ويبتدىء به الخطاب . وربّما نظموا بعض هذا اللفظ كقولهم :

---

(١) في الاصل : رد جواب ، وقد كرّر المؤلف الكلمة محلاة بأل في الصفحة نفسها .

(٢) في الاصل : سهمنا . ولعل ما أثبتناه ملائم للمعنى ، وجار مع الأسلوب . وفي العبارة التالية اقتباس قرآني .

(٣ ـ ٣) العبارة لأبي الفضل الهمذاني (في اليتيمة ٤ : ١٨٣) يخاطب أبا نصر الميكالي .

كتبتُ ، ولو قدَرْتُ هوىً وشَوقاً إليكَ ، لكنتُ سَطراً في الكتابِ[1]

[في رَدّ الجَواب]

ومما توصَّلُوا به من الالفاظ في رَدَّ الجواب الى غرض الكتاب قولهم : أُلقِيَ ، وورَدَ ، ووصلَ . وفي الكتاب العزيز ﴿ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾[2] ونَظَرَه بعضُهم فقال[3] : « إنه ألقي كتابٌ كريم ، عنوانُه جَسيم ، وعَيانُه فضلٌ عظيم . فلو استطاع قلبي لسَعى اليه إعناقاً والتفّ عليه عِناقاً » . ومن ذلك قولهم [١٩ / ب] : وصلَ ـ وصلَ الله سعدَه ، وأثَّل مجده ! ـ كتابُهُ الكريم » . وقولهم : « وردَ ـ أورد الله آمالَهُ صافيةَ الجِمام[4] ، محروسةً من غِيَرِ الليالي والايام ـ كتابه العزيز » .

وربما نظموا هذا المعنى ، قال المُهلَّبي[5] :

طلَعَ الفجرُ من كِتابك عِندي فمتَى باللقاءِ يبدو الصَّباحُ ؟[6]

* وربما تَداخلت هذه الألفاظ في هٰذين القسمين . فكتبوا في باب ابتداء الخطاب : « تَصِلُ هذه[7] الرقعة ـ وصل الله لك العلاء والرفعة ! ـ من يد فلان » . وكتبوا في باب رجع الجواب : « كتبتُ ـ أعزَّك الله ! ـ وكان الأولى

---

(١) البيت لأبي تمام في ديوانه (١ : ٢٩٠) آخر قصيدة له في مدح محمد بن الهيثم بن شبانة ، وفيه :

كتبتُ ولو قدرتُ هوىً وشوقاً إليك لكنتُ سطراً في كتابي

ونبّه في الحاشية على رواية « هوى وشوقاً » .

(٢) سورة النَّمل : ٢٩ .

(٣) العبارة لبديع الزمان الهمذاني في اليتيمة (٤ : ٢٤٩)

(٤) في الاصل : الحمام (بالمهملة) .

(٥) أبو محمد الحسن بن محمد المهلبي (٢٩١ ـ ٣٥٢) . وأنظر ترجمته في الورقة ٤١ / ب .

(٦) البيت من ترجمته في يتيمة الدهر (٢ : ١٥) .

(٧) في الاصل : أبهذه .

أن أُوليَ السُّكوت ، ولو فُهتُ بالدرِّ والياقوت ، لِما بَهَرَ [ني] من بيانك ، وغمرني من إحسانك » .

* وقد يتوصَّلون بعد ذكر الصُّدور الى الغرض المذكور ، بما يُشاكل قول بديع الزمان[1] : « سمعت ـ أعزّكَ الله منشداً ينشد :

لحَا الله صُعلوكاً مُنـاهُ وهَمُّـه من العيشِ أن يَلْقى لَبوساً ومَطعما

فقلت : إنّي مَعْنِي هٰذا البيتِ لأنّي قاعد في البيت ، آكلُ طيّبَ الطعام ، وألبَسُ ليِّنَ الثّياب ، ويُفاضُ عليَّ بذلٌ ، ولا يُفوَّض إليَّ شغل . ويُملأ لي وَطْبٌ ، ولا يُدفع لي خَطْب »[1] .

وقول أبي عبد الرحمن : « كثيراً ما كنت أسمع ـ أعزك الله ! ـ إنشادَ هذا البيت :

إذا أيقـظَتْـكَ حُـروبُ العِـدا فَنَبِّـهْ لهـا عُمـراً ثم نَمْ ![2]

فلا أدري مَن (عمر) حتّى جَريتَ ببالي فقلت : هو موردُ الانصاف ، ومشربُ الادب الصّاف » .

* وقد يُتَوصَّل بغيرِ هٰذه الأسباب الى غرض الكتاب [كـ] ـقولي من رسالة أوّلها : « أهدي الى حضرة مولاي ، وجَمال دُنياي ، تحيةً لا أُلزمه [٢٠ / أ] مشقَّة رَدِّها ولا أجشّمهُ مُكافأتي على شذى عرارها التتل[3] ورندهـا . ولو نبتَ لي أذكى منها بأرضٍ لكانَ إهداؤ ها الى حضرته ـ حَرسها الله ـ أوجبَ فرض .

(١ ـ ١) النص في يتيمة الدهر ٤ : ١٧٠ .

(٢) البيت لبشار بن برد . انظر طبقات الشعراء لابن المعتز : ٢٥ ، ٤٤٩ .

(٣) في الاصل : التّبل . والتّتل : ضربٌ من الطيب .

ما كلَّف اللهُ نَفْساً فوقَ طاقَتِها ولا تجودُ يَدٌ إلّا بما تَجِدُ[1]

ولله دَرُّ هذا البيت ! لقد لَقِيتُ منه لكل مهمّة أعربَ حجة ، وركبتُ منه مِراراً عدّة أوضح مَحجّة . إذ تقرأ لي من الإغراء على تأخُّر قائله أبواب ، وتُدارُ بي من قهوة العتاب على تَعزُّز طَلِّهِ[2] ووابله أكواب . فمرّة . لا أتطلّبُها ولا أُريغها ، ومرّة أتجرَّعها ولا أكاد أسيغها » .

وربما توصَّلُوا بغير ما ذكرناه الى غرض الكتاب ، وتخلَّصُوا بغير ما أوردناه الى معنى الخِطاب . ولكنْ فيما جلبناه كفايةٌ عمّا أغفلناه ، إن شاء الله تعالى .

فصل

في الدعاء

الإكثارُ من الدُّعاء في الرَّسائل من أبهرِ الدّلائل على ضَعفِ البضاعة في الصناعة . وربما اختصروا في هذا الباب حتى اقْتَصَروا على ما شابه[3] قول بعض الكتّاب : « « يا سيّدي الأعلى وكَهلي المنيع ، ومن فَعل الله به وصنع » ، الى آخر الدعاء والترفيع .

وقد يُستسهَلُ[4] الإطنابُ في الدّعاء في مخاطبة الملوك والأمراء، ما لم

---

(١) البيت في خبر عن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، أنشد فيه هذا البيت (العقد ١ : ٢٣٦) .

(٢) في الاصل : ظلله (بالمعجمة)

(٣) في الاصل : شبه .

(٤) يستعمل الكَلاعي مادة (استسهل) لمعنى استحسن . وقد وردت أيضاً على هذا الوجه في عبارة لابن خاقان صاحب مطمح الانفس في أثناء ترجمة يوسف بن هارون الرمادي (المطمح : ٣١٦) .

يكن من جنس قول بعض الشعراء[1] :

فـلا هَجمْتَ بها إلا عَلى ظَفـرٍ ولا وصلْتَ بهـا إلّا الى أَمَـلِ

فإنّهُ شبيهٌ بما ذُكِرَ عن بَعضهم أنه كان يُصابح الأمير فيقول : « لا صبَّح الله الأمير بعافية » ؛ ويسكتُ سكتةً ثم يقول : « إلّا وصبَّحه بأتمّ منها » . فلا يدعو له حتى يدعو عليه . ومثل هذا قبيح يجب ان يتجنب ، ويُحترز منه .

[ألفاظ الدُّعاء]

ومما يجب على الكاتب: أن يتحرّى في الدُّعاءِ الألفاظ[2] الرّائقة ، [٢٠ / ب] والمعاني اللائقة ؛ ويتوخّى من ذٰلِكَ ما يُناسب الحال ، ويُشاكل المعنى ويوافق المخَاطَب . فإن خاطبتَ رئيساً قلت في ذلك ما شاكل قولهم : « والله ينصرُ أعلامَهُ ، ويُنفِذُ في السّبعة الأقاليم أحكامه » . وإن كتبت معزّياً قلت : « والله يُسوِّغه ما أعطاه ، ويُجرِي المقاديرَ بما يرضاه » . إلى كثير مما في هٰذا عليه دلالة .

ومما يجب : أن ينحوَ بما يعترض به في رسائله من الدُّعاء الى ما يُوافق المعنى ، كقولي من رسالةٍ أنشأتُها في إنسان أعرسَ ببكرٍ فوجدَها على ضدّ ذلك : « ووردني ـ عافاك[3] الله ! ـ من الأنباء الفظيعة أن فُلاناً عَرَّس بالقلعَةِ فَوجدها غير منيعة » .

---

(١) هذا آخر بيت من قصيدة لأبي الطيب المتنبي أولها :

أعلى الممالِك ما يُبنى على الأسلِ والطعنُ عند محبّيهنّ كالقبل

ـ ديوان ابي الطيب بشرح الواحدي (١ : ٤٠٦) .

والبيت دعاءٌ ، يقول : لاهجمت بخيلك الأعلى ظفر بعدوّك ولا أوصلتها الا الى ما تؤمله من الغنيمة والظفر .

(٢) في الاصل : والالفاظ .

(٣) في الاصل : عفاك .

ألا ترى إلى لفظة (عافاكَ الله !) ما أحْسَنَ تمكُّنَها وأطرفَ معناها وأظرفَ اعتراضَها ؟

ومن أظرف الاعتراض بالدُّعاء قولُ بعضِ الشُّعراء[1] :

إنّ الثَّمانينَ ـ وبُلِّغتَها ! ـ قَدْ أحوَجتْ سَمعي الى تَرْجُمانْ

فقوله : (وبُلِّغْتَها) من أظرفِ الاعتِراض[2] .

[لفظ أدام وزاد . .]

ومما يحسُن من اللَّفظ في الدُّعاءِ مجالُه ، وتُرجى استمالتُه للمخاطب واستنزالُه ، لفظ : أدامَ ، وزادَ وما أشبهها ، كقولهم : « أدام الله توفيقك ، وزاد في علوِّ قدرك » . فهذا[3] اللفظ عندهم آثر من قولهم : « وفقك الله ، وأعلى قدرك » . وقال ابنُ الرّقاع[4] .

صَلّى المليكُ على امرِئٍ ودّعتَهُ وأتمَّ نعمتَهُ عليكَ وزادَها

قال القُتَبيّ : ومن هذا أخذَ الكُتّاب : وأتمَّ نعمتَهُ عليك ، وزاد فيها عندك[5] » . والدُّعاءُ في الرسائِل نوعٌ فِقهي .

[٢١ / أ] ورُوي أنّ الزبيرَ بنَ العوّام دخلَ على النبيّ ﷺ في مرضِه

---

(١) هو عوف بن محلّم الخُزاعي .

ـ والبيت مشهور في كتب البلاغة والنّحو . وانظر مثلاً : ثمار القلوب في المضاف والمنسوب : ٤٨٨ .

(٢) أورده ابن ابي الاصبع في (تحرير التحبير : ٣٥٨) تحت عنوان (باب التكميل) . وأورده ابن سنان في (سر الفصاحة ٣٢٢) تحت اسم التحرز مما يوجب الطعّن . . .

(٣) في الاصل : فهو

(٤) هو عديّ بن الرّقاع العامِلي

(٥) انظر مثلاً : عيون الاخبار ١ : ٥٠ .

فقال : جعلني الله فداك . فقال رسول الله ﷺ : أما تركتَ أعرابيّتكَ بعد[1] ؟

[طلب الدخول في الشفاعة]

وقد نهى الوقّار أن يقول الرجل في دعائه : « اللهم أدخلْني في شَفاعة محمد» ؛ لأن الشّفاعةَ إنّما تكون لمن دَخل النار . وإنما يجب أن يقول : « اللهم أجِرْني من النّار » . وقال غيره : الشّفاعَةُ شفاعتان : شفاعةُ الإزاحة من الموقف ، وهي تكونُ لكلّ الناس ، فَمنْ عنَى هٰذه في دعائهِ فهو مصيب . وشفاعةٌ لمن أُنفذ عليه الوعيدُ من أهل الكبائِر ، فمَنْ عَنى هذه في دعائه فهو مُخطىء كما قال الوقّار .

[الدُّعاء بطول البقاءَ]

وأنكرَ بعض العلماء الدُّعاء بطول البَقاءِ . قيل : لأن الأجل مقدَّر قد فُرِغَ منه ، فلا معنَى للدُّعاء بالزيادة فيه . وقال غيرُه : والدُّعاء بالبقاء ليس بمكروه ، لأنَّ ما يلزمُ في الدُّعاءِ بطول البقاء يَلزمُ في غيرِه من الدُّعاء . ألا ترى أن الله سُبحانه قد قدَّر الأشياء كلَّها[2] ؟ فما كان ليصيبَ الإنسانَ لا يخطئُه ، وما كان ليخطىء الإنسانَ لم يكنْ ليصيبه[2] . فإذا قال الكاتب : « ضاعف الله نَعماءهَ » فقد أخطأ أيضاً لأن الرّزق مُقَدَّر مفروغٌ منه .

وكذلك كل دعاء يَدعُو به .

والذي يُقال في هٰذا أنّ الله قَد قدَّر الاشياء ، وقدر أن لا يُتوصَّل اليها إلّا

---

(١) أخرج البخاري من حديث مبارك بن فضالة عن الحسن قال : دخل الزبير على النبي ﷺ وهو شاك ، فقال كيف تجدك جعلني الله فداك ، قال : ما تركت أعرابيتك بعد ؟ (فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٠ : ٤٦٩ ، ومختصر سنن ابي داود ٨ : / ٩١) .

(٢ ـ ٢) هذه العبارة معنى حديث مشهور عن ابن عباس رضي الله عنهما (انظر تيسير الوصول الى جامع الاصول لابي الربيع الشيباني ٤ : ٣١٢) .

بالدعاء . على أنه يحتمل أن يتناول الكاتبُ قوله : « أطال الله بقاءك » على ما تُؤُوِّلَ عليه قولُ الرَّسول ﷺ : « صِلةُ الرّحم تزيدُ في العُمر»[1] . ويُحتمل أن يريد بقوله : « أطال الله بقاءك » ، أي رزقك اللهعِلماً نافعاً ، ووَلداً صالحاً يبقى بعدكَ فيكثر به ذِكْرُك وكأَنَّهُ باقٍ . قال الشاعر[2] :

ذِكْرُ الفَتى عمرُه الثَّانِي . . .

[٢١ / ب] وقال أبو بكر الصدِّيق[3] ـ رضي الله عنه لِخالد بن الوليد حين ودَّعه لحرب أهل الردَّة : « احرصْ على الموتِ تُوهبْ لكَ الحَياة » . قيل في معناه أقوال . منها : أنّ المرء إذا مات مُقبلاً غيرَ مُدبر فقد أبقى لنفسِهِ ذكراً يقومُ له مقامَ الحياة .

ويُحتملُ أن يريدَ بقولِهِ أطال الله بقاءك ! ـ أي أطالَ الله غِناك لأنّ من أَفقَره اللهُ فقد أماته .

وفي الحديث : أن الله جلَّ ذكره أعلم نبيّهُ موسى عليه السلام أنَّه يُميت عَدُوَّه ثم رآهُ يشدُّ الخوصَ ، فقال يا ربِّ وَعدْتَني أن تُميته ، فقال : قد فعلتُ ، قَد أفقرتُه[4] .

وإلى إنكار الدُّعاء بطول البقاء كان يذهبُ شيخُنا أبو القاسم بن

---

(١) في صلة الرحم أحاديث كثيرة ، اشهرها ما اخرجه البخاري من حديث هريرة وأنس بن مالك ان رسول الله ﷺقال : من سرَّه ان يبسط له في الرزق ، وينسأ له في اثره فليصل رحمه . انظر فتح الباري ١٠ / ٣٤١ ، وسنن الترمذي بشرح ابن العربي ٨ : ١٠٠ .

(٢) البيت للمتنبي من قصيد في مدح ابي شجاع فاتك وتمامُه :

ذِكــرُ الفتى عمــرُه الثــاني وحــاجتــه مــا قــاتــهُ وفضــول العيش أشغــالُ

(٣) في الاصل « وقال علي رضي الله عنه » . والخبر في عيون الاخبار ١ : ١٢٥ .

(٤) ورد هذا الاثر في (الانصاف) لابن السِّيد البطليوسي ، وفيه (١٢٢ الطبعة الثانية) « وقد جاء في بعض الحديث . . . » . وأورده على وجه مقارب لما عند مؤلف الكتاب هنا .

إسماعيل ، رضي الله عنه ، ورأيهُ أولى أن يُتَّبع ، وقولُه أحقُّ أن يوقف عنده ويُسمع . لأنّه العالم الذكي الذي أعلى اللهُ قدره ، وشرح للعلم صَدره ، العدلُ الزكيُّ الذي شُهر عدلُه وخيره ، ونبذَ من زُخرف الدنيا ما تفَانى عليه غيره .

ومما استحسنوا من الدُّعاء قولهم : « جعلك الله وارث أعمارِ الجماعة » . وآثروه على قولهم : « لا أعاد الله لك مُصيبةً أبداً » . وربما قالوا مَصُوبة[1] . وهٰذان معنيان مُتَغايران ، وقد أتى بهما أبو الطيّب فقال في أولِ قصيدٍ يعزّي به عَضدَ الدولة :

آخِرُ ما المُلْكُ مُعَزًّى بِهِ هٰذا الذّي أثَّرَ في قلبِه[2]

وقال في آخر قصيدٍ يُعزّي به سيفَ الدولة :

ومن مُنانا بقاؤُه أبداً حتى يُعزَّى بكلِّ مولودِ[3]

وقد أحسن أبو فراس في قوله :

لا بدَّ من فَقْدٍ ومن فَاقدِ فاصبرْ ، فما في الدَّهرِ من خالدِ[4]
[٢٢ / أ] كُنِ المُعَزّى لا المعزَّى بهِ إن كانَ لا بُدَّ من الواجِد

---

(١) يقال : مُصيبة ومَصُوبة .

(٢) ديوان المتنبي بشرح الواحدي : (٢ : ٧٨١) : والبيت مطلع القصيدة . قال الواحدي : هذا على لفظ الخبر ومعناه الدُّعاء .

(٣) ديوان المتنبي بشرح الواحدي (١ : ٤٣٤) ، وهو آخر بيت في القصيدة . يقول : مُنيتُنا أن يبقى حتى يتقدّمه كل من وُلد فيعزّى بهم .

(٤) البيتان في ديوان ابي فراس الحمداني (٢ : ٧١) ، ورواية البيت الاول فيه : هيهاتَ ما في النّاسِ من خالد لا بدّ من فقدٍ ومن فاقِد
وفي الذّخيرة لابن بسام رسالة لابن الجدّ ضمنها بيتي أبي فراس كرواية الكلاعي (القسم الثاني : الورقة : ١٩٤ من مخطوطة دار الكتب) .

وقد أحسن ابو الطيب في قوله :

والله يُسعِـدُ كـلَّ يـومٍ جَـدَّهُ ويـزيـدُ من أعـدائِـهِ في آلِـه[1]

وقد أساءَ في قوله :

لا يُحْـزِن اللهُ الأميـر ، فـإنّني لآخـذُ من حَـالاتِـهِ بِنَصيبِ[2]

ومن الدُّعاء ما يتأتّى من الظاهر على مَعنى الذمّ ، والمُرادُ به غيرُ ذلك ، كقوله ﷺ لعائشة رضي الله عنها : « تربت يمينك[3] » ! وحكى أبو الفتح ابن جنّي قال : قلتُ لأعرابيٍّ من عَقيل ، فصيحٍ ، وقد نظر الى ثوب حسن فقال مالَهُ مَحَقه الله ، فقلت : أدعوت عليه ؟ فقال : إنّا إذا استحسنا الشيءَ دعَونا عليه !

وقال أبو الفضل الحافظ : قد يُوحِشُ اللّفظُ وكلّه وُد ، ويُكره الشَّيء وليس من فعله بدّ . هٰذه العَربُ تقول : لا أبا لك في الأمر إذا أهمّ ، وقاتله الله ولا يُريدون الذَّم ، وويل أمّه للأمر إذا تمّ . ولذوي الألباب أن ينظروا[4] في القول الى قائله ، فإنْ كان ولياً فهو الوَلاء وإن خَشُنَ وإن كانَ عَدُواً فهو البَلاء وإن حَسُن .

وممّا حُمِلَ على هذا المعنى قولُ جميل :

---

(١) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة الحمداني . ديوانه بشرح الواحدي (١ : ٤٣٤) .

(٢) من قصيدة يعزّي بها سيف الدولة بغلام له (١ : ٤٦٧) ونقل الثعالبي في كتابه (المتنبي ماله وما عليه) ص : ٤١ أنّ الصّاحب بن عباد قال في هذا البيت : لا أدري لِمَ يحزنُ سيف الدولة إذا أخذ المتنبي بنصيبٍ من القلق ؟ قلت : اعتراض الصَّاحب انحياز عن جهة كلام الطيّب !

(٣) الحديث في فتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٠ : ٤٥٣ ، من حديث طويل .

(٤) في الاصل : يُنظر .

رمَى اللهُ في عَيْنَيْ بُثينةَ بالقَـذا وفي الغُرِّ من أنيابِها بالقوادحِ[1]

وقولُ أبي الطيب :

أيـا خـدَّد اللهُ وَرْدَ الـخُـدودِ وقـدَّ قُـدودَ الحِسـانِ القُـدودِ[2]

وقد ذكرنا ذلك مستوعباً في كتاب (الانتصار) والحمد لله [٢٢ / ب] .

فصل
في السلام

قال القُتَبيّ : السَّلام صفةٌ من صِفات اللهِ عزَّ وجَلَّ . والسَّلامُ عندَ أهلِ اللّغـةِ بمعنى السَّلامـة ، كالـرَّضـاعِ والـرَّضـاعـةِ . فسَمَّى نفسَـهُ جـلَّ وعزَّ سلاماً لِسلامته من العُيوب التي تلحق الخَلق . وقولهم : « السَّلام عليكم » ، يُراد اسم السَّلام عليكم . يقال : اسمُ الله عليكم ، وقد بيَّن لبيد ذلك فقال :

إلى الحَوْلِ ثم اسمُ السَّلامِ عليكُما ومن يَبْكِ حَولاً كاملاً فقد اعْتَذرْ[3]

---

(١) ديوان جميل بثينة : ٥٣ . « القذى : كل ما وقع في العينين من شيء يؤذيهما . وعنى بالفرّ : الأسنان البيض النقية . والقوادح جمع قادح وهو السَّواد الذي يظهر في الاسنان ، أو ما يعرض لها من آفات » .

(٢) ديوان أبي الطيب بشرح الواحدي (١ : ٨٠) وهو مطلع قصيدة كتبها من محبسه . التخديد : الشقّ . دعا على ورد الخدود بأن يشققه الله تعالى فيزول حسنه . . . قال ذلك جزاءً لما فَعَلْنَ به كما قال في البيت الثاني :

فَـهُـنَّ أَسَـلْنَ دمـاً مُـقْـلَتـي وعَـذَّبْـنَ قـلبـي بـطُولِ الـصُّـدودِ

(٣) ديوان لبيد ٢١٤ تحقيق الدكتور احسان عباس الكويت وفيه هذا البيت شاعد على إقحام لفظة اسم وله عند بعضهم تخريجات كثيرة .

ويجوز أن يكون (السَّلامُ عَليكم) : السَّلامةُ عليكم ، ولكم . وإلى هذا المعنى يذهب من قال : سَلامُ اللهُ عليكم.

وقال أبو الفتح بن جِنّي في قول لبيد : (ثم اسمُ السَّلام عَليكما) أنه من باب إضافة الاسم إلى المسمى . قال : وإنَّما يُريد : ثم اسم المقصود بالسَّلام عليكما . والمقصودُ بالسَّلام هو السَّلام في الحقيقة . وكأنه قال : ثم السَّلام عليكما . وإنما قال مَنْ قال إن (اسم) هنا زائد ، لِخفاءِ هذا المعنى وغموضه عليه .

ومما يجبُ على الكاتب : أن يقدّم لفظ السَّلام فيقول : السَّلام عليك . فقد رُوِي عن عائشة رضي الله عنها أنها لمّا سمعت قول الحطيئة :

* فاغْفِرْ عليكَ سَلامُ اللهِ يا عُمَرُ*

قالت : مَن هذا الناعي إلينا أمير المؤمنين ؟ قيل : وكيفَ نَعاه ؟ قالت : إن الحَيَّ لا يُقال له : عليكَ السَّلام ، إنما يقال له : السَّلامُ عليك[1] . وإنما يقال : « عليك السَّلام » للميت . فالصَّوابُ تقديمُ لفظ السلام كما ذكرتْ أمّ المؤمنين رضيَ الله عنها .

ومِمّا جاءَ من اللفّظ مُؤخّراً والمُرادُ به التَّقديم ، قولُ الشاعر [٢٣ / أ] :

---

(١) أخرج الترمذي من حديث جابر بن سليم قال : « أتيت النبي ﷺفقلت : عليك السلام ، فقال لا تقل : عليك السلام ، ولكن قل : السلام عليك » . وذكر قصة طويلة . قال الترمذي : وهذا حديث حسن صحيح . (صحيح الترمذي بشرح ابن العربي ١٠ : ١٨٨ - ١٨٩) وتمام بيت الحطيئة :

غيّبتَ كاسبهم في قعرِ مُظلمةٍ ... فاغفرْ عليكَ سلامُ الله يا عُمَرُ !

ولم يرد في الديوان ما ذكره الكلاعي من حديث عائشة رضي الله عنها . انظر ديوان الحطيئة ص ٢٠٨ . (تحقيق نعمان طه - مصر - ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م) .

ألا يـا نخلةً مـن ذاتِ عِـرْقٍ عليكِ ـ ورحمةُ اللهِ ـ السَّـلامُ[1]

فهذا محمولٌ على التّقديم والتأخير ؛ والتّقدير : السَّلامُ عليكِ ورحمة الله . فجعلوه من باب المعطوف المقدّم . وكان شيخُنا ابو عبد الله بن ابي العافية ـ رحمه الله ـ يُعرب هذا البيت إعراباً غريباً ، يخرجه من المعطوف المقدّم . وذلك أن التقدير : السَّلامُ عليك ورحمة الله . فالسلام مبتدأ ، وخبره في (عليك) . وكلّ جارٍّ ومجرور يكونُ خبر مبتدأ ، ففيه ضميرُ هو الأول . فإذا كان ذلك كذلك عطفت (ورحمة الله) على ذلك الضمير . وكان الأحسن أن يؤكد ، لكنَّ هٰذا أحسن وأسهل مِن المعطوف المقدّم . ولابن ابي العافية في هٰذا الفنّ بضاعةٌ وافية . وقد ذكرتُ له مما تشبّث به ، [في هذه] الرسالة ما فيه على فضلِه أبهرُ البُرهان والدلالة .

[رَدُّ السَّلام]

والسَّلامُ مستحبٌّ وردُّه واجِب . وقال ابن عباس[2] : أرى رجْعَ الكتابِ عليَّ حقاً ، كما أرى رَجْعَ السَّلام . وقد يُستحبُّ تركُ السلام على الملك في غير الرَّسائل . وقال بعضهم : لا تُسَلِّم على الملِك ، فإنه إذا أجابك شَقَّ عليهِ ، وإنْ لم يُجبك شقَّ عليك .

ويُستحبُّ أن يُرَدّ السَّلام بأحفل مما ابتُدِىء به . ولا يجبُ له أن يُزاد على البركة شيء . فإنّ ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ يقول : أشهى السلام إليَّ البركة . ودخل رجل على عبدِ الله بن عمر فسَلم عليه فقال : السَّلام عليكم ورحمة الله وبركاته الغادياتُ الرائحات . فقيل : أراد الملائكة ، وقيل : أراد

---

(١) البيت من قصيدة في ديوانه : ١٨٩ . وهو من الشواهد النحويّة . وللقصيدة خبر غريب .
(٢) الخبر في أدب الكتاب للصولي : ١٦٦ .

الرياح . ورواه بعضهم : « والغاديات » بالواو ، ورواه بعضهم بغير واو ، ورواية مَنْ روى بغير واو أَقلّ دخولاً في باب الحرَج ، وإنما يُريد : وبركاته المتصلة لديك ، التي تغدو [٢٣ / ب] وتروح عليك ، والله أعلم .

وقد تفنّنَ النَّاسُ في ألفاظِ السَّلام وكيفيته ، فكانوا أولاً يقولون : والسلام عليك » ، ثم قالوا : « والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » ، ثم تعمقوا بعد ذلك وتفنَّنوا .

فصل : فَمِن[1] أبدع السَّلام وأبرع الكلام قولُ بعض البلغاء وقد دخل على بعض الأمراء فقال : السَّلام عليك أيها الأمير سلاماً يتصل أمثاله بسمعِكَ أبداً ما بقيتَ ، إمّا مِنْ وَلِيِّك بطَوْعِ قلبِهِ وصادق وُدِّه ، أو من عَدُوِّك برغم أنفِه وذُلِّ خَدِّه .

فصل : ومن كلام الصّاحب : وهو يُهدي إليك سلاماً كرقّةِ خدّه ، ونَسيم عَرْفه ، وغزارةِ دمعِكَ من بعده .

فصل : وسلامُ الله ـ هي تحيَّةٌ ، وعَنّي هديَّةٌ ـ عليك يا سيّدي ومُعتمدي ورحمة الله تعالى وبركاته .

فصل : والسَّلام الجَزيلُ على الوزيرِ الجليلِ ما تَردَّد نَفَسٌ ، وتوقَّد قَبس ، ورحمة الله وبركاته .

فصل : وأَقرأُ على سيدي سلاماً يتكرَّرُ تكرُّرَ الأنفاس ، ويخضرُّ دائماً اخضرارَ الآس .

فصل : والصُّنع الجميل له ، والسَّلام الجزيلُ على حضرته ، وما طلع الفَرقدان ، ورُفعت الى الله بالدعاء يدان .

---

(١) في الاصل : فيمن .

فصل : ومن جزيل تحيّتي وسلامي على سيدي الأعظم وإمامي ، ما يُنعِمُ ريّاه الخافقين ، ويقرُّ مرآه كل عَين . ينقادُ من غير قائد ، وينساقُ من غير سائق . إذا انتهت أولاه عادت أُخراه ، وإذا صدقت تباشيره برقت أساريره . يحيي[1] مَغناه، عند سُروبه ومسراه ، إن شاء الله تعالى .

وهذا السَّلام مما قدْ زَاد على المُعتاد ، وأربى على الواجب .

فصل : ومن أَطْرفِ ما نُثبت في هذا الباب قول والدي في بعض كُتب العتاب : وسلامٌ عليه كما شاءَ ، لا إشمامَ يستوفيه ، ولا ملامَ يسلم فيه . [٢٤ / أ] وكيف لا تقلصُ عنه الشفاه ، وتطنّ آلة النطق بأخفاه ، وقد استرحمتُه فقسا ، وما هَلتَهُ في العِشرة فنَسى[2] . فمتى ما أنشدته قولي :

وما لِلمُعَذِّرِ من دَهْرِهِ نَصيبٌ إذا كان لا يُحمدُ

أنشدني قول الآخر[3] :

وما يُبالي الميتُ في قَبرِه بِذَمِّهِ شُيِّعِ أوْ حَمْدِهِ !

فلنكفَّ عن الرأس المُعَنَّى صداعاً ، ولنكتفِ بهذه الأحرف وداعاً ، لِأُخرى الدَّهر ، وما أقصرَ طلقَ العُمر ، وأوجبَ تمثُّلنا بقولِ الآخر :

كِلانا غنيٌّ عن أخيهِ حَياتَهُ ونحنُ إذا مِتنا أشدُّ تَغانيا[4]

---

(١) في الاصل : تحيي .

(٢) في الأصل (فنثا) . ويقال : نَسَا ونَسِي .

(٣) هو أبو العلاء المعرّي . والبيت في سقط الزند (٣ : ١٠١٦) .

(٤) البيت في شرح شواهد المغني (١٨٩) لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب .

فصل
في مكاتبة أهل الكفر[1]

مما يجب ـ أعزَّك الله ـ في مكاتبة أهلِ الكُفر أن يُترك تبجيلهم، ويُتجنبَ ترفيعُهم وتأهيلُهم ، وأن يُنظروا بعين الاحتقار ، ويُعتمدوا بالذِّلة والصَّغار . ولقد سمعتُ شيخنا الفقيه الحافظ أبا القاسم بن إسماعيل ـ رضي الله عنه ـ يُفتي في أهل الذمة منهم بألّا يتشبَّهوا بالمسلمين ، فلا يلبسوا الطّيالس ، ولا يُمسكوا العَمائم ولا القلانس ، ولا يمشوا في الخفاف[2] ، ولا يركبوا إلا عرضاً على الإكاف[3] ، ولا يدخلوا معنا حَماماً ، ولا يبيعوا من المائعات طِيباً ولا طعاماً ، ولا يتجّروا في سوقنا ، ولا يزاحمونا في طُرقنا ، ولا يمسكوا الدَّنانير التي فيها اسمُ الله تعالى ؛ إلى كثير من هذا المعنى .

وإذا كان ذلك كذلك ، فالواجبُ ايضاً ألَّا يُجرَوْا مجرى المسلمين في المكاتبات ، ولا يُسلك بهم مسلكهم في المخاطبات . ولا يتعدَّى من كاتبهم في العُنوان قوله : من فلان الى فلان ، ثم يركب على هذا الترتيب ما شاكَلَ من الالفاظ ، وساغَ من المَعاني . وكذلك يجبُ ألا يُستفتح في مخاطبتهم كتاب إلا بفصلِ الخِطاب[4] ، أو بما تقدم ذكره في [٢٤ / ب] غير هذا الباب .

واختلف بعضُ علمائنا في الصَّلاة على النبي عليه السلام في الرَّسائل والعهود[5] التي يُكتب بها الى النصارى واليهود . فكان بعضهم يُغفل ذلك

---

(١) يُرجع في تفصيل هذه الأحكام الشرعيّة الى كتاب (أحكام أهل الذمّة) لابن قيم الجوزية ـ حققه الدكتور صبحي الصالح ـ نشر جامعة دمشق .

(٢) الخِفاف جمع خُفٌّ : ما يلبس في الرجل من جلدٍ رقيق .

(٣) الإكاف : البردعة .

(٤) بعبارة : أمّا بعد .

(٥) في الاصل : المعهود « (بزيادة الميم) والصواب ما أثبت .

ويكتب : (بسم الله الرحمن الرحيم ، عونك اللهم) وكان بعضهم يقول في ذلك : لأصُكنَّ مسامعهم بالصَّلاة على النبي ﷺ، عَمَّا يدعو إلى القدح فيه والغضّ منه .

وقد قال الله سبحانه : ﴿ **وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ ولاَ تُخَافِت بِهَا ، وابْتَغِ بَينَ ذٰلِكَ سَبِيلاً** ﴾[1] . قال ابن عباس[2] في تفسير ذلك : إنّ النبيَّ ﷺكان يجهرُ بالقراءة فيسمعُ المشركون قراءتَهُ ، فيَسُبُّون القرآن . ﴿ ولا تخافت بها ﴾ فلا يسمع أصحابك قراءتك .

ومما يجب : ألاَّ يُدعوا في المخاطبات بِكُناهم ، فإنَّ ذلك من باب التَّرفيع . وقد رخَّص بعضهم في كُنية اليهودي والنصرانيّ ، لقوله ﷺلصفوان بن أمية : أنزلْ أبا وهب[3] . وهذا عندي ليس كذلك ؛ لأنَّ صِفوان ـ رحمه الله ـ أسلمَ ومات مُسلماً . فلعلّ الرسول ﷺكان قد علم أنّهُ سيموت مُسلماً ، وأنَّ مآل أمره إلى الإسلام ، فخاطبه بما يخاطب به المسلمون . أو لعله ﷺأرادَ أن يؤلف بذلك قلبه للإسلام ، كما ألَّف قلب غيره بجزءٍ من الصَّدقات . فكما أغنى الله من أن تؤلَّف قلوبُهم في عصرنا هذا بالصدقات ، كذلك أغنى عن أن تؤلف قلوبهم بالتَّرفيع والتبجيل .

فإن قيل : فقد ذكرَ الله سبحانه أبا لهب في مُحكم تنزيله بكنيته ، وكيف

---

(١) « سورة الاسراء » : ١١٠ .

(٢) أخرج البخاريّ من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الآية السابقة نزلت ورسول الله ﷺمختف بمكة . وأورد الحديث أطول مما أثبت الكلاعي بالمعنى نفسه . (فتح الباري ٨ : ٣٢٦) .

(٣) جاء في تفسير القرطبي : (الجامع لأحكام القرآن) في تفسير قوله تعالى « فقولا له قولاً لينا » : اختلف الناس في معنى قوله « ليناً » فقالت فرقة : معناه : كنياه . . . وقد قال ﷺ: « إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه » ، ومن الإكرام دعاؤه بالكنية ، وقد قال ﷺلصفوان بن أمية « انزل أبا وهب » ـ فكنّاه . انظر الجامع لأحكام القرآن ج١١ الصفحة ٢٠٠ ـ ٢٠١ .

يذكرهم الله سُبحانه بكناهم ، ولا تسوغُ لنا نحن تكنيتهم ؟ قيل : في الجواب ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن العرب كانت ربّما جعلت اسم الرجل كُنيتَه ، فكانت الكنية الاسم [٢٥/ أ] . وقد ذكر الأَصمعي أن أبا عمرو بن العلاء ، وأبا سفيان[١] أسماؤهما كنُاهما ، فيحتمل أن (أبا لهب) يجري هذا المجرى ، وان الله سبحانه ذكره بما لا يُعرَف إلاّ به .

والثاني : أنه قد تكون للرّجل الكنيةُ والاسم ، فتغلب الكنية على الاسم ، فلا يُعرف إلا بها كأبي طالب ، وأَبي ذَرّ ، وأبي هريرة . ولذلك كانوا يكتبون : علي بن أبي طالب ، ومعاوية بن أبي سفيان ، لأن الكنية بكمالها صارت اسماً واحداً ، فيُحتمل أن (ابا لهب) يجري هذا المجرى ، وأن الله سبحانه ذكرَه بالأشهرَ من أسمائه ، تأكيداً في لحاق التَّبِّ به والخِزي .

والثالث : أنه روي في الحديث أنّ اسم أبي لهب عبد العُزّى ، فإن كان ذلك كذلك فكيف يذكره الله سبحانه بهذا الاسم ، وفيه معنى الشرك والكذب ، لأن النّاس جميعاً عبيد الله[٢] ؟

ومما يجبُ على الكاتب ألاّ يسلّم على يهودي ولا نصراني في ابتداء خطاب ، ولا في ردّ جواب ، لأنهم لا يجب أن يُبتدَؤ وا[٣] بالسلام ، ولا يُرَدُّ

---

(١) في الأصل : وأبا سفيان بن العلاء .

(٢) ذكر ابن قتيبة هذه الوجوه الثلاثة في باب (الكناية والتعريض) من كتابه (تأويل مشكل القرآن) ص : ١٩٩ : ٢٠١ . ويبدو أن الكلاعي نقل عن ابن قتيبة ، ولا بدع ، فآثار ابن قتيبة كما مر ، وكما سنرى ، من مصادر الكلاعي .

(٣) في الأصل : يبتدىء .

عليهم إلا بما قال النبي ﷺ. روى ابن عمر أن النبي عليه السلام قال[1] : إن اليهود إذا سَلَّم عليك أحدهم فإنما يقول : السَّامُ عليك ، فقلْ : عَليك .

على أنّ ما قاله ﷺ قديم في الرّسائل لأنهم لا يقدرون أن يغيروا من الخطّ ما يغيّرون من الكلام . فالردُّ عليهم في الرسائل أبعد من الحرَج . اللهم إلا إن أغفلوا ضبط السّين من السَّلام ، ونَووا كسرها يريدون : السِّلام عليك أي الحجارة عليه ، أو أن يحذفوا الألف من السلام على عادة الكتّاب وينووا السَّلَم الذي هو الدِّين ، والسَّلَم الذي هو شَجرُ العِضاه .

والأخلصُ من هذا أن يُكتب إليهم في ردّ الجواب : وعليك من السلام مثل ما أهديتَ وأضمرت ونويت إن [٢٥ / ب] شاء الله تعالى . وأن يُكتب في ابتداء الخطاب : وعليكَ من السَّلام ما انت أهلهُ ومستحقُّه ومتوجِبُه إن شاء الله تعالى .

وأخلصُ من هذا كله أن يُكتب اليهم : (والسلام على من اتّبَع الهُدى ، وآثرَ الآخرة على الأُولى) ، وما نحَا هذا المنحى وأشبهَ هذا المعنى .

وقد استسهلَ بعضُهم ردَّ السَّلام عليهم ، واحتجَّ بقولهِ تَعالى ﴿ **فَاصْفَحْ عَنْهُم ، وقُلْ سَلَامٌ** ﴾[2] . قال ابن حبيب : ولو كان كما قالَ لكان سلاماً بالنَّصب ، وإنّما يعني بذلك على اللَّفظ والحِكاية . وأيضاً فقد قيل فيها إنها

---

(١) أخرج أبو داود والترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) انه قال : « قال رسول الله ﷺ : إن اليهود إذا سلم عليك أحدهم فإنما يقول : السام عليكم . فقولوا وعليكم » . وفي لفظ لمسلم والنسائي « فقل عليك » بغير واو . قال في الهامش : السام فسروه : الموت . (انظر مختصر سنن ابي داود ٨ : ٧٥) .

(٢) « سورة الزخرف » : ٨٩ .

منسوخة بآيةِ القتال[1] ، وما نُسِخَ لا يجوزُ استعماله ، ولا القولُ به . والله الموفق للصواب .

فصل

في أقسام الخطاب[2]

الخطاب يُقسم إلى ثلاثة أقسام : منهُ ما رفَل ثوبُ لفظِه على جَسدِ معناه ، وهذا هو الإسهاب . ومنه ما ثوبُ لفظِه كثوبِ المؤمن ، وهذا هو الإيجاز . ومنهُ ما خِيط ثوبُ لفظِه على جسَد معناه ، وهذا هو المُساواة . ولكل قسمٍ من هذه الأقسام موطن يصلح فيه ، ومقام يختص به .

فالإيجاز ليس بمحمودٍ في كلّ موطن ، كما أنّ الإسهاب ليس بمذمومٍ في كل موضع . وقد أطال الله سُبحانه في كتابه العزيز مَرّة للتوكيد ، وحذَف تارة للإيجاز ، وكرَّر مرةً للإفهام .

[الإسهاب]

فموطنُ الإسهاب ما يُكتب به إلى عامّة ، وتُقرع به آذان جماعة ، كالصُّلح بين العَشائر ، والتَّحضيض على الحرب ، والتَّحذير من المَعصية ،

---

(١) آية القتال ـ وتسمى آية السيف ـ هي قوله تعالى ﴿ **فإذا انسلخَ الأشهرُ الحُرم فاقتلوا المشركين حيثُ وجدتموهم وخُذوهم واحصرُوهم واقعدوا لهم كل مَرصد . فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلّوا سبيلهم إن الله غفورٌ رحيم** ﴾ ـ التوبة : ٥ ـ وقال ابن كثير في هذه الآية : (هي آيةُ السَّيف التي قال فيها الضحاك بن مزاحم إنها نَسخَت كل عهد بين النبيﷺوبين أحد من المشركين،وكل عَقد ، وكل مُدّة . وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية : « لم يبقَ لأحدٍ من المشركين عهدٌ ولا ذمّةٌ منذ نزلت بَراءة) . انظر تفسير ابن كثير وبهامشه البغوي (٤ : ١١٧ ـ ١١٨) مطبعة المنار بمصر ١٣٤٦ هـ .

(٢) في الأصل : الخطابة ، وهو تحريف . والمقصود : أقسام الكلام .

والترغيب في الطّاعة ، وغير ذلك مما لهُ بال . فحينئذ يجبُ على الكاتب أن يُبدىء[1] ويُعيد ، ويُحذِّر بالتّكرير ، وينذرَ بالتّرديد ، ولتكون رُقى مواعظه [٢٦ / أ] أولجَ في المسامع ، وحجّته أظهرَ على مُختلفي الأفهام والطبائع . ألا ترى إلى قول قيس بن خارجةَ الفَزاري[2] وقد قيل له : ما عندك في حَمالات داحِس قال : عندي قِرى كل نازل ، ورِضى كلّ ساخط ، وخطبة من لَدُن تطلع الشّمس إلى أن تغرب : آمرُ فيها بالتّواصل ، وأنهى عن التّقاطع .

قال الجَاحظ[3] قيل لابن يَعقوب : هلّا اكتفى بقولِه آمر بالتواصل عن أن يقول وأنهى عن التقاطع ، قال [أ] وَما[4] علمتَ أن الكناية والتعريض لا يعملان في العُقول عمل الإيضاح والكَشف ؟

[الإيجاز]

وأمّا الإيجازُ فيخاطَب به أَهلُ الرُّتب العالية ، والهِمم السامية ، لأن الوجيز عند هذه الطائفة أَنفقُ من الإطالة ، والإشارة لديهم أنجحُ من تطويل المقالة ، وما ذاكَ إلا لبُعد هِممهم ، وتفسُّح خواطرهم .

ومن كلام أبي العَلاء ـ وأنا أمتُّ بحقّ التخفيف ـ : « قال بعض الرُّعاة : لا تَذُمّوا القَتادة ، فإن لها علينا[5] حقّاً . قيل وما ذلك ؟ قال : إنها لم تنبُت

---

(١) في الأصل : يبتدىء .

(٢) الخبر في البيان والتبيين (١ : ١١٦ ـ ١١٧) باختلاف يسير . والحمالاتُ جمع حمالة : الدية يحملها قوم عن قوم .

(٣) في الأصل : الحافظ .

(٤) الزيادة من البيان والتبيين .

(٥) في الأصل : عينا صفا .

بأرضنا ـ واذكر الحاجة قبل أن أُبرم فأُجرم ؛ لأنّ من أتى بالإبرام وقَع في عَظِيم الاجرام »[1] .

والأَصل في ذلك التّخفيف عن أَهل الممالك ، لأن قراءة الكُتب وسماعها كُلفة . والواجب تخفيفُ الكُلَف عن الأكابر والملوك .

* والإيجازُ في كلام البُلغاء يأتي على ضروب وأنحاء . فمنه ما يأتي مع البَيان ، وهو أشرف الكلام . مثال ذلك قوله جلّ وعزّ : ﴿ **قُلْ هُوَ اللهُ أَحدٌ . اللهُ الصَّمَدُ . لم يلدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفواً أَحدٌ** ﴾[2] . فبيَّن جَلّ وعز مع الإيجاز أنّه واحدٌ لا ثاني له ، وأنّه صمَد لا جوفَ له[3] .

وقيل الصَّمُد : السيّد الذي يُصمد إليه في الأمور كلها ، ولا يُعدل عنه . وقيل العالي : [٢٦ / ب] المرتفع . وأنه غيرُ والدٍ ولا مولود ، وأنه لا شِبه لَهُ ولا مِثل . وقيل : الكُفو هنا : الصّاحب ؛ تعالى الله .

وإنما نزلت هذه السورة لمّا سألت اليهود[4] رسول الله ﷺ ، فقالوا :

---

(١) لم تنقل هذه الفقره في (تعريف القُدماء بأبي العلاء) .

(٢) « سورة الأخلاص » : (١ ـ ٤) .

(٣) رد القاضي عبد الجبار الهمداني هذا المعنى وأنكره ، لأنه يؤدّي إلى التشبيه ، واكتفى من معاني الصمد بأنه : السيد ، والذي يُصمد إليه (يفزع) في الحوائج . (انظر تفسير سورة الإخلاص من كتابه « تنزيه القرآن عن المطاعن » . المطبعة الجمالية بمصر ١٣٢٩ ، ص ٣٨٤) .

(٤) ورد هذا الحديث في ذكر مناقب عبد الله بن سلام رضي الله عنه ، من حديث رواه عن ابنه يوسف عن ابيه انه قال لأحبار يهود : اني أحدث بمسجد أبينا ابراهيم واسماعيل عهداً . فانطلق الى رسول الله وهو بمكة فوافاهم وقد انصرفوا من الحاج ، فوجد رسول الله ﷺ والناس حوله : فقام مع الناس . فلما نظر اليه رسول الله ﷺ قال : عبد الله ابن سلام ؟ قال : نعم . قال : ادن . فدنوت منه . قال : انشدك الله يا عبد الله بن سلام ، أما تجدني في التوراة رسول الله ؟ فقلت له : انعت لنا ربك . قال ، فجاء جبريل حتى وقف بين يدي رسول الله ﷺ فقال « قل هو الله احد . . » السورة . فقرأها علينا رسول الله . فقال عبد الله بن سلام : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . . . الحديث . قال الحافظ الهيثمي : رواه الطبراني وإسناده منقطع ، ورجاله ثقات . (مجمع الزوائد ٩ : ٣٢٦ و ٧ : ١٤٦) .

صِفْ لنا ربَك وانسبه ، فقد وصَف نفسه في التوراة ونسبها . فأكبر رسول الله ﷺ ذلك فقال : لو سألتُموني أن أصف الشمس لما أقدر على ذلك . فبينما هو كذلك إذْ هَبط جبريل عليه السلام فقال : يا محمد ، ﴿ **قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ** ﴾ السّورة .

ومثال ذلك قوله عليه السَّلام[1] : « المُسلِمونَ تتَكافأُ دِماؤُهم ، ويسعى بذمّتهم أدناهم ، وهم يَدٌ على مَن سواهم ، والمرءُ كثيرٌ بأخيه » . وهذا كلام في غاية من البَيان والايجاز .

من ضروب الإيجاز

ومن الإيجاز ما يأتي بالحَذف كقوله عز وجل : ﴿ **فأمّا الَّذِينَ اسوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أكَفَرْتُمْ بَعْدَ إيمَانِكُم** ﴾[2] أي فيقال لهم : ﴿ **أكفرتم بعد إيمانكم** ﴾ . وكقوله تعالى : ﴿ **وَاسأَلِ الْقَرْيَةَ** ﴾[3] وكقول النبّي عليه السلام وقد قال له المهاجرون : الأنصارُ قد فَضلونا بكذا وكذا فقال : **ألستُم تَعرِفون ذلك** ؟ قالوا : نَعم ، قال : **فإنّ ذلك معناه أنّ معرفتكم بإحسانهم وفضلهم مكافأة لكم** .

ومن الإيجاز ما يأتي بالإشارة والإيماء كقوله عز وجل : ﴿ **فَغَشِيَهُمْ مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ** ﴾ وكقوله تعالى : ﴿ **القَارِعَةُ ما القَارِعَةُ** ﴾[4] .

وهذا معدودٌ في أنواع البلاغة ، لأن نَفس السامع تَتّسِعُ في الظن

وأخرج الترمذي في صحيحه من طرق أخرى أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ : انسب لنا ربك فأنزل الله ﴿ **قل هو الله أحد . . .** ﴾ السورة . (صحيح الترمذي بشرح ابن العربي ١٢/٢٦٠) .

(١) الكامل للمبرد ١ : ٩٥ ، والعقد لابن عبد ربه ٢ : ٤١٨ .

(٢) « سورة آل عمران » : ١٠٦ .

(٣) « سورة يوسف » : ٨٢ .

(٤) « سورة القارعة » : ١ ـ ٢ .

والحساب . وكل معلومٍ فهو هيِّن لكونِه محصوراً . ولهذه العلة أنكرنا على أبي تمام في كتاب (الانتصار) ، قوله :

تقتلُ عَشراً من النَّعامِ بهِ بواحِدِ الشّدّ واحدِ النَّفَسِ[1]

وقوله [٢٧ / أ] :

مَطراً من العَبراتِ خَدّي أرضُه
حتى الصّباحِ ، ومُقلتاهُ سماؤهُ[2]

وبيت الطّائي هذا هو بيت الأول :[3]

وقَفْنا وأمَطرْنا دموعاً سماؤُه جفونُ عيونٍ ، والبقاعُ خدودُ

وإنما زادَ أبو تمام ما نقصَ به معنى الكلام . وشرحُ ذلك مسطورٌ في كتابنا المذكور ، ولله الفضل .

وقد ركبوا في باب الإيجاز أنواع المُسامحة والمَجاز ، حتى قال قائلهم :[4]

---

(١) في الأصل (يقتل عشر . . .) والبيت من قصيدة لأبي تمام يمدح بها مالك بن طوق ويطلب منه فرساً . وجاء في معناه : يُصاد عليه عشر من النعام في طلق واحد . (انظر ديوان أبي تمام ـ المجد الثاني ـ ط . دار المعارف ـ تحقيق محمد عبده عزام ـ ص ٢٣٩) .

(٢) في الأصل : (مطر . . . ومقلتاي) . والبيت من قصيدة غزلية قصيدة لأبي تمام (ديوان بشرح التبريزي ٤ : ١٤٨) .

(٣) البيت في (المنصف) لابن وكيع غير معزوّ . ونبه ابن وكيع الى استفادة أبي تمام من البيت ، واستفادة أبي الطيب المتنبي منهما في قوله :

في الخدّ أن عزمَ الخليطُ رحيلا
مطرٌ يزيد به الخدود مُحولا

(٤) البيتان لعمر بن أبي ربيعة (الديوان ـ طبعة المكتبة التجارية بمصر ـ الصفحة : ١٩٦) . وفيه ١ . خشية اهلها . . . إشارة محزون ـ ٢ . بالحبيب المتيّم .

أشارتْ بطرفِ العَيْنِ خيفةَ أَهلِها إشـارةَ مَـذعـورٍ ولـم تَتـكلَّمِ
فأيقنتُ أنّ الطَّرف قد قالَ : مَرحباً وأهلاً وسَهلاً بـالحبَيبِ المُسَلِّمِ

فجعل إشارتَها قد عبّرت على خيفةٍ ، ما لا يُعبِّر مثله في أفصح صَحيفة !

وقد جَعلوا الصَّمتَ خِطاباً ، والسُّكوت جواباً . قال الجُعفي :

وفي النفسِ حاجاتٌ وفيكِ فطَانَةٌ سُكوتي : جوابٌ عندها وخِطابُ[1]

[المساواة]

وأما القسمُ الثالث وهو مساواةُ اللفظ للمعنى فَداخِلٌ عند الرماني[2] في باب الإيجاز . ومثّله بقولك : سل القرية . وأما قُدامة[3] وغيره فيراهُ قسماً آخر ، ونوعاً من الكلام ثانياً يُوجَدُ كثيراً في الأشعارِ ، وبلاغَةِ الأعراب .

باب

وتأملتُ ـ أدام الله توفيقك ـ النثر فوجدت فيه أنواع البديع ما في النظم .

---

(١) البيت من قصيدة لأبي الطيب في مدح سيف الدولة ، وهو آخر بيت فيها (الديوان بشرح الواحدي : ٦٨٦)
ـ والشطر الثاني فيه : سكوتي بيانٌ عندها وخطابُ

(٢) عليّ بن عيسى الرمّاني (٢٩٦ ـ ٣٨٤) باحث معتزلي مشهور . كان متقناً للأدب وعلوم اللغة والنحو ، وبرع في علوم القرآن والتفسير ، وعلوم المنطق والفلسفة .
ـ وللرمّاني ، رسالة في إعجاز القرآن (انظر ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ـ سلسلة ذخائر العرب ١٦) . وبحث الإيجاز فيه : ٧٦ ـ ٨٠ . والإيجاز عنده نوعان : حذفٌ وقصر ، فالحذف إسقاط كلمة وشاهده ﴿ واسأل القرية ﴾ ، والقصر بنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف .
ـ وانظر العمدة (لابن شيق) ١ : ١٦٧ .

(٣) قدامة بن جعفر (. . . ـ ٣٣٧) الكاتب الاديب الناقد . صاحب (نقد الشعر) . قال فيه ، في (نعت ائتلاف اللفظ مع المعنى) : « المساواة هو أن يكون اللفظ مساوياً للمعنى حتى لا يزيد عليه ، ولا ينقص عنه (الصفحة ٥٥ من طبعة الجوائب) .

فأغفلت ذكرها في هذا الكتاب ؛ لأن كثيراً من العلماء قد عُنوا بهذا الباب . وجعلت أبحث عن ضروب الكلام فوجدتها على فصول وأقسام منها : التَّرسيل ، ومنها التَّوقيع ، ومنها الخُطبة ، ومنها الحِكَم المرتجلة والأمثال المُرسَلة ، [٢٧ / ب] ومنها المُوَرَّى والمُعَمَّى ، ومنها المقَاماتُ والحِكايات ، ومنها التَّوثيقُ ، ومنها التَّأليف .

وتأمّلت أيضاً ـ أكرمَك الله ـ الأسجاع فوجدتُها على ضُروبٍ وأنواع . فمنها[١] ما يجب أن يسمى المُنقاد[٢] ، ومنها ما يجب أن يُسمّى المضارع، ومنها ما يجب ان يسمى المُشكِل . وقد أثبتُّ ما ذكرتُ من التَّفصيل والتَّبويب على التَّدريج والتَّرتيب ، إن شاء الله تعالى .

فصل

الترسيل

والتَّرسيلُ ـ أعزك الله ! ـ مختلفٌ باختلاف الأزمان ، ومُنوَّع على أنواع حِسان . بوّبتُها أبواباً ، واخترعْتُ لها [ألقاباً][٣] ، لتكون بها مَوسُومة ، ولمن يطلب حقيقة البيان مَرسُومة . فرأيتُ منها ما يجبُ أن يُسمّى **العاطل** ، ومنها ما يجبُ أن يسمّى **الحالي** ، ومنها ما يجب أن يُسمّى **المغصّن** ، ومنها ما يجب أن يُسمى **المفصل** ، ومنها ما يجب أن يسمّى **المبتدَع** . وسأذكر ذلك قِسماً قسماً ، وفصلاً فصلاً ، ان شاء الله تعالى .

---

(١) في الاصل : منها .

(٢) في الاصل : النقاء (بحذف الميم). والتصويب من الورقة (٧٣ / أ] حيث فصّل ووضّح .

(٣) أورد الكلاعيّ مثل هذه العبارة في الورقة [٥ / أ] والكلمة مستدركة من ثمة .

فصل
العاطل

وإنما سَمّينا هذا النوع : **العاطل**[1] لقلّة تحليته بالأَسجاع والفَواصل . وهذا النوع هو الأصل . والتَّجَمُّل بكثرةِ السجع فرعٌ طارىء عليه . وقَلَّما يستعملُ هٰذا النوع الا المتقدّمون كابن عبد كان[2] ، ومن قبله من أهل الفصاحة والبيان . فكانوا إذا عَنّ لهم السّجع ذكروه ، وإذا أعرض عنهم لم يستجلبوه[3] . فمما كتب به أبو جعفر المذكور عن أبي العبّاس أحمد بن طولون[4] إلى لؤلؤ مَولاه وقد عصاه قوله : « فأحببتُ ـ أبقاك الله ـ لموقعك مِنّي ، ولطف منزلتك عندي [أنْ] أُذكِّرك من حَقّ النِّعمةِ عليك [٢٨ / أ] ما لم آمنْ[5] أن يُلِمَّ بك نيسانٌ له ، أو تعرض لك غفلةٌ عنه . غير مانٍّ عليك بما أُعَدِّدهُ ، ولا مستكثر لكَ ما أنصُّه ؛ إذ كان الله تقدست أسماؤه قد قرن المنّ بالاذى في كتابه ، ونهَى المؤمنينَ عن إبطال صَدقاتهم به[6] . ولولا أن تذكيري إياك ليالي عندك ،وهي تذكيري بأيام الله لديك ، إذ كان الله تبارك وتعالى هو الذي منحك مِنّي الحنوَّ والبِرّ ، وأوجب لنفسه عز وجل ثم لي عليكَ الشُّكر ،

---

(١) يقال عَطِلت المرأة : خلت من الحليّ ، فهي عاطل .
ـ وأورد ابن حجة الحموي (الخزانة : ٥٣٧) « العاطل » باعتباره الكلام المهمل من النقط .

(٢) أبو جعفر محمد بن عبد الله المعروف بابن عبد كان . انظر ترجمته في الورقة (١٨ / أ] .

(٣) في الاصل : « لم يستجلبوهم » ، وهو تحريف ظاهر .

(٤) أحمد بن طولون (٢٢٠ ـ ٢٧٠) امير تركي ، ولي مصر والشام سنة ٢٥٤ فاستقام له الامر وأورث الحكم من بعده ابنه خمارويه ، ولم تعمر دولة الطولونيين طويلاً (انظر النجوم الزاهرة ٣ : ١ ـ ١١٤) .

(٥) في الاصل : آمر .

(٦) يشير الى قوله تعالى : ﴿ **يا أيُّها الَّذين آمَنُوا لا تُبطِلوا صَدقاتِكم بالمنِّ والأذى** ﴾ . البقرة : ٢٦٤ .

وجَعلهما شكرين مقبولين لا يقبل أحدهما إلا بصاحبه ؛ لأمسكتُ عن تَعدَادِ ما عَدّدتُه ، وأقصرتُ عن ذكر ما ذكرته » .

فصل
الحالي

وإنما سَمّينا هذا النوع **الحالي** لأنّهُ حلّي بحسن العبارة ، ولُطف الاشارة وبدائع التَّمثيل والاستعارة . وجاء فيه من الأسجاع والفَواصل ما لم يأتِ في باب العاطل . وربما أُغْفل في بعضِ الكلام استجلابُها ، وأُهمل في مَواطن من هذا الباب استدعاؤها . ولكنّي إنما أنسب الكتاب الى ما غَلب عليه ، وأذكرُه في باب ما يميل طبعُه كثيراً اليه ، وإن كان في بعض الأحايين يميل إلى سواه ، ويتحلّى بغير حُلاه .

فممّنْ جرى في هذا الباب ملءَ عِنانه ، وحاز قَصب السَّبقِ في ميدانه إبراهيم بن هلال[1] .

[أبو إسحاق الصابي]

قال أبو منصور: هو إبراهيمُ بن هلال بن زهرون الصّابي الحرّاني أَوْحَدُ العراق في البلاغة ، ومَن تتثنّى الخناصِرُ به في الكتابة ، وتتفق الشهادات له ببلوغ الغايةِ من البَراعة في الصّناعة . وكان قد خنق التسعين في خدمة الخلفاء وخلافة الوُزراء . وتقلَّد الأعمال الجلائل ، مع ديوان الرسائل ، وحَلَبَ الدّهر

---

(١) إبراهيم بن هلال الصابي (٣١٣ - ٣٨٤ هـ)من كبار كتاب الدولة العباسية . خدم معز الدولة البويهي ثم ابنه بختيار . ولما ملك عضد الدولة عدو بختيار سجن أبا هلال الصابي ، إلى ان أطلقه ابنه صمصام الدولة بعد ٤ سنوات . وكان صابئاً ولم يسلم . (وفيات الاعيان ١ : ١٤ ، ويتيمة الدهر ٢ : ٢٣ ، و : Brock. I. 96, S. I. 96) .

[٢٨ ك ب أشطره] ، وذاق حُلوَهُ ومُرَّه[١] ، ودوّن من الكلام البَهِيّ النقيّ العلوي ما لم تتناثر دُرَره ، وتتكاثر[٢] غُرره[١] . وأراده الملوك على الإسلام ، وأداروه بكل حيلةٍ ومنيةٍ[٣] جليلة ، فلم يهدِه الله للإسلام ، كما هَداهُ لمحاسن الكلام . وكان يعاشِرُ المسلمين أحسن عِشرة ، ويخدمُ الأكابر أرفع خدمة ، ويساعدهم على صِيام شهر رمضان ، ويحفظُ القرآن حفظاً يدورُ على طرفِ لسانه ، وسِنّ قلمه .

وسأُثبت من كلامه في هذه الرّسالة ، ما فيه على سبقه أعظم البُرهان والدلالة ، ان شاء الله .

قال أبو منصور : لما نقل عِزُّ الدولة بختيار بنته المزوّجة بغرة الدولة ابن تغلب اليه بالموصل ، كتبَ عنه أبو إسحاق في ذٰلك فصلاً من كتاب استحسنه الناس فحفِظوه ، وأقرّ له كل بليغ بالبراعة :

« وقد توجه أبو النَّجم وهو الأمير على ما يلحظهُ ، الوفيُّ بما يحفظهُ ، يحملُ الوَدِيعة . وإنما نُقلت يا سيدي ـ أعزّك الله ! ـ من موطنٍ إلى موطن ، ومن مُعَرَّس الى معرس ، ومن مأوى بِرٍّ وانعطاف إلى مأوى كرمٍ وألطاف ، ومن منبتٍ درَّت لها نَعماؤه[٤] إلى منشأ تجودُ عليها سَماؤه . وهي بضعة منّي انفصلت اليك ، وثمرةٌ من جَنى قلبي حصَلت لديك ، وما بانَ عنّي من وصلتَ حَبله[٥] بحبلك ، وتخيَّرت له بارعَ فضلك ، وبوّأته المنزلَ الرَّحب من جميل

(١ ـ ١) أغفل المصنف بعض الشعر ، وفقراً من النثر ، مثبتة في اليتيمة . وما بين الرقمين من عبارة الكلاعي .

(٢) في الاصل : تكثر .

(٣) في اليتيمة : وتمنية .

(٤) في الأصل : ومن منية درت لها نعماء .

(٥) في الاصل : حبلي .

خلائقك ، وأسكنته الكنف الفسيحَ من كرم شِيمك وطرائقك ، ولا ضاعَ عليَّ ما تضمنه أمانتك ، ويشتمل عليه حفظك وصيانتك . وأرجو أن يقرن الله أمورها بالطائر السعيد ، والأمر الرشيد ، والعزّ الزّائد ، والجدّ الصّاعد [٢٩ / أ] و[. . .][1] الائتلاف ، والعِصمة من الفُرقة بالخلاف ، حتى تكون[2] عوائد البركة بأحوالها مَنوطَة ، ومن عَوادي الأيام وغيرها مَحُوطة .

وإنّما ألمَّ أبو إسحاق في تسميته إيّاها بالوديعة بفصلٍ كتبه ابن ثُوابة[3] عن المعتضدِ[1] الى ابن طولون ، في ذكر ابنته قَطْرِ النَّدى[4] ، المنقولة إليه ، وهو :

« وأما الوديعةُ ـ أعزّك الله ! ـ فهي بمنزلة ما انتقلَ من يمينِك إلى شمالك ، عنايةً بها ، وحِياطةً لها ، ورعايةً لمَواتك فيها » .

ويُحكى[5] أنّ الوزيرَ ابن خاقان[6] انتقد الفصلَ عن ابن ثُوابة، وقال له :

---

(١) في الأصل فراغ بمقدار كلمتين . والنصّ ليس من ترجمته في اليتيمة .

(٢) في الأصل : يكون .

(٣) هو أبو الحسين محمّد بن جعفر بن ثوابة أحد أفراد أسرة بني ثوابة الكتّاب في العصر العبّاسي . ذكره ياقوت (معجم الادباء ٤ : ١٤٦) في جُملة أعلام من بني ثوابة في أثناء ترجمة ابي العبّاس أحمد بن محمد بن ثوابة .

ـ والخبر في زهر الآداب للحصري (١ : ٦٦٨) . وكان خمارويه قد كتب مع قطر الندى رسالة الى المعتضد يسأله أيناسَها ويذكره بحرمة سلفها ، فأمر المعتضد وزيره أبا القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب بالجواب عن الكتاب . فسأله ابو الحسين أن يؤثره ، فكتب ابن ثوابة . . . (النصّ) . فاعترض عليه ابن وهب ، وأنفذ الردّ من إنشائه .

(٤) قطر النّدى هي أسماء بنت خمارويه بن أحمد بن طولون (ت ٢٨٧) من شهيرات النساء عقلاً وجمالاً وأدباً . تزوجها المعتضد العباسي سنة ٢٨١ وجهزّها بجهاز لم يعمل مثله . وتوفيت ببغداد .

ـ وانظر خبر زواج قطر الندّى من المعتضد في النجوم الزاهرة ٣ : ٥٣ ، ٦١ .

(٥) أورد ابن فضل الله العمري في (مسالك الابصار ـ مصورة دار الكتب المصريّة ـ ٨ : ٢٤٨ ـ ٢٥٠) هذا الخبر ، وخبر رسالة ابن عبد البرّ التالية .

(٦) كذا . والصوابُ أنه ابن وهب كما سبق في الحاشية (٣) . أما الفتح فقد توفي قتيلاً سنة ٢٤٧ مع المتوكل في الكائنة عليه . والفتح أديب كاتب شاعراً ايضاً استوزره الخليفة المتوكل .

ما أقبحَ ما تفاءَلت لأمرأةٍ[1] زُفَّت الى الملك بتسميتِها (الوديعة) ؛ والوديعةُ مستردّةٌ . وقولُكَ : من يَمينك الى شمالك قبيح[2] . لأنَّك جعلتَ أباها اليَمين ، والشّمال أمير المؤمنين . ولو قلت : « وأما الهديةُ فقد حَسُن موقعها منا ، وجلَّ خطَرُها عندنا ، وهي وإن بَعُدَت عنك بمنزلة مَنْ قَرُبَ منك ، بتفقُّدنا لها ، وسرورِها بما وَردت عليه ، واغتباطِها بما صارت إليه » . فكُتب الكتاب يومئذ على ذلك .

وقد تخلَّص أبو إسحاق من هذا بقوله : (يحمِلُ الوديعة) فجعلها وديعةً بيدِ حاملها ، لا بيدِ المحمولةِ اليه .

وقد ألمَّ أبو محمّد بن عبد البر[3] بقولِ ابن خاقان في بعض الهدية إليه ، فكتب عن ابن مُجاهد[4] ، وقد زفَّ ابنته الى ابن صُمادح[5] .

قد انتظمنا انتظام السِّلك ، وضَرحنا[6] عن مشارب الحال الجامِعة لنا

---

(١) في الاصل : ما أنبل ما تفاءلت بامرأة .

(٢) في زهر الآداب ومسالك الابصار : أقبح .

(٣) الكاتب أبو محمد عبد الله بن العالم ابي عمر بن عبد البر النمري . ترجم له صاحب المغرب في كتاب مدينة دانية ، وذكر ابن بسام وصاحب القلائد انه قدم على المعتضد بن عباد الا ان ابن زيدون وشى به فكاد يهلك . (انظر المغرب ٢ : ٤٠٢ ، القلائد ١٨٠) .

(٤) إقبال الدولة علي بن مجاهد العامري (. . . - ٤٧٤) ولي دانية بالاندلس بعد ابيه سنة ٤٣٦ . كان حسن السياسة مؤثرا للعلم والعلماء . ونقل ابن الخطيب (من أعمال الاعلام : ٢٥٤ طبعة الرباط ١٣٥٣) انه طالت ايامه وصاهر أمراء وقته على بنات له كن آية في الجمال . اهـ . واستولى المقتدر بن هود على دانية منه سنة ٤٦٨ فانتقل الى سرقسطة .

(٥) معز الدولة ابو يحيى بن محمد بن معن بن صمادح ، ولي المرية بعد ابيه غير انه فر مع أهله وبعض خاصته الى الجزائر بعد ان تغلب المرابطون على بني عباد ، وأيقن بزوال ملكه (انظر اعمال الاعلام : ٢٢٢) .

(٦) في الاصل ، واليتيمة : وضربنا . وهذه قراءة الدكتور إحسان عباس .

قذاةَ كلّ شَكٍّ وإفك . وظهرَ الحق المُبين [من المين][1] . وتبيّنَ الصُّبحُ لِذي عَينين . وأُنفِذَت الهديّةُ المُقتضاة [محفوفة][1] بالحُرَم والمَحارِم ، مكنوفة بالكَرائم ، ثم بالأَعلام الأَكارم . وأنا [٢٩ / ب] أسأل الله في متوجَّهها ومُنقلبها الرعّاية الموصولة بك ، والكفاية المعهودة [منك][*] .

فصل : لأبي إسحاق من كتاب الى عضد الدولة في التَهنئة بتحويل سنة[٢] :

أسأل الله مُبتهلاً لديه ، مادّاً يدي إليه أن يُحيل على مولانا هذه وما يتَلوها من أخواتها بالصّالحاتِ الباقيات ، والزياداتِ[٣] الغامرات ، ليكون لكلّ دهرٍ يَستقبلهُ ، وأمَدٍ[٤] تأنِفهُ ، مُوفياً على المتقدّم له ، قاصراً عن المتأخر عنه . ويُوفيه من العمرِ أطوَله وأبعدَه ، ومن العيشِ أعذَبه وأرغده ، عزيزاً منصوراً محميّاً موفوراً ، باسطاً يَده فلا يقبضُها إلا على نَواصي أعداء وحُساد ، سامياً طرفُه فلا يَغُضُّه إلا على لذّة[٥] غمض ورقاد . مُستريحةً ركابهُ فلا يُعملها إلا لاستضافة عِزّ ومُلك . فائزةً قِداحُه فلا يُجيلها إلا لحيازة[٦] مالٍ ومُلك ؛ حتى ينَال أقصى ما تتوجّه إليه أُمنية جامحة ، وهمّة طامحة[٧] .

(١ - ١) زيادة يقتضيها المعنى . ومن الامثال : قد بيَّن الصبح لذي عينين » أي قد تبين . قال الميداني (٢ : ٩٩) يُضرب للأمر يظهر كل الظهور .

(*) زيادة يتقضيها السياق .

(٢) في يتيمة الدهر ٢ : ٢٨ .

(٣) في اليتيمة : الزائدات .

(٤) في الاصل : وأمر .

(٥) في الاصل : اللذة .

(٦) في الاصل : بحيازة .

(٧) في اليتيمة : أمنيته جامحاً ، وهمته طامحاً .

فصل من كتاب عن بَخْتِيار إلى مؤيّد الدولة لما قبض على أبي الفتح بن العَميد[1] ذي الكفايتين في الشفاعة له[2] :

وهذا غلامٌ أفسدَتْهُ سجيّةُ ركنِ الدّولة[3] في شدّة الاحتمال ، والصّبر على الإذلال . فاجتمع[4] له إلى ذلك التقلُّب في نعمة حازَها حيازة وارث[5] لم يكدح في تأثيلها ، ولامَسَّه النصَبُ في تَثميرها ، ولا اهتَدى إلى طريق استقبالها ، ولا تحَرَّز من دواعي انتقالِها[6] . ومِنْ ألزم اللوازم في حكم الرعاية [أنْ][7] نحفظهُ من شُكر نعمةٍ[8] نحنُ سَقيناه بكأسِها ، وأن نَعْذُره عند هفوةٍ قد شَركناه[9] في إيجادِ أسبابِها ، وأن تكونَ نفسُه محروسةً ، والبقيّةُ من حالِه بعد أن أخذ فضلها المفسد [٣٠/أ] له مَتروكة ، وأن يتحدّث الناسُ بأن سيّدي الأمير أصاب غرضَ الحزمِ في القبضِ عليه ، ثم طبَّقَ مفصل الكَرمِ في التّجاوُزِ عَنْه .

---

(١) أبو الفتح علي بن محمد بن العميد ، لقّب بذي الكفايتين : كاتب شاعر من مشهوري وزراء العباسيّين . خلَف أباه أبا الفضل (ت ٣٦٠) وكان كريماً محبوباً . سجنه بنو بويه لما رأوا إقبال الناس عليه ، قبض عليه مؤيد الدولة البويهي ثم عذّبه وقتله . .

ـ وبختيار المذكور هو عزّ الدولة بن معز الدولة البويهي أحد سلاطين بني بويه (٣٣٢ ـ ٣٦٧) نشبت معارك بينه وبين ابن عمه عضد الدولة انتهت بمقتله .

(٢) في الأصل : فصل عن بختيار الى ثوبة في الشفاعة لأبي الفتح بن العميد ، والعبارة مثبتة عن اليتيمة ٢ : ٢٨ .

(٣) في اليتيمة : سجية ركن الدولة الشريفة .

(٤) في اليتيمة : واجتمع .

(٥) في اليتيمة : وارث لها .

(٦) في اليتيمة : . . . استفائها ، ولا تحزن من طرق دواعي انتقالها .

(٧) ساقطة من الأصل .

(٨) في اليتيمة : سكر نعمة .

(٩) في اليتيمة : شاركناه .

فصل إلى أبي تَغلب في الشَّفاعة لأخٍ له[1] :

قد يكون ـ لَعمري ـ في ذوي الأرحام الشّابكة والقَرابات الدَّانية مَن يَتمادى في العُقوق ، ويذهب عن حِفظ الحُقوق . ولا يُسيغ ترك ما أَلفه[2] حتى يَرجع ، واستصلاحَه حتى يَنزع . وأن يجشم[3] الإعراض عنه لرياضةٍ تُقصد ، أو عاقبةِ نفع تُعتمد[4] . لم يبلغ به إلى قطعِ المَعيشة ، ومنع المادّة ، لأن قباحَة ذلك بمن يستعمله أكثر من مَضرَّته بمن يُعمل معه . وقد قيل : إنّ الملوك تُؤَدِّب بالهِجران ، ولا تعاقب بالحِرمان . [هٰذا] في الأتباعِ والأصحابِ ، وهو ألزم في الأقرانِ والأَتْراب .

فصل في ذكر فرس أهداه إليه[5] :

أما الفرسُ الذي سألتَ إيثارك به ، فقد تقدّمنا بقَوْده إليك . فالله يُبارك لك فيه ، ويجعلُ الخيرَ معقد ناصِيَتِه ، والإقبالَ غُرَّة وجهه ، وإدراكَ المطالِب تحجيل قَوائمه ، ونيلَ [الأماني طلقَ شدِّه ، وفتحَ الفُتوحِ غايةَ شأوهِ ، وسلامةَ العواقب مثنى][6] عِنانه ؛ بمنِّه .

فصل إلى بعض الوزراء في إهداءِ دَواةٍ ومَرْفَع[7] :

« قد خدمتُ مجلس سيدنا ـ حرسَه اللهُ وآنَسهُ ـ بدواة تُداوي مَرض

---

(١) هذه الفقرة في اليتيمة ٢ : ٢٩ .

(٢) في اليتيمة : تألفه .

(٣) في اليتيمة : فإن تجشم .

(٤) في اليتيمة : تحمد .

(٥) اليتيمة ٢ : ٢٩ .

(٦) ما بين قوسين ساقط من الأصل .

(٧) اليتيمة ٢ : ٣٥ ، والمرفع : الكرسي .

عُفاته ، وتُذوي قلوبَ عِداته . على مرفعٍ يؤذِنُ بدوامِ رِفعته ، وارتفاع النوائب عن ساحته » .

فصل[1] عن الخلِيفةِ في رعاية حقوقِ الآباء في الأبناء ، واصطناع أولاد الأَولياء[2] :

« وأمير المؤمنين يذهبُ على آثار[3] الأئمّةِ المرضيّين ، والوُلاة المجتهدين ، في إقرارِ ودائِعهم عند المرشّحين بحفظِها[4] ، والمضطَلِعين ٣٠/ب بحَملها من أولاد أوليائهم وذرّية أصحابهم[5] ، إذ كان لا بدّ للأسلاف أن تمضي ، وللأخلافِ أن تنمي[6] ، كالشَّجر الذي يُغْرَسُ لَدناً فيصير عظيماً ، والنّبات الذي ينجُم رطباً فيعودُ هشيماً . فالمصيبُ من تَخيَّر الغرس من حيث استُحِبَّ[7] الشَّجر ، واستُحلي الثَّمر ، وتُعهِّد بالعُرف مَنْ طابَ عنه بالعَرف الخبر ، وحَسُنَ منه الأَثر » .

فصل في الشّكر والكُفر[8] :

« للنِّعم شُروطٌ لا تَريم ما وجدَتْه ، ولا تُقيم إذا فقدته[9] . وكثيراً ما تُسكر الواردينَ حياضُها ، ويُعشي عيونَ المقتبسين إيماضُها . فيَذهلون عن الامتِراء لِدَرَّتها ، ويَعمهون عن الاستِمتاع بنضْرتها . فيكونون كمن أطار طائرَها لمّا

---

(١) اليتيمة ٢ : ٣٤ .

(٢) في الأصل : الأغنياء .

(٣) في الأصل : إيثار .

(٤) في اليتيمة : المترشحين لحفظها .

(٥) في اليتيمة : نصائحهم .

(٦) في اليتيمة : ينمو .

(٧) في اليتيمة : استنجب .

(٨) في اليتيمة ٢ : ٣٢ .

(٩) في اليتيمة : لا تريم ما وجد ، ولا تقيم ما قعد .

وقع ، ونَفَّر وحشيَّها لما رتع[1] . فلا يلبَثُون أن يتعرَّوْا من جِلبابها ، وينسَلخوا عن إهابِها ، ويتعوَّضُوا منه[2] الحَسرة والغليل ، والأسفَ الطويل » .

فصل في الاستمناح[3] :

وردَ ـ أطال الله بقاء سيّدي ـ فلان وفلان حاجَّين ، فَعَرَّجا عليَّ مُلِمَّين ، وعاجَا عليَّ مسلِّمين ، فحين عرفْتُهما ـ وقبل أن أردَّ السلام عليهما ـ مَددتُ اليد إلى ما معهما[4] ، كما مدَّها حَسّان بن ثابت[5] إلى جبلة بن الأيهم[6] ، ثقةً منّي بصلته ، وتشوُّقاً إلى تكرمته ، واعتياداً لإحسانه ، وإلفاً لمواردِ إنعامه ، وتيقُّناً أنّ الخَطرة[7] منّي على باله ، مقرونةٌ بالنصيب من مالِه ، وأنّ ذكراه لي[8] مشفوعة بنُعماه عليّ . وقمتُ عند ذلك قائماً ، وقَبّلْتُ الأرض ساجداً ، وكرّرتُ الدّعاء والثّناء جاهداً[9] . وسألت الله [تَعالى] أن يُطيل له البَقاء كطولِ يده في العَطاء[10] . ويمدُّ له في العُمر كامتداد ظله على [٣١/أ]

---

(١) في اليتيمة : لما أنس .

(٢) في اليتيمة : منها .

(٣) قال في يتيمة الدهر ٢ : ٢٧ : (وقرأت له ـ يعني الصابي ـ فصلاً من كتاب في ذكر صلة وصلت من الصاحب بن عباد اليه استظرفته جداً وهو . . .) . وعنوان الفقرة من ديباجة الكلاعي لا الثعالبي .

(٤) في اليتيمة : إليهما .

(٥) حسان بن ثابت الأنصاري ، شاعر الرسول (ص) . وكان يمدحُ الغَساسنة بالشام وملوك الحيرة قبل الاسلام . (الأغاني طبعة دار الكتب ٤ : ١٣٤) . وانظر (حسان بن ثابت) دراسة في سلسلة « الذخائر » .

(٦) جبلة بن الأيهم (٠٠٠ ـ ٢٠) آخر ملوك الغساسنة . أسلم ثم ارتد . وكان يُحسن صلة حسان . (وانظر نهاية الأرب ١٥ : ٣١١) .

(٧) في اليتيمة : خطوري بباله ، مقرون .

(٨) في الأصل : إلي .

(٩) في اليتيمة : مجتهداً .

(١٠) في اليتيمة : بالعطاء .

الحَرّ ، وأن يحرس هذا البدَد القليل العدد من مَشيخة الكُتّاب ، ومُنتَحِلي الآداب ، ما كَنفهم به من ذُراه ، وأفاءه عليهم من نَداه ، وأسامَهم فيه من مَراتعه ، وأعذَبهُ لهم من شرائعِه ، التي هم مُحَلّؤونَ إلاّ عنها ، ومَحرومون إلاّ منها » .

فصل من كتاب إلى الصّاحب ايضاً[1] :

وما عسَى أن أبلغَ في شَكر سيّدنا وحمده ، على ما أهلّني له من يَدِه[2] ورِفده ، وجهدِي يُقصِّرُ عن عَفوه ، وإسهابي يعجزُ عن وَصفه . وهل أنا في ذلك لو فعلتُه إلاّ كَمنْ جارَى الحِصانَ بالأتان ، وواجَهَ الغَزالة بالذُّبالَة[3] ، وقارَعَ الحُسامَ بالعَصا ، وبارَى الدُّرّ بالحَصى .

فصل إلى عضد الدولة[4] في التألُّف[5] :

« والله العالم أنّي مع ما عوَّدَنِيه من الأظهار ، وأوجدَنيه من الاستِظهار ، ومَنحنيه من شَرف المكان ، وظلّ السلطان ، وكَثرةِ الأعوان ، لأجزع في[6] .

---

(١) اليتيمة ٢ : ٣٦ . وهو الصّاحبُ بن عبّاد ، وستمرّ ترجمته .

(٢) في اليتيمة : بره .

(٣) الغزالة : الشمس . والذُّبالة : الفتيلة الّتي تُسرج .

(٤) عضد الدولة (٣٢٤ ـ ٣٧٢) : أبو شجاع ، اسمه فنّا خسرو وهو ابن ركن الدولة أبي عليّ الحسن بن بويه الدّيلمي . وفي ترجمته أنه كان محباً للفضلاء ، مشاركاً في عدة فنون . مدحه الشعراء ـ كأبي الطيب ـ وألفت له الكتب ، وهو أول من تلقب بالملك في الإسلام ؛ وأحد المتغلّبين على الملك في عهد الدولة العباسيّة بالعراق وفارس ومناطق أُخرى .
(انظر للتفصيل في شأن هذه الأسرة : كتاب : « البويهيّون والخلافة العباسيّة » للدكتور ابراهيم سلمان الكردي . وانظر مصادره ومراجعه) .

(٥) قال في اليتيمة : (فصل عن بختيار في ذكر عضد الدولة وما جرى بينهما) .

(٦) في الأصل : اجزع من .

مناضلة عَضُد الدولة من أن أصيبَ الغرض منه ، كما أجزع [من] أن يصيبَ الغَرض منّي ، وأكره أن أظفر بهِ كما أَكرَهُ أن يظفر بي ، وأُشفق من أن أطرفَ عَيني بيدي ، وأعضّ لَحم بَناني بأَسناني[1] » .

فصل إليه في المعنى[2] :

« إنّ انتِثارَ النّظام إذا بدأ ـ والعياذُ بالله ـ لم يقفْ عند الحدّ الذي يقدر فلانٌ أن يقفَ عنده . ولم يخصّص الجانب الذي يظنّ أنه يلحقه وحدَه ، بل يدبُّ دبيب النَّارِ في الهشيم ، ويَسري كما يَسري النَّغَل[3] في الأديم . وكثيراً ما تُعدي الصِّحاحَ مَبارِكُ الجُرْب ، ويتخطّى الأذى إلى المرتقى الصَّعب » .

فصل[4] : « وقد لحَقني من فُلانٍ[5] ما يَلحقُ الرّجلَ تَدْوى يَمينهِ[6] ، فهو بين أن يقطَعها ليسلمَ له ما بعدَها ، فيا لها[7] من خُطةٍ [٣١/ب] ما أصعبَها وأشقّها ، وورطةٍ ما أحرجَها وأضيقَها ؛ وبين أن يُغضي عليها فيترامَى دواؤ ها إلى[8] ما هو أعظَمُ من قَطعها ، وأمَضُّ من فقدِها[9] ، وتلك التي لا شِفاءَ لها ، والله المستعاذُ منها »[9] .

---

(١) في اليتيمة : لحمي بيدي . وفي الأصل : بسناني .
(٢) قال في اليتيمة ٢ : ٣٣ (فصل في ذكره ايضاً) .
(٣) النغل : الفساد .
(٤) قال في اليتيمة ٢ : ٣٣ (فصل في ذكره ايضاً) .
(٥) اليتيمة : من مولانا .
(٦) الدوّى : المرض . يُقال دَوِيَ يَدْوى (مثل عَلِم يَعْلَمُ) .
(٧) في اليتيمة : ويا لها .
(٨) في اليتيمة : فيرمي إلى .
(٩ ـ ٩) لم يرد في اليتيمة .

فصل[1] عن بَختيار في أمر سُبكتيكين[2] الغُزني[3] :

« هو أرقُّ ديناً وأمانةً ، وأخفضُ قَدراً ومَكانة ، وأتمُّ ذُلاًّ ومَهانة ، وأظهرُ عَجزاً وزَمانةً[4] من أن تستقلّ به قَدمٌ في مُطاولتنا[5] ، وتطمئنّ له ضُلوعٌ على مُنابَذتنا . وهو في نُشوزه عنّا ، وطلبِنا لهُ كالضالَّة المنشودة . وفيما نرجُوه من الظَّفَر بهِ كالظُّلامةِ المَرْدُودة » .

وبدائع أبي إسحاق كثيرة ، ورسائلهُ بذيعة أثيرة . وقد ذكرتُ منها ـ وإن لم أصلْ إلى النهاية ـ ما فيه مَقنع وكفاية ، إن شاء الله تعالى .

* ويُحكى أنّ الصاحب كثيراً ما كان يقولُ[6] : كُتَّابُ الدُّنيا وبلغاء العصر أربعة : الأستاذ ابنُ العميد ، وأبو القاسم[7] بنُ يوسف ، وأبو إسحاق الصّابي ، ولو شئتُ لقلت الرّابع[8] ، يعني نفسَهُ !!

قال أبو منصور[9]: فأما التَّرجيحُ بين هٰذين الصَّدرين[10] في الكِتابة[11]

---

(١) الفصل في اليتيمة (٢ : ٣٣) .

(٢) هو ناصر الدولة أبو منصور ، سُبكتكين صاحب (غزنة) . أمير غُزاة الهند . توفي سنة ٣٨٧ . وخلف ثلاثة أولاد أشهرهم محمود بن سبكتكين الغزنوي (ت ٤٢١ هـ) .

(٣) في الأصل : الغزّي . والتصويب من اليتيمة (الغزني) . والمشهور في النسبة إلى غزنة : (غزنوي) على غير قياس .

(٤) الزّمانة : مرضٌ يدوم .

(٥) في اليتيمة : قدم مطاولتنا .

(٦) روى الثعالبي الخبر في اليتيمة (٢ : ٢٨) بإسناد ذكره .

(٧) في اليتيمة : أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف .

(٨) وكان في الصاحب عُجبٌ وبأو ، وكان يُنزل نفسه فوق منزلتها ، وقد أبى المتنبي من مدَحه ، فألّف فيه : الكشف عن مساوىء المتنبي !!

(٩) الخبر في المصدر السابق ومتمم له .

(١٠) في الأصل : الضدَّين .

(١١) اليتيمة : أعني الصاحب والصابي .

فقد خاضَ فيه الخائضون ، وأطنبَ فيه المُحَصِّلون[1] ، ومن أشَفِّ ما سمعتُ[2] في ذلك أنّ الصاحب كان يكتبُ كما يريد ، والصابّي كان يكتبُ كما يُؤمَر . وبين الخُلَّتين[3] بونٌ بعيد .

وتذكرتُ بقول الصّاحب هذا ، ما كان يقوله أبو الحسن بنُ بسّام ؛ [فـ] كثيراً [ما] كانَ يقول : كُتَّاب العصر ورؤساءُ النثر أربعة : كلاعيّان وفِهريّان . أما الكلاعيّان : فأبو بكر بنُ القصيرة[4] ، وأبو محمد بنُ عبدِ الغَفور[5] . وأما الفِهريان : فأبو القاسم بن الجُد[6] ، وأبو محمد بن عَبدون[7] .

---

(١) في اليتيمة : (وأخب فيه المخبون) بدل هذه الفقرة .

(٢) اليتيمة-: سمعته .

(٣) في اليتيمة : الحالين .

(٤) أبو بكر محمد بن سليمان الكلاعي الولبي الأندلسي ، المعروف بابن القصيرة (. . . ـ ٥٠٨) أديب من كبار الكتاب ويلقب بذي الوزارتين . نسبته إلى (وَلبة) من أعمال أونبة بالأندلس . بدأ بخدمة المعتضد بن عباد ثم برز عند ابنه المعتمد فاستعمله سفيراً بينه وبين ابن تاشفين ، ولمّا دالت دولة المعتمد لحق بابن تاشفين واستقرّ بمراكش إلى أن توفيّ . (أنظر : المغرب من حلى المغرب ١ : ٣٥٠ ، الصلة لابن بشكوال : ٥٣٩ ، المعجب للمراكشي : ٢٢٨ ، قلائد العقيان : ١٠٣) .

(٥) أبو محمد عبد الغفور بن أبي القاسم ، وهو والد مؤلّف هذا الكتاب . قال ابن بسام في الذخيرة : (نشأ بين يدي أبيه من دولة المعتمد بحيث يفيء عليه ظلالها . . . فانشقت تلك السماء قبل ان ينوب مناب سلفه في سراجها ، ويحل بيت شرفه من أبراجها) . وقال ابن سعيد في رايات المبرزين : (إنه كاتب علي بن يوسف بن تاشفين ملك المرابطين) . وقد ذمّه ابن خاقان في القلائد ، فنسب ذلك صاحب الخريدة إلى الحقد والحسد ، وقال ابن سعيد في المغرب : (إنه شرع في ذمه بما ليس هو من أهله . والله ما أبصرت عيني شخصاً أحق بفضلٍ منه . انظر : (قلائد العقيان : ١٦٠ ، الذخيرة لابن بسام ـ القسم الثاني ـ الجزء الأول : ٣٢٥ ـ ٣٦٨ ، رايات المبرّزين لابن سعيد : ١٢ ، خريدة القَصر للعِماد الأصفهاني ١٢ : ١٣٤ ، مسالك الأبصار ٨ : ٢٤٠) .

(٦) أبو القاسم محمد بن عبد الله الفهري المعروف بابن الجد (٠٠٠ ـ ٥١٥) مفتي لبلة ، سكن اشبيلية وتقلد وزارة الراضي بن المعتمد بن عباد ، وله شعر ونثر . (انظر المغرب ١ : ٣٤١ ، الصلة : ٥٤٤ ، قلائد العقيان : ١٠٩) .

(٧) أبو محمد عبد المجيد بن عبد الله بن عبدون الفهري (٠٠٠ ـ ٥٢٩) أديب الأندلس في عصره . استوزره بنو الافطس الى انتهاء دولتهم ، ثم خدم المرابطين . وكان كاتباً مترسلاً بارعاً ، من شُعراء =

وأبو القاسم بنُ يوسف المذكور هو أحدُ صدور المشرق [٣٢/أ] [و] فرسانِ المنطق[١] . وله[٢] من الكلام العَالي الذي يليق ذكره بفصل الحالي ، جملة موفورة ، وبدائع مشهورة ، ولكني أُحاضِر منها باليَسير مخافةَ الإملال بالتَّطويل :

فصل[٣] من كتابٍ عن الطّائع لله[٤] إلى ركنِ الدولة[٥] [لمّا ورد عَضُد الدّولة العراق] :

فأنتَ وعضُد الدولة ، كلاَكما الله ، يَدا أمير المؤمنين فيما يأخُذ [ويَذر] . وناصِراه على[٦] ما يقرُب ويَبْعُد . بكما افترَش مِهادَ القرار[٧] بعد إقضاضِه ، ورفع مَنار الدّين بعد انخِفاضه . فأبْشِرا من اللهِ بالحُسنى ، إن الله يحبُّ المُحسنين[٨] .

فصل إلى عضد الدولة[٩] :

= الأندلس . انظر : المغرب ١ : ٣٧٤ ، قلائد العقيان : ١٤٤ ، الصلة : ٣٦٩ ، و Brock. I. 320, S.I. 480) .

(١) هذه عبارة الثعالبي في ترجمة أبي القاسم . اليتيمة ٢ : ٨٦ .

(٢) هو أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف الشيرازي الجكّار (ت ٣٨٨) وزير من الكتّاب الشعراء . خدم في دولة عضد الدولة البويهي ولدى بعض أولاده . وأورد الثعالبي (في اليتيمة ٢ : ٨٦) قطعاً من نثره وشعره .

(٣) في اليتيمة ٢ : ٨٧ .

(٤) من خلفاء الدولة العباسية (من ٣٦٣ - ٣٨١) .

(٥) الحسن بن بويه ، ركن الدولة ، من كبار ملوك الدولة البويهية : (٢٨٤ - ٣٦٦) .

(٦) اليتيمة : فيما .

(٧) اليتيمة : الملك .

(٨) اليتيمة : لا يضيع أجر المحسنين . وفي كليهما اعتمادٌ على الأسلوب القرآني .

(٩) اليتيمة : ٢ : ٨٧ وفيها : ومن كتاب عنه الى عضد الدولة .

وراع الشّرف الذي أَفْرَعك أمير المؤمنين ذُروته ، وعقَد لك[1] ذُؤابته ، وتوقَّلْ في قُلَل[2] المجدِ كيفَ أردت ، وسرْ في حُللِ الفَخر أنَّى شِئت ، واستدِم النِّعمةَ عليك بالتّقوى لله ، وبحسنِ الطّاعةِ لأمير المؤمنين ، فإنّهما جُنَّتاك وعُدَّتاك ، وذَريعتاك المُشَفِّعتان عند الله في أُولاك وأُخراك ، وأحْسِن كما أحسَن الله إليك .

فصل عن نفسه إلى مُدبِّر الدولة[3] :

وصلَ كتابُ مولانا جَواباً عما خدمتُ به حضرَته المحروسة مُهنّئاً ، فَحسبتُني ـ وقد تأمّلت عنوانه ـ مغلوطاً[4] بي ، أو مَعنيّاً بهِ غَيري ، إعظاماً لتلكَ الأيدي الغرّ ، والنعم الزُّهر ، التي اعتدْتها[5] في الشرف مناسب ، وإلى الأيام واللّيالي ذرائع . وفهمته[6] .

وأما أبو الفضل بنُ العميد[7] فكاتبٌ بليغٌ مُجيد ، ولكنْ مع هٰذا عُدِل به عن قَومه ، ونُودي عليه بأكثر من سَومه ، فقالوا[8] : بُدِئت الكتابة بعبدِ الحميد[9] وخُتمتْ بابنِ العَميد . وسُئل الصاحب عن بغداد [فقال : بغداد]

---

(١) اليتيمة : بك .

(٢) اليتيمة : فلك ، وقلة الشيء : ذروته .

(٣) في اليتيمة ٢ : ٩٠ .

(٤) في الأصل : مغلوظاً .

(٥) في اليتيمة : أعددتها .

(٦) هذه العبارة زائدة عما في اليتيمة .

(٧) أبو الفضل محمد بن الحسين بن العميد (. . ـ ٣٦٠) وهو وزير عباسي من الكتاب الشعراء . وزر لركن الدولة البويهي . (انظر اليتيمة ٣ : ٢ ، وتجارب الأمم ٦ : ٢٧٤ ، وأقسام ضائعة من تحفة الأمراء لهلال بن المحسن الصابي : ٤٧) .

(٨) هذه العبارة في اليتيمة ٣ : ٣ في ترجمة ابن العميد .

(٩) هو عبد الحميد الكاتب ، مدبر دولة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية في الشام وكاتبه . (انظر الوزراء والكتاب للجهشياري : ٧٢) .

في البلادِ كالأُستاذ في العِباد[1] . وقد أثبتُّ من كلامه في وصف رمضان ما لا يصدُر مثلُه عن ضُعَفاءِ الولدان . وهو[2] : « ويُسمعني النُّعرة في قَفا [شهر] رمضان ويعرضُ عَليَّ هلالَهُ أخْفى من السّحر[3] ، وأظلمُ من الهُجر[4] ، ويسلِّط عليه الحَوْر بعد الكَوْر[5] ، ويبعثُ عليه الأَرَضة ، ويهدي إليه السُّوس ، ويُغري به الدّود ، ويبليه بالفار ، ويخترمُه بالجَراد ، ويُبيده بالنَّمل ، ويجتَحِفُه بالذَّر ، ويجعلُه من نجوم الرَّجم ، ويَرمي به مسترق السّمع ، ويعذّبه كما عذّب عبادَهُ وخَلقه ، ويفعلُ به فعلَهُ بالكَتّان[6] ، ويصنعُ به صنيعه بالألوان » . إلى كثير من هذا الهَذيان الذي يعلق الملك ويغيظ الملك[7] . ولو اقتصر على اليَسيرِ من هذا التّطويل والتّكرير ، لكان كلامُه واقعاً بين أن يَمجَّه السّمع أو يقبله الطّبع . فكيفَ هٰذا مع معانٍ قَلقة ، وألفاظٍ خَلِقة كالكتّان والألوان ، والسُّوس والدُّود ، والفار والجَراد ، والنّمل ، والذّر ، والأَرضة ، وغير ذلك مما لم أرْضَه ؟ .

---

(١) عبارة الثعالبي في اليتيمة ٣ : ٣ (وما أحسن وأصدق ما قال له الصاحب وقد سأله عن بغداد عند منصرفه عنها : بغداد في البلاد كالاستاذ في العباد) . ورجحنا إثبات عبارة الكلاعي مصوَّبة ، لأنه خالف فيها رأي الثعالبي ، وغض من ابن العميد .

(٢) أثبت الثعالبي لابن العميد في اليتيمة ٣ : ٨ فصلاً من رسالة في شهر رمضان بعثها الى ابي العلا السروي ، منها : (« وأحمد الله على كل حال ، وأسأله ان يعرفني فضل بركته . . . وأرغب اليه في ان يقرب على القمر دوره . . . ويرد علي غرة شوال . . . ويسمعني النعرة في . . .) .

(٣) اليتيمة : السر .

(٤) اليتيمة : الكفر .

(٥) في المصباح المنير : نعوذ بالله من الحور بعد الكور اي من النقص بعد الزيادة . وفي الأصل : الخور ، معجمة .

(٦) في النصّ إشاراتٌ واقتباسات .
ـ وقوله : يفعلُ به فعله بالكتّان ، إشارة إلى اعتقادهم يومئذ أنّ ضوء القمر يُبلي الكتّان .

(٧) كذا في الأصل .

وأما الصّاحب فأحلى هذه الطائفة طَبعاً ، وأعذَبهم لَفظاً وسجعاً . وما في كلامِه من التّسجيع والتّصنيع والبديع ، ذكرناه في باب المَصْنُوع .

فصل
المصنوع

وسَمّينا هذا النَّوع المَصْنُوع لأنه نُمِّق بالتَّصنيع ، ووُشِّح بـأَنواعِ البديع ، وحُلِّي بكثرةِ الفَواصل والأَسجاع ، واستُجلب لهُ منها ما يَلذُّ في القلوبِ ويَحسُن في الأسماع . فلم يقدم منه مثل ما يُقتضب ، ولا فقره تستغرب[1] . وهي كتابةُ الصّاحب الأَصبهاني ، وأَبي الفَضل الهَمذاني ، وأبي بكر الخوارزميّ ، وأبي الفتح البُستي ، وأبي الفَضل المِيكالي ، ومَن جرى مجراهم من أئمة الفَصاحة ، ونحا مَنحاهم من رؤساءِ البَلاغة . وسأذكر من ذلك ما تكثر[2] فوائده لَديك ، وتنثالُ قلائده عليك ، إن شاء الله .

[الصاحب بن عبّاد]

ذكر الصّاحب أبي القاسم إسماعيل بن عَبّاد[3] :

قال أبو منصور[4] : ليست تحضُرني عبارة أرضاها للإفصاح عن علوّ محلّه في العِلم والأَدب ، وجَلالة شأنه في الجُود والكرم . وتفرُّدِه بغايات المحَاسن ، وجمعه أشتاتَ المفاخر ، لأن همّة قولي تنخفِضُ عن بلوغ أدنى

---

(١) في الأصل : يستغرب .

(٢) في الأصل : يكثر .

(٣) إسماعيل بن عباد (٣٢٦ - ٣٨٥) وزير غلب عليه الأدب . وزَر لمؤيد الدّولة البويهي ، وسمي الصّاحب لطول صحبته إياه . له رسائل وعدد من التصانيف . (وفيات الأعيان ١ : ٩٣ ، وإرشاد الأريب ٢ : ٢٧٣ ، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي ١ : ١٧٩) .

(٤) يتيمة الدهر ٣ : ٣١ .

فَضائله ومعاليه ، وجهد وصفي يقصرُ عن أيسر فَواضله ومَساعيه . ولكني أقول[1] : كانت همّته في مجدٍ يشيده ، وإنعام يجدّده ويُفيده[2] ، وفاضل يصطَنِعُه ، وكلامٍ حسَن يسمعه أو يصنعه . ولمّا كان نادرةَ عُطارد في البلاغة ، وواسطة عِقد الدّهر في السَّماحة ، جُلب إليه من الآفاق وأقاصي البلاد كل خِطابٍ جزل ، وقَولٍ فَصل . وصارت حضرتُه مَشرعاً لروائع الكَلام ، وبدائع الأفهام ، ومجلسه مَجمعاً لصوبِ العُقول ، وذَوب العُلوم ، وثَمر الخاطر ، ودُرَرِ القَرائح . فبلغ من البلاغة ما يُعدُّ في السّحر ، ويكاد يدخل في حَدِّ الإعجاز وامتدحَهُ من فُحول الشّعراء ما أربى في العدد على شُعراء الرّشيد كأبي الحسن السّلامي[3] ، وأبي الحَسن الجُرجاني[4] ، وأبي بكر الخوارزمي ، وأبي الفَضْل الهَمذاني ، إلى أزيَد من ثلاثين شاعراً ، مُجيداً ماهراً .

وسأُلمع من كلامه في هٰذا الفصل باليَسيرِ القَليل على وجهِ التّنظير والتّمثيل ، إنْ شاءَ اللهُ تَعالى[5] .

---

(١) أسقط الكلاعي بعض الكلام .

(٢) هذه الكلمة زيادة عما في اليتيمة .

(٣) أبو الحَسن محمد بن عبد الله ، يلتقي نسبه بخالد بن الوليد (رض) . فهو مخزومي نسباً . ولنشأته في بغداد : مدينة السلام عُرف بالسّلامي والبغدادي . (٣٣٦ - ٣٩٣) . اتصل بالصاحب بن عباد وعضد الدولة البويهيّ . وهو شاعر مطبوع محسن .
(انظر تاريخ بغداد ٢ : ٣٣٥ ، ويتيمة الدهر ٢ : ١٥٨ ، ووفيات الأعيان وتاريخ الأدب العربي لفروخ ٢ : ٥٧٩) .

(٤) هو القاضي أبو الحسن عليّ بن عبد العزيز الجرجاني (ت ٣٩٣) من أئمة الفقه واللغة والأدب . اتصل بالصاحب بن عباد . وتوثقت الصلة بينهما . وتولى القضاء مراراً ، ومات وهو قاضي القضاة في الريّ . واشتهر بكتابه في (الوساطة بين المتنبي وخصومه) . وله شعر جيد . و
(انظر يتيمة الدهر ٤ : ٣ . ومعجم الأدباء ١٤ : ١٤ ووفيات الأعيان وشذرات الذهب ٣ : ٥٦ ، وتاريخ الأدب العربي لفروخ ٢ : ٥٨٨) .

(٥) من قوله : « وامتدحه . . . » اختصار عن اليتيمة .

له في أقلام[1] :

« قد خدمتُ دواةَ مَولاي بأقلام تتخفّف بأنامله ، وتتحمّل نفحاتِ فَواضله ، وتأنقتُ في بَرْيِها فأتتْ كماقيرِ الحَمام ، واعتدالِ السِّهام . خمسةٌ منها مصونة مُقوَّمة ، عليها حُللٌ مُسهَّمة . وعشرةٌ منها بِيضٌ كأياديه ، وأيّام مؤمِّليه . والله يُديم [له] مَوادَّ نِعمته ، ويوفّقني لشرائطِ خِدمته .

[٣٣٣/ ب]في الاستزارة[2] : « مجلسُنا ـ ياسيدي ـ مفتقر إليك ، معوِّلٌ عَليك . قد أبتْ راحُه أن تصفو إلا أن تتناولها يُمناك . وأقسم غَناؤه : لا طابَ إلا أنْ تعيه[3] أُذناك . فأمّا خدودُ نارَنْجِه فقد احمرّت خَجلاً لإبطائك ، وعيونُ نَرجِسه قد حدَّقت تأميلاً للقائك . فَبِحياتي عليك لَما تعجَّلتَ لئلا يخبُثَ من يَومي ما طاب . ويعودَ من هَمّي ما طار وغاب[4] .

[في الاعتذار من هفوة الكأس]

« سيدي أعرَفُ بأحكام المروءةِ من أن يُهدي إليها ، وأحرصُ على عمارة سُبل الفتوّة من أن يحضّ عليها . وقديماً حُمِلت أوزارُ السُّكر على ظهور الخَمر . وطُويّ بساطُ الشّراب على ما فيه من خطأ أو صواب . ولما بلغتُ البارحة الحدّ الذي يوجِبُ الحد ، بدَر منّي ما يبدُو ممن لا يصحبه لبُّه ، ولا يساعِدُه قلبه . ولا غروَ فموالاةُ الأرطال ترمي الشّيوخ كالأطفال . فإن رأى أن يَقبل عُذري فيما جَناه سُكري ، حازَ الجَزيل من شُكري . فإن أبى إلّا معاقبتي ، جعلها قسمين بين المُدام وبَيني »[5].

---

(١) في اليتيمة ٣ : ٨٣ ، وفيها « في إهداء أقلام » .

(٢) في اليتيمة ٣ : ٨١ .

(٣) اليتيمة : لا طاب او تعيه .

(٤) وغاب : ليست في اليتيمة .

(٥) اليتيمة ٣ : ٨٢ .

« قوله : « حتى بلغتُ الحَدّ الذي يوجِبُ الحَدّ » غلط[1] . لأنّه قَصد السُّكر . والحد يجبُ من قَليل الخمرِ وكثيرِه ، سواءٌ أسكر أو لم يسكر[2] .

وكان الصّاحب ـ عفا الله عنه ـ ممن أوثقَتْهُ أيدي البَطالة في حِبالةِ الجَهالة . فكان معظم بضاعته أسجاعاً كأسجاعِ الكُهّان ، وفوافي يدفع بها في صدرِ البُرهان . وقد كان الأولى ألاّ أذكر له هٰذين الفصلين في هذا الباب ، وان أُنزِّه عنهما هٰذا الكتاب ، ولكن عَسى الله أن يصفح ويتجاوز عنا وعنه ، ويَسمح برحمته .

فقر تَجري مَجرى الأمثال من كلامه[3] :

[٣٤/أ] الذّكرى ناجعة وكما قال الله نافعة . كتابُ المرءِ عُنوان عقله[4] ، ولسان فضله ، بل ميزان علمه . ربما كان الإمساك عن الإطالة أوضح من البُرهان والدّلالة . لكلّ امرىءٍ أجَل ، ولكلّ[5] زمانٍ رِجال . كفرانُ النّعم [عُنوان النّقم] . أطعْ سُلطان النُّهى ، واعْصِ شَيطانَ الهوى[6] .

[بديع الزمان الهمذاني]

ذكر أبي الفضل أحمد بن الحسين الهمذاني[7] :

---

(١) جاء في الموطأ (٢ : ٨٤٣) : والسنة عندنا ان كل من شرب شراباً مسكراً ، فسكر او لم يسكر فقد وجب عليه الحد .

(٢) في الأصل بعدها : لا هم إلا .

(٣) في يتيمة الدهر فقر كثيرة ٣ : ٧٧ ـ ٧٨ .

(٤) اليتيمة : بل عيار قدره ، ولسان . . .

(٥) اليتيمة : ولكل وقت عمل .

(٦) الزيادة من اليتيمة ، وفي الأصل : أطمع . . . وأعصى .

(٧) ابو الفضل احمد بن الحسين ، بديع الزمان الهمذاني (٣٥٨ ـ ٣٩٨) احد أئمة الكتاب . ولد بهمذان وتوفي بهراة . ناظر أبا بكر الخوارزمي فذاع صيته واشتهر امره . له ديوان شعر ، ومجموعة رسائله ، والمقامات . (يتيمة الدهر ٤ : ١٦٧ ، وفيات الأعيان ١ : ٤٧ . وأنظر : Brock. I. 93, S.I. 152.) .

قال مُنشىء الرّسالة : كان الحافِظُ أحمد بن الحسين [فريد عصره][1] في صَنعة النَّظم فلم يُذكر معه أَحد ، ولا كانت فوق يده يد . وهذا الاسم غريب الشأن . ألا تراه قد اختصَّ به رؤساء البيان ، كأحمد الجُعفي[2] ، وأحمد الهَمذاني ، وأحمد المعرّي . ثلاثَةٌ كهقعة الجوزاء ، أو كما قال فيهم ابو العلاء :

ثلاثةُ أيام هي الدهرُ كلُّه وما هِيَ غيرُ الأمسِ واليومِ والغَدِ[3] !

وكنت سمعتُ عن بعض شيوخنا أن الجزء الرابع من كتاب اليتيمة دخل الأندلس مُختصراً ، حتى وقفت على ذكرِ الحافظ فيه ، ورأيته فاستدللت على صحّة ما سمعته ورأيته . فانه اقتصر فيه على ذكره ، ولم ينبه على جَلالة قدره ، وفصاحةِ نَظمهِ ونثرِه ، كما فعل[4] أبو منصور عند ذكر غيره .

وقد قَرّظه أبو إسحاق الحُصريّ[5] ووصَفه وأطنب في ذِكره ، وأنصفه فقال[6] :

« البَديعُ اسمٌ وافقَ مُسمّاه ، ولفظٌ طابقَ معناه ، وكلامٌ[7] غَضُّ المكاسر ، أنيقُ الجَواهر . يكادُ الهوى يُشرِبُه لطفاً ، والأَهواء تعشَقُه ظرفاً[8] .

---

(١) زيادة لازمة لتمام المعنى .

(٢) المتنبي . وقوله كهقعة الجوزاء ، الهقعة : ثلاثة كواكب نيّرة قريب بعضها من بعض فوق منكب الجوزاء .

(٣) البيت في سقط الزند ١ : ٣٥٠ طبعة دار الكتب .

(٤) في الأصل : فعله .

(٥) أبو إسحاق الحصري (٠٠٠ - ٤٥٣) إبراهيم بن علي الحصري القيرواني أديب نقاد له شعر . ومن كتبه زهر الآداب وثمر الألباب . (وفيات الأعيان ١ : ١٥ ، ارشاد الأريب ١ : ٣٥٨) .

(٦) زهر الآداب ١ : ٢٦١ طبعة عيسى البابي الحلبي ١٣٧٢ هـ .

(٧) في الأصل : وكلامه .

(٨) في زهر : يكاد الهواء يسرقه . . . والهوى يعشقه . . .

ولما رأى ابنَ دُريد[1] أغرب بأربعينَ حديثاً ، ذكر انه استنبطها من يَنابيع صدره ، وأنْتَجها[2] من معادِن فكره ، وأبداها للأبصارِ والبَصائر ، وهَداها للأفكارِ والضَّمائر ، في معارضَ حُوشيّة ، وألفاظٍ غُنجية[3] ، فجاءَ اكثر ما أظهر [٣٤/ب] تنبو عن قَبُوله الطباع ، ولا ترتفعُ له حُجب الأَسماع[4] ، وتوسّع فيها ، إذ صَرَّف ألفاظها ومعانيها في وجوهٍ مختلفةٍ وضُروب متصرّفة ؛ عارَضهُ بأربع مئةِ مقامةٍ في الكُدية تذوبُ ظَرفاً ، وتقطرُ حُسناً . لا مناسبةَ بين المقامتين لفظاً ومَعنى . عَطف[5] مُساجلتها ، ووصَف[6] مُناقلتها بين رجلين سمّى[7] أحدهما عيسى بن هشام والآخر أبا الفتح الإسكندري ، وجَعلهما يتهاديان الدُّر ، ويتنافَثان السّحر ، في مَعانٍ تُضحك الحزين ، وتُحرِّك الرّصين » .

وسأثبتُ من بَدائعه في هذا الفصل ، ما يهتزُّ له اهتزاز النَّصل ، إن شاء الله .

فصل[8] : إن يشأ[9] الله ، يُفضِ بنا [الأمر] إلى حال تَسعه مولىً وتسعني عبداً . وشَدَّ ما بخلت بهذه الكلمة ونَفرت من هذه السّمة . هذا الشيخ

---

(١) في زهر : (أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي) ، وهو إمام من أئمة اللغة والأدب . ولد بالبصرة وتنقل في الأمصار ، وتقلد ديوان فارس لآل ميكال ، ثم عاد إلى بغداد . له مؤلفات كثيرة (انظر وفيات الأعيان ١ : ٦٢٦ ، انباه الرواة ٣ : ٩٢) .

(٢) في زهر : واستنخبها ، والمشهور استعمال نتج بغير همز .

(٣) في زهر : في معارض اعجمية ، وألفاظ حوشية .

(٤) في زهر : ولا ترفع له حجبها .

(٥) في زهر : وعطف .

(٦) في زهر : ووقف .

(٧) في الأصل : يسمى .

(٨) اليتيمة ٤ : ١٧١ .

(٩) اليتيمة : ان شاء الله .

أبو نصر مدّ لها اللحظ فلم يَحظ . وهذا ابن عبّاد شدّ لها الرحل فلم يَحل .

فصل : حَضرته التي هي كعبةُ المحتاج لا كعبةُ الحُجّاج . ومَشرع الكرم لا مِشعر الحرم . ومُنى الضّيف لا مِنى الخَيف[1] ، وقِبلة الصِّلات لا قِبلة الصَّلاة .

فصل من تهنئة بمولود[2] : حقاً لقد أنجز الإقبال وعدَه ، ووافق الطالعُ سَعده ، والشأن فيما بعده . وحَبّذا الأَصل وفرعُه . وبورك الغيث وصوْبهُ ، والروض ونَوَرُه ، وسماء أطلعت فرقداً ، وغابة أبرزت أسداً ، وظهر وافقَ سنداً ، وذِكر يبقى أبداً ، ومَجد سُمِّي ولداً ، وشرف لُحمةً وسَدى .

فصل من تعزية بحريمة[3] : « على أن النّساء كالصّدف[4] ، إذا انتُزعت منه دُرّة الشّرف ، لم يصلح إلا للتلّف . والسّعيدُ من حمل[5] من دار الأمير نعشه ، وأسعد منه من جَدّد فرشه . ولا خُلّةَ[6] بالرّجال أليق من الصّبر . ولا حِصنَ للنّساء أمنعُ من القبر . أسأل الله الذي سَلبه الكرمة أن يمتّعه بعنبها . ولا خيرَ في النّخلة وراءَ رُطَبِها .

[٣٥/أ] **فصلٌ** في تعزية[7] : الموتُ خَطْبٌ قد عَظُمَ حتّى هان ، و[أمرٌ] قد خَشُن حتى لان . والدّنيا قد تنكّرت حتى صارَ الموتَ أخفَّ

---

(١) الأصل : الحيف .

(٢) اليتيمة ٤ : ١٩٠ .

(٣) اليتيمة : ٤ : ١٨٤ .

(٤) في الأصل : (. . . كالصدف انتزعت منه درة لم يصلح الشرف الا للتلف) والعبارة هكذا مضطربة ، وصوابها من اليتيمة .

(٥) الأصل : يحمل .

(٦) الأصل : حلية .

(٧) يتيمة الدهر ٤ : ١٧٠ ، ورسائل الهمذاني : ٦٣ . والنص في الأصل مضطرب .

خُطوبها ، وجَنت حتى صارَ [الحِمامُ] أصغرَ ذُنوبها . فلتنظرْ يمنة هل ترى إلا مِحنة ، ولتنظر يَسرة هل ترى إلا حسرة ؟

فصل من رقعة إلى وارث مال[1] : « العَزاء على[2] الأَعِزّة رُشد كأنّه الغيّ . وقد ماتَ الميتُ فليحيَ الحيّ . واشدد على حالِكَ بالخَمس ، فإنك اليومَ غيرُك بالأمس . كان ذلك الشّيخ وكيلك ، تَضحك[3] ويبكي لك . وسَيعجم الشيطان[4] عُودك . فإن استلانَك زمانُك بقوم يقولون : خيرُ المالَ مَتلفَةٌ بين الشّراب والشّباب ، ومنفعةٌ بين الحَباب والأحباب ، والعيشُ بين القِدح والأقداح ؛ ولولا الاستعمالُ ما أُريد المال ، فإن أَطعتهم ؛ فأنتَ اليوم في الشّراب ، وغَداً في الخَراب ، واليوم : واطرَبا للكاس ، وغداً : واحَربا من الافلاس ! يا مولاي ! ذلك المسموعُ من العُود يسمّيه الجاهلُ نَقراً ، ويسمّيه العاقل فَقراً[5] . وذلك الخارجُ من النّاي هو اليوم في الآذان زَمرْ[6] ، وهو غداً في الأبواب سَمْرْ[7] . والعُمر مع هذه الآلاتِ ساعة ، والقِنطار في هذا العمل بضاعَة[8] . ولله في مالِكَ قِسط ، وللمروءِة قسم . فَصِلِ الرَّحِمَ ما استطعت ، وقدِّر إذا قطعت . ولأَنْ تكون في[9] جانبِ التقدير ، خيرٌ من أن تكون في جانبِ التَّبذير .

---

(١) اليتيمة ٤ : ١٩٣ ، والرسائل : ١٠٠ ، وزهر الآداب ٢ : ١٠٧٩ .

(٢) اليتيمة : من .

(٣) اليتيمة : يضحك .

(٤) اليتيمة : الآن .

(٥) اليتيمة : عقراً .

(٦) في الأصل : (هو اليوم زمر ، وغداً في الآذان) . والتصويب من اليتيمة .

(٧) الجمل التالية في اليتيمة فصل آخر .

(٨) في الأصل : ولا .

(٩) اليتيمة : من .

فِقَر تجري مَجرى الأَمثال من كلامه[1] :

« المرء لا يُعرفُ ببردِه ، كالسَّيف لا يُعرف بغِمده . مَنْ ذلك[2] الذي لا يَهاب البحر أن يخوضه ، والأَسد أن يروضه ؟ . العاشِق[3] أقصرُ عمراً من أن ينتظر عُذراً !

[أبو بكر الخوارزميّ]

ذِكْرُ أبي بكر محمّد بن العباس الخوارزمي[4] :

[٣٥/ب] مع أنّ أبا بكر من أَفرادِ الدَّهر ، وأُمراءِ النَّظم والنثر ، فإنه والحافظ كما قيلَ في المثل ماءٌ ولا كصَدّاء ، وفتىً ولا كَمالك[5] . وكان قد جرَت بينهما مناظرة[6] ، ووقعت بينهما منافرة ، بكَّتَه فيها البديع وأسكته . وليس هذا موضع نشرها ، ولا موطن ذكرها . وسأُثبت لأبي بكر في هذا الكتاب ما يشهدُ بأنّه من علية العُلماء الكتّاب .

فصل[7] : الرّجالُ حصونٌ يَبنيها الإحسان ، ويَهدِمُها الحِرمان .

---

(١) اليتيمة : ٤ : ١٩٥ .

(٢) اليتيمة : من ذا الذي .

(٣) اليتيمة : غضب العاشق .

(٤) أبو بكر الخوارزمي (٣٢٣ ـ ٣٨٣) من أئمة الكتاب ، اتصل بالصاحب بن عباد ، وكان ثقة في اللغة ومعرفة الانساب ، وله رسائل مشهورة . (يتيمة الدهر ٤ : ١١٤ ، وفيات الاعيان ١ : ٦٦٢ ، وارشاد الاريب ١ : ١٠١ ، و Brock I. 92.

(٥) مثلان في (الرجلين يكونان ذوي فضل غير أن لأحدهما فضيلة على الآخر) . وانظر في شرحهما فصل المقال في شرح كتاب الأمثال للبكري : ١٦٨ ـ ١٧١ ، وأمثال الميداني ٢ : ١٩٣ ، و٢ : ٢٠ ، ومعجم البلدان لياقوت ٣ : ٣٧٢ .

(٦) وردت المناظرة في رسائل الهمذاني : ١٣ ـ ٤١ .

(٧) اليتيمة ٤ : ١١٨ .

وسِلَعٌ[1] يُثَمِّرها البرُّ [واليُسر] ، ويمحَقُها الجفاءُ والكِبر . وإنّهُ لامالَ إلّا برجال[2] ، ولا صُلحَ إلا تَحت قِتال . ولا حياةَ إلّا في ناصيةِ خَوف ، ولا درهمَ إلّا في غِمدٍ سَيف .

فصل[3] : قد أَراحَني فلانٌ ببرِّه ، بل أَتعبني بِشُكره . وخفّفَ ظهري من ثِقل المِحَن ، بل أَثقله بأعباءِ المِنَن . وأَحياني بتحقيقِ الرَّجاء ، بل أماتَني بِفَرْطِ الحَياء . فأنا لهُ رقيقٌ بل عَتيق ، وأَسيرٌ بل طليق !

فصل في ذكرِ هَدَّة[4] : بلغني خبر الهدّة ، فالحمد لله الذي هَدم الدّار ولم يهدم المِقدار . وثلمَ المالَ ولم يثلم الجَمال . وسَلَّط الحوادثَ على الخَشب والنَّشب ولم يسلِّطها على العِرض والحَسب والنَّسب[5] ؛ ولا على الدّين والأدب . ولا بُدّ للنِعمة من عُوذة[6] . ولعينِ الكمال من رُقية[7] . ولأَنْ يكون ذلك في دَارٍ تُبنى ومال يُقنى ، ونَشبٍ يُحبى ويُنمى ، خيرٌ من أن يكون في النّفس التي لا جابِرَ لكسرِها ولا نهايةَ لِقدرها .

* فِقَرٌ تَجري مجرى الأَمثالِ من كلامه[8] :

الشُّكر على قَدر الإحسان . والسّلع بإزاءِ الأَثمان . الآباء أبوان : أبو وِلادة ، وأبو إفادة . فالأوّل سبب الحياة [٣٦/أ] الجسمانية ، والثاني

---

(١) في اليتيمة : ويبلغ بثمرها .
(٢) اليتيمة : بالرجال .
(٣) اليتيمة ٤ : ١١٩ .
(٤) اليتيمة ٤ : ١٢١ ، وفي الأصل : هدية .
(٥) النسب : زيادة عما في اليتيمة .
(٦) في الأصل واليتيمة : عودة ، بالمهملة .
(٧) في الأصل : رقبة .
(٨) في اليتيمة فقر كثيرة سواها .

سبب الحياة الروحانية . لا صيد أعظم من انسان ، ولا شبكة أصيد من لسان . شتان بين من اقتنص وحشياً بحباله ، ومن اقتنص إنسياً بمقاله[1] .

[أبو الفتح البستي]

ذكر ابي الفتح علي بن محمد البُستي[2] :

هو[3] صاحبُ الطّريقة اللاّئقة في التجنيس الأنيس ، البَديع التأسيس . وكانَ من الشُّعراء الكُتّاب[3] . وسأُلمع بذلك في هذا الكتاب . فمن نثره :

فصل في شفاعة[4] : « من عَلَّم الأمير شمسَ المعالي الكرم[5] فكأنما علَّم الغيثَ سِجاماً ، واللّيث إقداماً . وذلك لأنَ المكارمَ من خصائص مَعانيه ، ونتائج مساعيه ومعاليه . غير أن العادةَ جاريةٌ بهزِّ الحُسام[6] وإن كان ماضي الغِرار ، وقدح الزَّند لانتضاءِ ما فيه من الأنوار . ومساق هذا القَول إلى شيخنا فلان وفلان . فإنهما غُصنا دوحةٍ شريفة ، وفَرْعا نبعةٍ صَليبة . ولكلٍّ منهما الفَضائلُ التي سارت أخبارُها ، والمحاسِنُ التي سالَتْ أوضاحُها . ولئن جَرى فيما تقدّم منهما زَللٌ فقد يهفُو الحليم ، وينبو الحُسام ومن عادَتِه التَّصميم . ولو لم يكنْ هفو لما عُرف عضو . والكريم إذا قدَر غفَر ؛ وشكر الظفر . وأنا أسأل الأمير أن يَمُنَّ عليَّ

---

(١) في اليتيمة ٤ : ١١٨ بحباله . . . بمقاله .

(٢) أبو الفتح علي بن محمد البستي (٠٠٠ ـ ٤٠٠) شاعر كاتب شهير من شعراء اليتيمة . ولد في بُست قرب سجستان ، وكان من كتاب الدولة السامانية ، ثم خدم الأمير سبكتكين وابنه محمود . ومات مبعداً في بلد قرب بخارى ، وله ديوان شعر مطبوع . (يتيمة الدهر للثعالبي ٤ : ٢٠٤ ، ووفيات الأعيان ١ : ٤٥٠) .

(٣ ـ ٣) اليتيمة ٤ : ٢٠٤ .

(٤) قال في اليتيمة ٤ : ٢٠٨ : فصل من كتاب له عن السلطان المعظم إلى شمس المعالي في شأن الشيخين أبي نصر وأبي سعيد ابني الشيخ أبي بكر الإسماعيلي .

(٥) اليتيمة : شمس المعالي ـ أدام الله عزه ـ الكريم .

(٦) في اليتيمة : السَّيف .

فيهما[1] بما يعيد جاههما ، ويقيل عَثرتهما ، ويُنيل بغيتهما ، إن شاء الله .

* فِقر تَجري مجرى الأمثال من كلامه[2] :

البيانُ علم العلم . الشّكر جَنّة الغارِس[3] ، والصّبرُ جنَّةُ اللاّبِس . الفَلسفةُ قبل السَّفه[4] . الحِلم مطيّة وطية[5] . إفراطُ الدَّماثة غَثاثة . إفراطُ الفَخامة وخَامة . إنْ لم يكنْ لنا طَمعٌ[6] في دَرْكٍ دُرِّك ، فأَعْفِنا من شَرَك شَرِّك !

[أبو الفضل الميكالي]

[٣٦/ب] ذكر أبي الفَضل عُبيد الله بن أحمد المِيكالي[7] :

وقد ذكرتُ من مَحاسن أبي الفضل في هٰذا الفصلِ ما يشهد بتقدُّم قدمه في صنعةِ البَيان ، وتمكُّن يدِه من ناصِية الإبداع والإحسان .

فصل له في التَّهاني [8] : أهنأُ النّعم شرباً ، وأفرعها شعباً ، ما جاء عَفواً من غير التماس ، ودرَّ سمحاً بلا إبساس .

[**فصل**] : عمَّرك الله ترى هذا الهلال قَمراً مُستنيراً ، وبَدراً مُستديراً . يكثر به عددُ أحفادِك ، ويعظمُ به كَمدُ حُسّادك .

---

(١) الأصل : منهما .

(٢) اليتيمة : ٢٠٦ ـ ٢٠٨ .

(٣) اليتيمة : الفارس .

(٤) الأصل : السنفة .

(٥) في اليتيمة : الحلم مطية وطيّة لكل علو .

(٦) اليتيمة : مطمع .

(٧) أبو الفضل عبيد الله الميكالي (٠٠٠ ـ ٤٣٦) أمير من أهل خراسان ، من الكتاب الشعراء . صنف بعض الكتب ، وله ديوان شعر . (انظر : يتيمة الدهر ٤ : ٢٧٤ ، فوات الوفيات ٢ : ٢٥ وفيه : عبد الرحمن بن أحمد) .

(٨) في اليتيمة ٤ : ٢٥٥ (باب في التهاني) . وما بين معقوفتين من اليتيمة .

[فصل] . ما ارتعنا لفقدِ الفَقيد ، حتّى ارتَحْنا لقيامِ الخلَف الحميد . ولا استهلّ الباكي منا للرزيّة مُستعبراً ، حتى تهلّل للعطيّة مُستبشراً .

[فصل] في العيادة[1] : لو استطعتُ لخلعت سَلامي عليه سِربالاً ، وأعَرْتُه من جِسمي صحّةً وإقبالاً . فلستُ أتهنّأُ بالعافِية مع سُقمه . ولا أتمتَّعُ بنَضارتي مع شُحوبِ جِسمه .

[فصل] : برزَ من عِلّته بروزَ السَّيف المُحلَّى ، وفازَ بالعافيةِ فوز القِدح المُعلَّى .

[فصل] : كان من العلة بين أنياب وأظفار ، ومن الرَّدى على شفا جُرُفٍ هار . فتدارك الله تعالى برحمة رشّت على سُقمه ماءَ الشّفاء ، ومجَّت برْدَ العافية في حَرِّ الأحشاء .

فصل في التعازي [2] : لله تعالى في خَلقهِ أقدارٌ ماضِيَةٌ لا تُرَدْ أحكامُها ، ولا تُصَدّ عن الأغراض سِهامُها . والنّاسُ فيما بينَ موهبةٍ تدعو الى الشُّكر المُفترض ، ورزيّة يوثَق منها بجميلِ العِوَض .

[فصل] : فيا لها مُصيبة أصمَى سهمُ راميها ، وأَصمَّ صوتُ ناعِيها .

[فصل] طال تَلَهُّفي على هِلالٍ اسْتَسرّ [3] قبل أن يُقمر ، وغصن خُضِدَ قبل أن يُثمر . ما سلامةُ مَن يرى كلّ يوم راحلاً مُشيّعاً ، وشملاً مُصَدَّعاً ، وصَديقاً مُوَدَّعاً [4] وخِلّاً في التُّراب مُودَعاً [4] .

---

(١) في اليتيمة ٤ : ٢٥٦ (ومن باب العيادة) .

(٢) في اليتيمة ٤ : ٢٥٦ ـ ٢٥٧ . (ومن باب التعازي) .

(٣) استسر القمر : استتر واختفى .

(٤ ـ ٤) زيادة في اليتيمة .

[**فصل**]) شابت بعده [٣٧/أ] لِمَم الأقلام ، وضلّت [١] مفاتيحُ الكلاَم ، ونضبتْ غُدر [٢] الأفهام .

[**فصل**] : لا أملك في مصيبتِه إلاّ عبرات تَرِقُّ ولا تَرْقَا ، وزفرات تَهُدُّ ولا تَهدا .

[**فصل**] : الموتُ يكتالُ الأرواح بلا حِساب ، ويغتالُ النُّفوسَ بلا حِجاب . لئن طَواه الرّدىٰ طيَّ الرِّداء ، لقد نشرتْهُ ألسِنَةُ الثَّناء .

ولأبي الفضل فَضلٌ في هذه الصّناعة مشهور ، وإحسانٌ كثير موفور . وإنّما ذكرت منها نُتَفاً ، وجذبتُ منها طرفاً ، ممّا هو أنفعُ للطّالبِ ، وأجدى [٣] على الكاتِب ، إن شاء الله .

فصل
في المُرَصَّع [٤]

وسمينا هذا النوع : المُرَصَّع لأنه رُصِّع بالأخبار والأمثال والأشعار ، وروايات القرآن وأحاديث النبي عليه السلام ، إلى غيرِ ذلك من النحو والعَرُوض ، وحَلّ أبياتِ القَريض .

---

(١) الأصل : أضلت .

(٢) « : ونصبت غرر .

(٣) في الأصل : أحرى .

(٤) ورد ذكر المرصّع ، والتَّرصيع في كتب النقد والبلاغة باعتباره فرعاً من السجع (أو التسجيع) وتابعاً له . وجعلوه في الشعر وفي النثر أيضاً .

(انظر تحرير التحبير : ٣٠٢ وإحالاته . وانظر كلمة مطولة عن « المرصّع » في خزانة الأدب لابن حجّة الحموي : ٥١٦) على أن ابن عبد الغفور هنا أثبت مصطلح (المرصّع) لنوع من النثر الفني متميّز عما سبقه من الأساليب

[أبو العلاء المعرّي]

وممن فاز في هذا الباب بالمتخيَّر اللُّباب أبو العلاء المعرّي . وكان ـ عفا الله عنه ـ شِهابَ فهم ، وعَلَم عِلم . احتَوى من المعارِف على فُنون . وأَعْرس بأبكارٍ من العُلوم وَعُون [1] . إن شئتَ الفقه فَلديه [2] ، أو اللّغة فموقوفَةٌ عليه ، أو الأدب فمنسوبٌ إليه ، أو النحو فمن سيبويه ، أو العروض فرحم الله ابن أحمد [3] ، أو الفلسفة فلم يفُقْهُ فيها أحد ، أو النظم والنثر فقمرُ سمائه ، أو الحِفظ والـذِّكـر فهمـا من أسمـائـه . إلا أنـه ـ عفـا الله عنـه ـ أضاءَحتى أظلمَ ، وأعرَب حتى أعجم ، وغاص في بحر هـٰذهِ الفُنون ، حتّى تجاوز الدُّر إلى الحمإِ المسنُون . فحار في أمره ، وبَرِم بذات صدرِه ، فلم يَحْلَ بطائل من دينهِ ، ولا انتفَع بظنّه ولا بيقينه . وكان قد رحل إلى العراق للقاء زُعمائها ، والأخذِ من عُلمائها ، فغصَّت به أوديتها ، وضاقت عنه أنديتها [٣٧/ب] . وكان شمساً طمسَ أنوارَها ، وسيلاً عفَّى آثارَها ؛ فتظاهروا على طلبه ، وأعانهم بما كان يُشيعه من سيّءِ مَذهبه ؛ فرجع إلى المَعرّة فخَفِيَ عن العين ، وتسمّى « رهن المحبسين » . وطفق يُشير ولا يَرمي ، ويكفُّ ولا يهمي .

وشأن أبي العَلاء عظيم ، وحُكمُ نقدةِ الكلام فيه أنّه لم يكن في صنعة النّظم والنثر مثله لا قبله ولا بعده ، إلّا ما كان من أبي الطيّب في الشعر وحده . وقد أثبتُّ في هذا الفصل من كلامه .

---

(١) عون جمع عوان ؛ وهي الثيّب .

(٢) في الأصل : « حاويه » . وفي تعريف القدماء بأبي العلاء : « فممّا لديه » : ص ٤٤٦ ـ ٤٤٧ .

(٣) يعني الخليل بن أحمد الفراهيدي .

فصل من رسالة الإغريض [1] :

السّلامُ عليك أيّتُها الحِكم المغربية والألفاظ العربية . أيُّ هواء رقاك ، وأي غيث سقاك ؟ برقه كالإحريض [2] ، [ووَدقُه مثلُ الإغريض] [3] . حللتِ الرَّبوة ، وجللتِ عن الهَبْوة . وأقول لك ما قال أخو نُمير ، لفتاة بني عُمير :

زكَـا لـكِ صـالـحٌ وخَـلاك ذمٌّ وصَبَّحكِ الأيـامِنُ والسُّعـودُ [4]

فصل : فحرس الله سيدنا حتى يُدغَم [5] الطاء في الهاء ، فتلك حراسة [6] بغير انتهاء . وذلك أنّ هـٰذين ضدّان ، وعلى التضادّ متباعدان . رخْوٌ وشَديد ، وهاوٍ وذو تصعيد . وهما في الجَهر والهَمس بمنزلة غدٍ وأمس . [وجَعل الله رتبته التي كالفاعل والمبتدا ، نظير الفعل في أنها لا تنخفض أبداً] . فقد جعلني [7] إن حضرتُ عرف شاني وإن غبتُ لم يجهل مكاني ، كـ « يا » في النّداء ، والمحذوف من الابتداء . إذا قلت : زَيدُ أقبل ! و « الإبل الإبلُ ! » بعدما كنتُ كهاء الوقف ، إن أُلغيت فبواجب ، وإن ذُكِرت فغيرُ لازب . [إني وإن غدوت في زمن كثير الدَّد ، كهاء العدد ، لَزمَت المذكر فأتت بالمنكر . مع إلف يَراني في الأصل ، كألف الوصل ! يذكُرني بغير الثَّناء ، ويطَّرحني عند الاستغناء ، وحال] كالهمزة تبدل العين وتُجعل بين

---

(١) رسائل المعري : ٣٥ . وفيها ان المعري بعث الى أبي القاسم المغربي بهذه الرسالة منوهاً بكتابه (مختصر إصلاح المنطق) وهي في طبعة عمان ١ : ٨٤ .

(٢) الإحريض : العصفر ، والإغريض : ما ينشق عنه الطلع من الحبيبات البيض .

(٣) ما بين معقوفتين في هذه الرسالة زيادة من رسائل المعري .

(٤) البيت في رسائل المعري : ١ : ٨٤ .

(٥) في رسائل أبي العلاء : تُدغم .

(٦) في الأصل حراسية .

(٧) في الأصل : جعلني الله .

بين ؛ وتكون تارة حرف لين ، وتارة مثل الصّامت الرَّصين ؛ فهي لا تثبتُ على طريقة ، ولا تُدركُ لها صورة في الحقيقة .

فصل : ووقفتُ على (مختصر إصلاح المنطق) الذي كادَ بِسمات [٣٨/أ] الأبواب يغني عن سائر الكتاب . فعجبتُ كل العجب من قلب البحر إلى قَلت [١] النَّحر . وإجراء الفُرات في مثل الأخرات . دلَّ على جَوامع اللُّغة بالإيماء ، كما دَلَّ المضمر على ما طالَ من الأسماء . ونابَ في كلام العَرب الصّميم مناب مرآة المنجّم في علم التّنجيم . شخصُها ضئيلٌ ملموم ، وفيه القَمران والنُّجوم . ا . هـ

وليس لإبداع أبي العلاء غايةٌ ولا انتهاء . وقد ذكرتُ في هٰذهِ الرَسالة ، ما لعلك ستسعَدُ بقبيلته وتحظى بمزيّته ، إن شاء الله .

[أبو إسحاق بن خفاجة]

وممّن جَمع في هذا الفصل بين لُدونةِ الفرع ومتانة الأصل : أبو إسحاق ابن خَفاجة [٢] . أخبرني الكاتب أبو الحسن بن بُسّام [٣] ، قال : لما سمع أبو إسحاق بنُ خفاجة بتأليفي كتاب (الذّخيرة في محاسن أهل الجزيرة) أرسل

---

(١) في الأصل قلّة . والقلت : كل نقرة في أرض أو بدَن . والخُرت : الثقب .

(٢) أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح بن خفاجة (٤٥١ ـ ٥٣٣ هـ) من شعراء الأندلس المعدودين ، وكتابها البارزين ، له ديوان شعر غلب عليه شعر الطبيعة والغزل (انظر بغية الملتمس : ٢٠٢ ، قلائد العقيان : ٢٣٠ ، ووفيات الأعيان ١ : ١٦ ، Brock I, 272; S.I 480.

وانظر مقدمة ديوانه (الاسكندرية ١٩٦٠) . وكتاب (ابن خفاجة) من سلسلة الذخائر للدكتور محمد رضوان الداية .

(٣) أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني الأندلسي (. . . ـ ٥٤٢) من أشهر الكتاب الأندلسيين ، وهو مؤلف كتاب الذخيرة الذي صنفه لبيان فضل الأندلس في الأدب والعلم . (انظر المغرب لابن سعيد ١ : ٤١٧ ، و . Brock . I . 339 , S . I . 579) .

اليَّ جملةً وافرة من متخيَّر شعره ومنتقى نثره . فمن ذلك رسالة كتب بها إلى فتىً من أهل الأدب وقد وَلي حِصناً ، وكانت بينهما مقاطعة . أولها [1] :

« أطال الله بقاء سيّدي النبيهة أوصافُه النّزيهة عن الاستثناء . المرفوعة قيادته ، الكريمة بالابتداء . ما انحذَفت [2] ياء « يرمي » للجزم ، واعتلّت واو « يغزُو » لموضع الضَّمِّ !

كتبتُ ـ أعزك الله ـ عن ودٍّ قَدُم ، هو الحالُ لم يلحقها انتِقَال ، وعهدٍ كَرُمَ هو الفِعل لم يدخُله اعتِلال . والله يجعل هاتيكَ من الأَحوال الثّابتة اللازمة ، ويعصمُ هـذا بعدُ من الحُروفِ الجازمة .

وأنا أستنهضُ طولك إلى تجديد عَهدك بمطالعة ألف الوَصل ، وتعدية فعل الفَصل . وإلى عُدو لك عن باب ألف القطع إلى بابِ [الوصل] [3] والجمع . [حتى تسقط] [3] لدرج الكلام بيننا هاء السكت ، ويدخل الانتقال حال الصّمت .

فلا تتخيلْ ـ أعزك الله ـ أن رسمَ إخائك عندي ذو حُساً قد دَرس وعفا [4] ، ولا أنّ صدري [٣٨/ب] دار مية أمسى من ودّك خَلا [5] . وإنما أنا

---

(١) الرسالة في ديوان ابن خفاجة : ٣٢٦ ـ ٣٢٨ ، وفي نفح الطيب للمقري ٢ : ٧٥ ـ ٧٦ .

(٢) في الأصل : من حذقت .

(٣) ساقطة من الأصل .

(٤) في الديوان : عفاء . وهو يشير الى قول النابغة :

عفا ذو حسا من فرتنا فالفوارع فجنبا أريك فالتلاع الدوافع

الديوان : (نشر المجلة الآسيوية : ١٨٦٨) صفحة : ٢٧٠ .

(٥) يشير إلى قول النابغة (الديوان : ٢٦٨) :

يا دارَ مَيَّةَ بالعَلْياء فالسَّند أقْوتْ وطالَ عَلَيها سالِفُ الأَبَدِ

أضْحتْ خلاء وأضحى أهلُها احْتَملوا أَخْنَى عَلَيها الذي أَخْنى على لُبَدِ

فعلٌ إذا ثُنّيَ [1] ظهر من ضمير ودِّه ما بطن ، وبدا منه ما كمن [2] . وهنيئاً ـ أعزك الله ـ أنّ فِعل وزارتك[3] حاضر لا يلحق رفعه تَغيير . وأنّ فعل سيفك ماضٍ ، ما به للعَوامل تأثير . وأنت بمجدك[4] جِماعُ أبواب الظّرف . تأخذُ نفسك العليّة بمطالعة باب الصَّرف ، ودرس حُروفِ[5] العطف . وتُدخل لام التّبرئة على ما حَدث من عَتبك ، وتوجبُ بعد النفي ما سَلف من قُربك . وتدَع ألف الألفة أن تكون بعدُ[6] من حروف اللين . وترفَع للإضافة بيننا وجودَ التنوين . وتسومُ ساكنَ الوُدِّ أن يتحرّك ، ومعتلّ الإخاء أن يصحّ !

وكتابي هذا حرفُ صِلَةٍ فلا تحذفْه . فلا تقل [7] في اسم الجواب على سروك فاصْرفه . ففيه [8] الأُنس ، والأُنس ثلاثّي فلا ترخّمه ، وفعل ماضٍ فلا تجزمْه ؛ حتى تعود الحال الأولى صِفة ، وتصير هـٰذه النّكرة معرفة . فأنتَ ـ أعزك الله ـ مصدر فعل السَّروِ [9] والنُّبل ، ومنك اشتقاقُ اسم السّؤدد والفَضل . وإنك ـ وإن تأخّر العصرُ بكَ ـ كالفاعل وقَع مؤخّراً ، وعدوّك ـ وإن تكبَّر[10] ـ كالكُميت[11] لم يقع إلّا مصغراً ، والأيام عِلل تبسطُ وتقبِضُ ، وعواملُ ترفَع وتخفض .فلا دَخَل عروضك قَبضٌ ، ولا عاقَب رفعك خفض . ولا زلت

---

(١) في الديوان : إذا ثني بودك .
(٢) في الديوان : ما كان كمن .
(٣) في الأصل : وزاراتك .
(٤) في الأصل : وانت بمجدك فأنت .
(٥) في الأصل : حرف .
(٦) في الأصل : تعد .
(٧) في الديوان : ولا . وفي بعض النسخ : ولا تدل .
(٨) في الديوان : فيه .
(٩) في الأصل : السر .
(١٠) في الأصل : إن تكبر .
(١١) في الأصل : كالميت .

« هنيئاً أيّها السيد الأمجد ، العلاَّمة الأوحد ، بهلالٍ طَلع فجلَّى غَياهب الحِندس ، وأضاءَ فتميّز بين الجواري الكُنَّس . لله درُّهنَّ من جَوارٍ خمس كالجواري الخَمس . طلعن بين القَمر والشمس . إلا أنّهن كالدرّ المكنون لا يُلمحن بالعيون . كُعوب قَناً هو سِنانُها ، وألفاظ علىً جاء آخِر أبياتها . ستّة كبيتِ القصيد ، من عروض المَديد . مركباً من ستة أجزاء ، كساهنّ [٣٩/ب] الآخر ثوبَ بَهاء ، فَضُل دونهنَّ بالروي ، وخُصَّ من القافية بأحسن الزيّ .

[أبو أيوب بن أَبي أُميّة]

والوزير أبو أيوب [١] المذكور ، ذو عقل مَوفور ، وحسبٍ متقادم مَشهور ؛ أمير من أُمراء البَيان لا يدافع ، ورئيس من رؤساء المعارف والآداب ، لا يضاهىٰ فيها ولا يُنازَع .

واتّفق أن رأى رسالتي المعروفة برسالة (الساجعة والغربيب)[٢] فكتب إليَّ معها من كلامه البَديع الغريب [٣] بما نسخته :

بِكْرٌ زففتها ـ أعزّك الله ـ نحوك ، وهززتُ بمقدمِها سناءَك وسَرْوَك . فلم

أبو عثمان إذا صنف . . . » ونقل ابن سعيد في المغرب أن دولة المعتمد كانت دائرة على أبيه . (انظر مطمح الانفس لابن خاقان : ٢٧ : ٢٨ ، والمغرب لابن سعيد ١ : ٢٤٣ ، والخريدة للعماد الأصفهاني ١٢ : ١٥٤ ، ومسالك الأبصار لابن فضل الله العمري ١١ : ٤١٤)

(١) في الأصل : أيوب .

(٢) لعل الكلاعي اختصر ، أو أن كلاماً سقط من العبارة . وقد ذكر الفتح بن خاقان في مطمح الأنفس صفحة ٣٣ هذا الخبر بوضوح ، قال : وصنع ولد ابن عبد الغفور رسالة سماها بالساجعة والغربيب حذا بها حذو أبي العلاء المعري في الصاهل والشاحج ، وبعث بها إليه ، فعرضها عليه ، فأقامت عنده أياماً ، ثم استدعاها منه ، فصرفها إليه ، وكتب معها يقول : من النثر بكر زففتها اليه . . الخ الرسالة .

(٣) في الأصل : البديع والغريب .

ألفظها عن شِبَع ، ولا جهلت ارتفاعَها عمّا يُجتلى من نَوعها ويُستمع . ولكني لمّا آنستُ من أُنسك بانتجاعها [1] ، وحِرصك على ارتِجاعها ، دفعت في صدرِ الوُلوع ، وتركتُ بينها وبين مَجاثمها بتلك الرُّبوع ، حيث الأدب غَضٌّ ، وماءُ البلاغة مرفَضّ . فاسعدْ ـ أعزك الله ـ بكرَّتها ، وسلها عن أفانين غرَّتها ، بما تقطفُه من ثِمارك ، وتغرفُه من بِحارك ، وتُذعن فيه لقوّتك واقتِدارك ، وترتاحُ له ولإخوانه من نتائج أفكارك . وإنها لشنشنة أعرفها فيكم من أخزم [2] ، وموهبةٌ حُزتموها وأحرزتُمْ السَّبق فيها منذ كم » .

فهذا ـ كما ترى ـ من الكلامِ العذب ، بل اللّؤلؤ الرطب . ولم يحضُرني شيءٌ من نثره المتخيَّر اللّباب ، وقتَ تأليفي هذا الكتاب . ولو حضرني إذ ذاك لَملأتُ من زهره وِهاده وإكامه ، ووسمتُ بدرَره فصوله وأقسامه .

فصل من رسالة كتبت بها مهنئاً بخمسةٍ من البنين : « فهنيئاً ـ أيها الوزير الفقيه ـ بوُفور العَدد ، ونماء الوَلد ، واشتداد العَضُد ، بخمسةٍ من البنين كخمس البَنان ، لم يُعدم منهن الساعد [٤٠/أ] عوناً في كل الأزمان ، وكخمسةِ الأشبار ، لم تزلْ تبلغُ بها غاية الأماني والأوطار .

فصل : [3] وإنّه بلغني من مَلامِه ، ما لم أعهده من كلامِه ، ووصَلني من ضَجره ، ما اجتنيتُ [4] اصّاب من شَجره . فلو كذَّبتُ بالحاقّة ، وغدوت عاقِرَ

---

(١) في الأصل : بأسجاعها .

(٢) أصل المثل : شنشنة اعرفها من اخزم . انظر : امثال الميداني ١ : ٣١٨ ، وفصل المقال للبكري ١٨٣ ـ ١٨٤ ، والبيان والتبيين ١ : ٣٣١ .

(٣) في هذا الفصل إشارات ووجوه من الاقتباس .

(٤) في الأصل : أخشيت .

النَّاقة ، ثم أنسأ [1] الله الأجل إلى أن حَدوتُ الجمل ، لما بلغته بي الشيعة ، ولا أوجبْتُهُ عَليَّ الشّريعة .

فصل : وسأرجِعُ إلى عادتي من الصّبر والسُّكوت ، وأعتقد تلك الكلمة كغرفةٍ من « نهرِ طالُوت » . هي بانفرادِها حَلال ، وعذبٌ سائغ زلال . فإن كانَ لها أختٌ فهي حَرام وسُحت .

فصل : مثَلُ الوالِد والوَلد كمثل بيتِ القَريض والوتد ، إن لَحِقه [2] زِحاف ، أودَى [3] بالبيت إجحاف [4] . وكمثلِ سِنَّي القَلم يجمعهما [5] أصل ، وإن كان بينهما فصل . فإذا جَرى القدر لأحدهما بالتياث ، نزع [6] الثّاني عن الكتابة بثلاث .

[أبو المغيرة بن حزم]

* ومن الكُتّابِ من يُحَلِّي رسائِلَهُ بحلِّ المنظُوم ، ويرصِّع كلامَهُ بنثر الموزون ، وهي طريقةٌ للكتّاب أنيقة :

ألا إنّ حَـلَّ الشعر زينـةُ كاتبٍ ولكنّ منهن من يحلُّ فيعقدُ [7] !

ونظيرُ ذلك قول أبي المغيرة بن حزم [8] : « لكنه أمير من وراء سجف .

---

(١) في الأصل : أنشأ .
(٢) « « : ألحقه .
(٣) « « : اردى ، بالراء .
(٤) « « : جحاف .
(٥) « « : يجمعها .
(٦) « « : بالنباث ترى .
(٧) انظر البيت في يتيمة الدهر ١ : ٩١ .
(٨) أبو المغيرة عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن بن حزم القبرطي الأندلسي . من الوزراء الشعراء الكتّاب . ترك قرطبة وجال في دول الطوائف . وتوفي بطليطلة (سنة ٤٣٨) عند المأمون بن ذي النُّون . ولم يعمّر طويلاً .

يسعى بلا رجل ويصول بلا كف [1] » . وإنّما حلَّ عقدَ نظِم أبي الطيب حيث يقول :

وما الموتُ إلّا سارِقٌ دَقَّ شخصُه يَصُولُ بلا كَفٍّ ، ويَسْعى بلا رِجْلِ[2]

وقلما تمضي رسالةٌ لأبي المغيرة ، إلّا وهي على شعر أبي الطيب مُغيرة . ولم يزل علية الكتّاب يقرعون مع أبي الطيب هـذا الباب . وقد ذكرنا ذلك مُستوعباً في غير هذا الكتاب ، ولله الفضل .

فصل
المغصَّن

٤٠/ب وسَمّينا هذا النوع المغصَّن ، لأنّهُ ذو فُـروعٍ وأغصان . وقلّما يستعمله الا المحدَثون من أهل عصرنا . وهو نحو قولي : (وقد يكونُ من النّعم والإحسان ما يصدُر من الفَم واللّسان . ومن النَّعماءِ والمعروف ما يسر بالأسماء والحروف) . فقابلت سجعتين بسجعتين ، كل سجعة موافقة لصاحبتها .

وقد يقابَل في هذا الفَصل ثلاثٌ بثلاث ، كقَولي أُخاطب الوزير أبا بكر بن سعيد البَطليوسي : (ويا عجَباً كيف انقلبتَ من ذلكَ الجانب بيدٍ

- وأبو المغيرة هو ابن عم الإمام أبي محمد حزم المتوفى سنة ٤٥٦ .
(ترجم لأبي المغيرة ابن بسام في الذخيرة ق ١ ج ١ ص ١٣٢ وله ترجمة في الصلة ٣٦١ وجذوة المقتبس ٢٧٣ والمغرب ١ : ٣٥٧ . وانظر تاريخ الأدب العربي للدكتور عمر فروخ ٤ : ٤٨٧)

(١) النص في الذخيرة (المصدر السابق) ٢ : ١٥٧ .

(٢) البيت للمتنبي من قصيدة يرثي بها أبا الهيجاء بن سيف الدولة الحمداني (الديوان بشرح الواحدي ٤١١)

صِفر ، ولم تَحْظَ من الجواب بعسجدٍ ولا صفر ؛ بل انتسب برسمه أَملُها ، ووُصف بشطِر اسْمِه عَملُها) [1] .

وقد تأتي فيه مقابلة أربع بأربع كقولي : « ومن السَّلام سِلامٌ وإن لاحَ جَوهراً ، ومن الكَلام كلامٌ وإن فاحَ عَنبراً » .

وقد تأتي فيه مقابلةُ خمس بخَمس . كقولي : « فهلاَّ أبصرَ في ميزان التّرجيح نهايةَ مِثقالها ، ونظر في ميدان التّنقيح غاية إرقالها) .

وقد تأتي فيه مقابلةُ ستٍّ بستّ . كقولي : « ومن أبقاه الله شاهدة [2] بتقدُّم سيادته ألسنةُ العَوالي والأقوام » [3] .

[وقد تأتي فيه] [4] مقابلةُ سبع بسبع . كقولي : « وتلاَ من شرائع مفاخِره سُوَراً قصرتُ عليها دَرسي ، وجَلا من بدائع مآثره صُوراً أدرتُ إليها نفسي » .

وكان بعصرنا من جعل الزّيادة على هذا غرضه ، حتى مقت هذا الفصل ونقضه ـ واتّفق أن جاوبه [5] يوماً والدي بجوابٍ طبّق فيه مفصل الخِطاب ، فأخذ جوابه ، وزَيَّف على زَعمه صَوابه ، ونقَد ومَحَّص وزادَ في أسجاعه ونَقص . وكتب إليَّ بذلكَ بعضُ الكتّاب ، فكتبت له في الجواب :

« ورَدني كتابك ـ أبقاك الله من أخي ثقة ، وحليف مِقَة ! ـ تذكر أن فلاناً

---

(١) في الأصل : علمها . والكلاعي يشير الى ان شطر بطليوسي هو كلمة (بطل) .

(٢) في الأصل : شهادة .

(٣) كذا في الأصل ، وقد سقط كلام ـ لم يترك له الناسخ فراغاً ـ لأن المقابلة لم تتم .

(٤) زيادة يقتضيها السياق .

(٥) في الأصل : جوابه .

[٤١/أ] لما أشرقناه [١] بريقه ، مرَق عن طريقه ، إلى بُنيات طرق قد اختطتها أفهامُنا ، وسحَّتها أقلامنا . فنحنُ أهدى إليها من اليد للفم [٢] ، ومن الشّيب للِّمَم . ذكرتَ أنه عدلَ عن مُكاتبتنا إلى شعر عَوَّره ، ونثرٍ خاطَبناه به فزوَّره . ورجَمه شيطان [٣] ، ووصَله بأغصان ، أخشن من حلقِ غَصّان . وفُروع ، كأنها عُوج ضلوع . تَقارُبها أفحش من غزَل العجائز ، وتَناسبُها أوحش من بطون المفاوز ! لا تعبأ بذلك ـ أعزك الله ـ فانما ركب فرساً بيدي لجامُها ، وتنكَّب قوساً عندي سهامُها . وسأُذيِّل هنا أسجاعاً وأقرعُ بها أسماعاً ، ليعلم أنّ ما حاولَهُ غيرُ متعذّر في كلام من تَقدّمت قدمه في ساحة البَيان ، وتمكنتْ يده من ناصية الإبداع والإحسان . وأجعل ذلك في فصلٍ ليس من حالنا بالبعيد ، أردت به تمام معاني القصيد » .

* قال الحافظ [٤] : ورد للخوارزمي كتابٌ فقلت أولى منَّة تنصّلٍ ومتاب [فإذا هو] [٥] يتقلّب فيه على جمر الضجر ، ويعصُر من غيظِه الماء من الحجر ، ويتأوَّه من خُمار الخجل ، ويتَلهف من حَصب حمار العَجل . ويذكرُ أن الخاصة قد علمت الفَلج لأيّنا كان ، وشهدت أن في الزُّجّ رنّة السنان . فقلتُ : است البائن [٦] أعلم بذلك ، وأمتُ الكاهل أعرف بما هنالك . والأخبار المتظاهرة أعدل . والسّنن المستفاضة أعمل . والآثارُ الظّاهرة أصدق وأنطق . والأقوالُ السّائرة أحقُّ وأسبق . وحَلبةُ السّابق أشهرُ وأجلى . والعَودُ إن نشط أحمد وأحلى . ومتَى زاد زِدنا ، ومتى كَلَّ جُدنا . وإن عادتِ العقربُ عُدنا لها . وإن طلب السّلم

---

(١) في الأصل : اشرقنا .

(٢) في الأصل : للفهم .

(٣) في الأصل : ورجم شيطانه .

(٤) العبارة واردة في اليتيمة ٤ : ١٧٠ مع اختلاف متعمد وزيادات للمؤلف .

(٥) في الأصل : فقال ، في موضع « فاذا هو » .

(٦) في الأصل : است البائل ، وقولهم « است البائن أعلم » مثل .

نالها . وله عِندي إذا شاء كل ما ساء . ومتى أحبّ كل ما درج ودَبّ » .

هذا ما عَرفناه ـ أعزك الله ـ [٤١/ب] من بديع البديع ، واعتمدناه بالتّبديل [١] والتفريع . فلك الفضلُ في أن تعرض على ثُمالة هذه العجالة . فإما أن تجفل ، وإما أن تحتفل ؛ إن شاء الله .

فصل
المفصَّل

وسمّينا هذا النوع من البيان المفصل ، لأنه فُصِّل فيه المنظوم بالمنثور ، فجاء كالوشاح المُفَصّل . ونظيرُ ذلك قول أبي محمد المهلَّبي [٢] :

[فصل] [٣] : رأيته فصيحَ الإشارة ، لطيف العبارة :

اذا اخْتَصر المَعنى فشربهُ حائمٍ وإنْ رام إسهاباً أتَى الفيضُ بالمَدِّ

[فصل] : قد نَظرْتُه فرأيتُه [٤] جِسماً مُعتدلاً ، وفَهماً مُشتعلاً :

ونَفساً تفيضُ كفيضِ الغَمام وظرفاً يُناسبُ صفوَ المُدام

[فصل] : قد عمَّهم بنعمه ، وغَمرهم [٥] بشيمهِ :

وغَزاهُمُ بِسَوابغٍ من فَضْلهِ جعلتْ جَماجِمَهُم بطائنَ نعلهِ

---

(١) قوله بالتبديل : يعني انه تصرَّف في نص البديع بزيادة اسجاع .

(٢) الوزير أبو محمد الحسن بن محمد المهلبي (٢٩١ ـ ٣٥٢) من كبار الادباء ، الوزراء ، الشعراء . كتب لمعز الدولة البويهي ثم وزر له ، وَللخليفة الطائع العباسي ، ولقب بذي الوزارتين . (انظر يتيمة الدهر ٢ : ٨ ، وفيات الاعيان ١ : ١٧٨) .

(٣) أوردها الثعالبي في يتيمة الدهر ٢ : ١٥ ـ ١٧ بعنوان (ما أخرج من فصوله المردفة بأبيات الشعر) .

(٤) في الأصل : فرأيت .

(٥) في الأصل : عمرهم .

[فصل] : كأن قلبه عينٌ ، وكأن جسمه سَمع :

وكـأنّ فـطنَتـهُ شهـابٌ ثـاقِبٌ وكـأن نقدَ الحِسِّ[1] منـه يقينُ

[فصل] : قد اغتيل كمينُه ، واجتيحَ عَرينُه[2] :

ودارتْ عـليـه رَحـى وقـعـةٍ تـظلُّ الحجـارةُ فيهـا طَحينـا

[فصل] : قد أدَّبتهُ بِزَجرك ، وهذَّبته بِهَجْرك :

وآنَ لِمَيْتٍ من مَعـادِ معـادِه[3] وغصنٍ جَفاه الشَّرب أن يُتَعهَّدا

[فصل] : إنّه جريحُ سيفك ، وطريحُ حيفك :

ومَن إنْ تـلافاه رِضـاك أعـاشَـهُ ومَن موتُه[4] إن دام سخطُك حائنُ

[فصل] : ربما وفَى ضنين ، وهَفا أمين :

فللرَّجلْ الوافي جميلُ وفائِـه[5] وللنّاصح الهافي جميلُ التجـاوزِ

[فصل] : قد حَلَّ بربعٍ مأنوس ، ومُلكٍ محروس :

يُـدَبِّـره مَـلِكٌ مـاهـرٌ بهضمِ القَـوِيِّ وجَبـر الضعّيف

[فصل] : قَتْل الإنسان ظُلم ، وقتلُ قاتلِهُ حكم :

فالسيفُ يبدي الجَورَ في حالـةٍ ويبـذلُ الإنصـاف في أُخـرى

[فصل] : عادِلُ المكيال ، وازِنُ المثقال :

يجيـرُ على سلطانـه حكمَ دينـه ويُبعـد في حقّ البعيـد أقـاربـه

---

(١) في اليتيمة . نقد الحدث ، ولعلها محرفة عن الحدس .

(٢) في الأصل : احتيج غرينه .

(٣) الشطر الأول في اليتيمة : (وإن لمست منه بعاد معاده) .

(٤) في الأصل : قوته .

(٥) في اليتيمة : جزائه .

[**فصل**] : أوحَشت مني اتِّقاءً لك ، وانعطافاً عنك :

وهل يباعِدُ عذبَ الماء ذو غُصصٍ أو ينثني عن لذيذِ الـزّاد منهومُ

وقـد صَبَّ على قالب [1] أبي محمّـد المهلبي ، أبـو محمـد بن عبدون [2] ، فقال :

إليك هفت بي تغلبُ ابنةُ [3] وائِلٍ من الشّوق أجناح قوادِمُها الذِّكْرُ

فكيف اهتزازهْ ـ زاد الله في علائِه ! ـ وفي دُنوّ مجلسي من [4] سمائه ؟

إلى كَلِفٍ بـذكـراه مُعنّىً [5] يهيمُ به ، ولا قيسٌ بلُبنى

قطع إليه عرض الإقليم الخامس ، وضرَب آباط المخاوفِ وخاض لُجج الحنادس :

يـطيـرُ من الـظّلام بـه غـرابٌ تـراجيـعُ الحُـداةِ لـه نجيبُ

يغمده الجُنح بديجوره ، ويجرِّدُه الصّباح بنوره :

إذا ما انبرى [6] من بطنِ ليلٍ رقَتْ بهِ إلى ظهر يوم عزمةٌ هِيَ ما هيا

وإن كتمته في قلوبها الوِهاد ، تنسَّمته بأنوفها النِّجاد :

فجاءَ ولم يبصر كوجهك هـادياً إليه ، ولم يسمع كشكركَ حادِيا

* * * *

---

(١) في الأصل : قلب .

(٢) سبقت ترجمته في الورقة [٣١/ب] .

(٣) في الأصل : ابنت .

(٤) في الأصل : في .

(٥) في الأصل : بمعنى .

(٦) في الأصل : اذا ما انفر ، ولعل ما اثبتناه قريب .

[٤٢/ب]دهرٌ خلعت على أيامه حُللاً مَحوكةً من مساعيكَ : ابن حَمدينِ [١]

فكلُّ أوان بها ربيعٌ مُمطر ، وكل مكان بها ينع مُزهر :

يَهُزُّ أعطافها هَزَّ النسيم على شَدو الوراشين أعطافَ الريّاحين

استفادت من غرسه طيبَ جنَى ، واستعارتْ من شمسه حُسن ثنا . وقد قيل : إن نجوم السماء لولا الغزالة لم تشرف[٢] . فلا ذاقت مُرَّ[٣] فراقك الدنيا ، ولا انحطَّ ظلُّ رواقك عن العليا :

وغَصَّت خُطوب الدهر منكَ ، وغيرها بفَيضِ غمامٍ ، أو بَريق حُسامِ

ولشدَّ ما جادتْ بك الأيام على بُخلها ، وعرفتْ من فضلك ، على جهلها :

فجاءتنا بهِ ملءَ الأماني متين[٤] العِرض ، فضفاضَ المساعي

وأبو محمّد بن عبدون هذا من رُؤساء البيان وأمراء الإبداع والإحسان .

وكاتَبه والدي ، وقد ورد علينا بإشبيلية يخطبُ وُدَّه ، ويستخبر ما عنده . فأبطأَ عنهُ الجواب ، وقد كان اقتضاه الكِتاب ، فكتبَ ثانيةً إليه ، وقد ورد جوابه بعد حين من أيدي الناس عليه ، بقصيدة يقول فيها :

ومن عُقوق المعاني أن يوافِيَني منهُ الجواب على أيـر المجانينِ

سألت منه بكانون دواءَ هوىً فجاءني بعد برءٍ عقب تشرينِ

(١) يبدو أنه القاضي أحمد بن حمدين ، وقد ولي قضاء قرطبة مرتين . انظر المرقبة العليا للنباهي : ١٠٣ ، والذخيرة لابن بسام ـ القسم الأول ـ المجلد الثاني : ٣٣٣ .

(٢) في الأصل : تشرق .

(٣) في الأصل : من .

(٤) في الأصل : مين .

كأنّني قد زَففتُ البِكرَ من كَلِمٍ [هانَت عليه][1] وحاشاه لعِنّين

فقلق أبو محمد ـ أكرمه الله ـ من هذا البت ، وجاوب بما كاد أن يؤدي إلى ذكر الميت . فكان ما كان[2] ، مما أغضت عليه عين الحسب ، وتحملته [٤٣/أ] أُخوّة الأدب . فهما الآن ـ ولله الحمد ـ رضيعا صَفاء ، وحَليفا إخاء ، وأليفا صِدق ووفاء .

وقد رميتُ أنا إلى غَرضِهم ، [و] وردْتُ على فرضَهم ، فقلتُ في مدح أمير المُسلمين[3] ، أدام الله تأييده : « له[4] أهديت طيّبَ سلامي ، وإليه أزجيتُ صَيِّبَ كلامي :

فطَبَّق الأرضَ منهُ صَوْبُ غادِيةٍ هَبَّ المُدام لهُ ، واستُوفز الماءُ

نفَقت لديه سوقُ البيان ، وسَمَتْ عندهُ حُقوق الإبداع والإحسان :

فجلَبْنا بزنًّا نحوهُ وغلاءُ السّعر جلّابُ

ودِدتُه ولم أرَه ، وحمدتُه ولم أسمع إلّا خبره :

فكنت وذاكَ معْ أخيار[5] قوم يحبون الرّسولَ ولم يَروْهُ

جوادٌ سَمح بماله ، قبل طَلبه وسُؤاله :

وما سمَح السّحاب الغرُّ حتى مَرى أخلافَهُ رعدٌ وريحُ

هَجَر ليّن مِهاده ، وجاهَد في الله حقَّ جهاده :

---

(١) في الأصل كلمتان غير واضحتين .

(٢) في الأصل : مما كان .

(٣) هو علي بن يوسف بن تاشفين (٤٧٧ ـ ٥٣٧) ثاني ملوك دولة المرابطين . ولد بسبتة ، وبويع بإمارة المسلمين سنة ٥٠٠ بعد وفاة أبيه مؤسّس الدولة . حكم الأندلس بالاضافة الى المغرب ، وله في النصارى غزوات ظافرة . (انظر الاستقصا للناصري ١ : ١٢٣ ، وجذوة الاقتباس : ٢٩١) .

(٤) في الأصل : لك .

(٥) في الأصل : خيار .

وهـزَّ لنصـرِ الـدّين كُـلَّ مهنّـدٍ يُنيلُ المُنى من دونِ أن يُتعب الزّندا

مِن كل فتىً حِميْري [1] ، أروع شمّري [2] :

جَـريءٍ على البذل يـوم القِرى شجاع على المنع يوم الوغى [3]

نقل من حِجر حَصان ، إلى ظهر حِجرٍ [4] أو حِصان :

فَجـاءكَ في ركضِهـا مـاهـراً تـوهّمـهُ بعض أعـضـائـهـا

ثَبتٌ إذا حميَ الوطيس ، وعدا المِطْعَن الدَّعيس :

تـلحَـدُه سُمـر الـعـوالي بـهِ في جَـدثٍ حـافُـره حـافِـره

ما حولهم منهم إلا ولدٌ حميم ، أو صاحبٌ ناصحٌ كريم [٤٣/ب] .

والبـدرُ لا يُبصَـر من حـولِـهِ إلا ضيـاءٌ منـهُ ، أو كـوكـبُ

لله أبٌ أطلعته سماؤه ، وقيّدته مِنتّهُ ونَعماؤه .

فـآثـر مـرآهُ ، وفـارَق أهـلـه وإنَّ فراقَ الأهلِ والموتَ سِيّان

فصل في صفة البحر :

كم قَفر صافحَ غرائبه ، وبَحر عاينَ عجائبه :

والـبـحـرُ شَـيء عَـجـبٌ كـلُّه والـفـوزُ من لُـجّتِـهِ أعـجـبُ

يَـرضى إذا السحـاب احتجب [5] ، ويَسخط إذا بَـدا ويُكثـر اللَّجب :

---

(١) في الأصل : جميري ، بالجيم .

(٢) رجل شمري : ماض ، مجرب في الأمور .

(٣) البيت مدرج في الأصل مع النثر ، كالنثر .

(٤) الحجر : الانثى من الخيل .

(٥) يعني أن البحر يهدأ إذا كان الجو صافياً لا سحاب فيه ، ولكنه يثور ويكثر العجيج إذا تلبد الجوبالغيوم .

كـأنّـمـا يـحـسـدُه فَـضْـلَه لأنّـهُ الأرفـعُ والأعـذبُ

* * * *

ومما يرتسم في هذا الفصل ويدخل بهذا الباب ، قول أبي الفضل الحافظ [1] :

إنـا لـقُـرب دار الأُسـتـاذ : كما انتفض العُصفور بلَّلهُ القَطْرُ .

ومـن الامـتـزاجِ بـولائِـه : كما التَقت الصَّهباءُ والبارِدُ العَذبُ .

ومـن الابتـهـاج بصـفـائـه : كما اهتزّ تحت البارحِ الغصنُ الرّطبُ .

* ونظير ذلك قول أبي الفضل الميكالي [2] :

في مُقاساة حـرّ الشوق إليـك : كما اعتاد محموماً بخيبر صالب [3] .

وفي تذكُّر عهد الاجتماع بك : كما اهْتَزّ من شُرب المُدامةِ [4] شاربُ .

وفـي تكـلُّف الصـبـرِ عنـك : كطالب جدوى خِلْتَهُ [5] لا يواصلُ .

وفـي الـقـلقِ لِـفـراقـك : كـطائِر جَوٍ أعلقتْهُ الحَبـائِـلُ .

إلا ان أبوي الفضل استَعانا بأشعار غيرهما ، وليس كذلك ما أوردناه لأبوي محمد ، وذكرناهُ لأنفسنا .

ومما يَجري هـذا المجرى ، وينحو هذا المنحى [٤٤/أ] قولي في رسالة (الساجعة والغربيب) على لسان حرف العين :

---

(١) وردت في رسائل الهمداني : ٥٩ ، ويتيمة الدهر ٤ : ١٦٩ .

(٢) وردت في يتيمة الدهر ٤ : ٢٥١ .

(٣) في اليتيمة : كما اعتاد محموم بخيبر صالب .

(٤) في اليتيمة : من صرف المدامة .

(٥) في اليتيمة : خلة .

« ومثلي في ذلك مثل هذا الأمير الذي تضمّن شخصُه مناقبَ ثواقب .

أما رأيُه فمترجم عن مرآة المنجّم . إذا انتضاه حُمد ما انتضى ، وإن هزَّه على عداه نفذ ومضى .

يقدُّ عليهمْ كلّ درعٍ وجَوشن ويَفري إليهم كل سورٍ وخندقِ (١)

وأما بأسُه فلو سَامهُ أُسامة لخام (٢) ، أو رامه هَرِمٌ لبَعُدَ ما رام . كأنّما يعانق من السّمر اللِّدان قدودَ البِيض الحِسان ، ويتعاطَى من الصّفاح كؤوسَ الرّاح :

ولا تذكراهُ ما أقولُ فإنّهُ شُجاعٌ متَى تُذكر له الحربُ يشتقِ

وأمّا جوده فجودٌ إذا هطل أَحسب . سيّان عنده ما وَرث وما كسب . يرى ضربَ الوعد ضرباً من خلفِ الوعَد . فهو على وجَلٍ وخوف من ان ينطق [بالسّين] (٣) أو بسوف .

لقد جادَ حتى جادَ في كُلّ مِلَّةٍ(٤) وحتى أتاه الحمدُ في كُلّ منطقِ

وأما حياؤه ففي وَجه أيِّ وجه ، لا يولَعُ بالنَّجه (٥) ، يجري عليه ماءُ الحياء ، كرقيق الغَيم على قَمر السّماء . إن عُصِيَ تناسى وما نَسِي ، وإن أُحرجَ وأقلق لم يزد على أن يقلق ولا يُسي .

وإطراقُ طرفِ الجفنِ ليسَ بنافعٍ إذا كان طرفُ القلبِ ليس بمطرقِ

---

(١) الأبيات القافيّة التي ضمنها المؤلف نثره في هذا الفصل من قصيدة لأبي الطيب المتنبي يمدح بها سيف الدولة الحمداني (الديوان ٣ : ٥٦) .وقد غير المؤلف بعض الكلمات وبدلها بما يجعلها مطابقة لموضوعه ، ووجه الضمائر بحسب ما يقتضيه المقام . ولذا فلا داعي للإشارة إلى ذلك في الحواشي .

(٢) في الأصل : الحمام .

(٣) زيادة يقتضيها السياق .

(٤) في الأصل : ملمة ، وهي تكسير الوزن .

(٥) نجَهَ ينجَهُ : رَدّ . والنجه : استقبالُك الرجل بما يكره ، وردّك إياه عن حاجته ، أو هو أقبح الردّ .

وأما حِلْمُه فلا حَلُمَ أديمه [1] ، سيّان حديثه وقديمه . لازبٌ لا ينزع ، راسبٌ لا يُزعزع . يُغضي على خَيرٍ وضَير ، ويَغُضّ وليسَ من نمير [2] :

ويمتَحن النـاسَ الأميرُ بـرأيـه ويغضي [3] على علم بكل ممخرقِ

وأما عفْوُه فعن اقتدار . وأمّا بطشه فبعد إنذار واستبصار . يرى لثم البساط مليّاً بالانبساط ، وتقبيل القدم حاقن المُهَج والدم [4] [٤٤/ب] :

ولم يثنك الأعداءُ عن مُهجاتهم بمثلِ خُضوعٍ في كـلامٍ مُنَمَّقِ

وأما عفافُه فعَفٌّ عَفّ . لو شاءَلم تساعدْهُ كَفّ . طيّب معقِد الإزار ، لا إيرادَ له في المحجُورات ولا إصدار [5] :

وما كلّ من يهوى يعفُّ عفافَـه قديراً ، ويُرضي الله والخيلُ تلتقي

وأما عَزمُه [6] فإذا أمَّ وصل ، وإذا همَّ فصَل . كأن هواجِسَه أعمالُ بِرّ لا بُدّ لها من ثَواب ، وحروفُ جزاءٍ لا غِنى لها عن جَواب .

كسـائله من يسألِ الغَيثِ قـطرةً كعاذله [7] من قال للفلك ارفقِ

وأما انتقاده الأشعار فكانتقاد الصّيرفي للدينار . يهتزُّ للمديح اهتزاز الغُصن للريح . إلا أنه يسقط بِدَراً تفوت العدّ ، ويُسقط ذَلك ثمراً لا يملأ الصّاع ولا المد .

---

(١) في الأمثال : « كدابغة » وقد حلم الأديم » حلم بمعنى فَسد .

(٢) يشير الى بيت جرير المشهور :

فـغض الـطرف انـك مـن نـمـيـر فـلا كـعـبـاً بـلغـت ولا كـلابـا

(٣) في الأصل : ويعطي . وما أثبتناه من الديوان .

(٤) في الأصل : وتفضيل القدم حاقن المهج واللأم .

(٥) في الأصل : والإصدار .

(٦) في الأصل : عدمه .

(٧) في الأصل : كعادله ، بالعين المهملة .

ضَروبٌ بأطراف السّيوفِ بنانه لَعوبٌ بأطرافِ الكلامِ المُنَّمقِ » .

* * * *

[أبو الفرج الببّغاء]

وممّنْ لم يَستعن بمنظومِ غيره ، لكنّه أكثر من نظمهِ ونثره ، فجاء كلامه غرضاً آخر وفرعاً ثانياً : أبو الفرج البَبّغا [١] ؛ كتب إلى سيف الدولة [٢] :

« الرياسة ـ أيّد الله سيدنا ـ خلةٌ مَموقة ، ومرتبةٌ مرموقة . يتفاضَلُ الناسُ فيها بقدرِ الهِمم ، وينالونَها بحسب مراتِبهم من الكرم . فما تدرك الا بالسماح ، ولا تدرك [٣] الا بأطرافِ الرّماح . ولا تُقتنَص إلا بالحمد ، ولا تُخطب إلا بلسان المجد . فكلٌّ من أدركها طلباً ، واستحقها لقباً ، من غير الدخول لسّيدنا [٤] تحت شرف التعبّد ، ورقّ الاخلاص لا لا التودُّد [٥] ، فقد حُرِمَ نيل الكمال ، وعدَل عن الحقيقة الى المُحال :

لأنّه الغايةُ القُصوى التي [٦] عجزت عن أن تؤمِّل إدراكاً لهم الهِممُ

ما تَستحقُّ ملوك الأرض مَنقبةً في الفضل إلّا لهُ من فوقها قَدمُ

---

(١) هو أبو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمد المخزومي (. . . ـ ٣٩٨ هـ) من شعراء اليتيمة ، وكاتب مترسل . اتصل بسيف الدولة فنال حظوة ، ونادم ملوك عصره . (انظر يتيمة الدهر للثعالبي ١ : ١٧٣ ، ووفيات الاعيان لابن خلكان ١ : ٣٧٤ ، و . Brock I . 90 , S . I . 145

(٢) قال الثعالبي في اليتيمة ١ : ١٨٢ في مناسبة هذا الخبر : « كتب إلى سيف الدولة يذكر منصرفه من بعض الغزوات ظافراً إلى الثغر ، ومقدمه على ابن الزيات صاحبه ـ وقد عصى عليه ـ وأخذه إياه ، وانكفائه بعد ذلك الى حلب) . وقد اختصر الكلاعي بعض الفقرات .

(٣) في اليتيمة : ولا تملك .

(٤) في الأصل : من غير دخول سيدنا ، والتصويب من اليتيمة .

(٥) في الأصل : الى التودد ، وما اثبتناه من اليتيمة .

(٦) في الأصل : الذي .

الشَّجاعة أقلُّ أدواته ، والبلاغَةُ أصغر صفاته . فالآمالُ موقوفة عليه ، والثّناءُ أجمع مصروفٌ إليه ، فلا أعدم الله الأيـام جمالـه ، ولا الأنام إجماله [1] ؛ ؛

وأحسن في [2] حفظ النّبي وآله ورَعي رسوم الدين توفيرُ شكرِهِ

فما يُدرِكُ المُدَّاحُ أدنى حقوقِـه بأغراضِ [3] منظوم الكلامِ ونثرِهِ

لأنّ أدنى نِعمَه تستغرقُ جميع الشكر، وأيسر مِننه تفوتُ المبالغة من حُسن الذِّكر . فأما هـٰذا الفتح الشّريف خطره[4] ، الحميد أثره ، الباسق فرعه ، العامُّ نفعه ، فأشرف من أن يُحدَّ بالصفات ، أو يُعَدَّ بأفصح العبارات :

كـأنّما ادَّخـرَ الـرحمنُ معـظمَـهُ دونَ الملوكِ لسيفِ الدولةِ البطَلِ

رآهُ أكرمهُمْ في الخير إن ذُكروا وصفاً ، وأفضلَهمْ في القَولِ والعملِ

فهــزّهُ وُظبـا الأسيــافِ مُغمــدَةً واستلَّهُ غيرَ منسوبٍ إلى الكَللِ [5]

فصل
المُبْتَدع

وللبدائع ـ أعزك الله ـ بعض التعلق بفصل المفصّل المذكور ، لامتزاج المنظومُ فيها بالمنثور . وأول مَن جرى في هذا الباب بديعُ الزّمان . وقد قَرع [6] أيضاً الوزير الكاتب أبو محمد بن عبدون هذا الباب ، وذكر أنه لا

---

(١) الجملة الأخيرة ساقطة من اليتيمة .

(٢) في اليتيمة : عن .

(٣) في اليتيمة : باغراق .

(٤) في الأصل : حضرة .

(٥) في اليتيمة : الفلل .

(٦) في الأصل : قرن .

يناهضه فيه أحدٌ من الكتّاب . فاتفّق أن عرض [1] يومئذ معارضته على فكر (صيوى أجانبي) [2] على أن يزيد في [٤٥/ب] التضمين عليه ، وينزعَ في ذلك منزعاً لم ينزع أبو محمد إليه . فأبحت له تجشُّم ذلك ، وجرى على عِلاّته في تلك المسالك . وبعد إتمامها وإكمالها ، قبل إيصالها إليه وإرسالها ، صنع بديعةً ثانية قام فيها وقعد ، وأبرق وأرعد ، ووعد وأوعد . وزعم أنها فاتت عبد الحميد ، وأبا الفضل بن العميد ، وكل كاتب من أهل العصر مجيد . ونزع السطر الرابع منها على هذه الصورة [3] :

ولا بدّ من الثناء على بني تاشفين	و	من	من	من	و	ر	غياث الملهوفين وغياث المعتفين

وقد تركت في السّطر الرابع حُروفاً ما المعنى لها بتابع . فمن حلَّ دُرّة عواطلها فذلك لا أنا على الصّناعة قدير . ومن حَلَّ مجدُهُ عليا طَلِّها فذلك دوني بالبراعة جدير .

ولَمّا بَلغني ذلك قيّدتُ على مقالته ، ورغبتُ عن إقالته ، وحلّيتُها غيرَ ما تحلية ، وجلّيتُ غياهِبَها غيرَ ما تجلية فقلت : [4] . . . .

[٤٦/أ] ويجب ان يُنظر في نسب هؤلاء الشرفاء الكرماء . فإن كان فيه (يا من ؟) بن وقار أو شبهها من الأسماء قيل : [5] . . .

---

(١) في الأصل : أعرض .

(٢) كذا بالأصل .

(٣) كذا اللوحة من الأصل .

(٤) انظر اللوحة المصورة ذات الرقم : (٢) .

(٥) انظر اسفل اللوحة المصورة ذات الرقم : (٣) .

[٤٦/ب] ولما حلّى [١] الذكر من هذه الألفاظ ما حلى ، وجلّى [١] الفكر من غياهبها ما جَلّى ، كتب إليَّ بعض الاخوان يذكر ما اتّفق من الظُّهور والشفوف في نظمِ هذه الحروف . فكتبت إليه منكراً عليه :

« ورد كتابك ـ أبقاك الله ، ويسَّرك لِما ترضاه ـ تذكُر فيه أن أبا فُلان تعدّى درجة إحسانه حتّى سقط ، وأطلق عذبة لسانه حتى تورَّط ، وتخبرُ فيه عنّي بما لا يُعرف مني . خفِّضْ عليك ـ يرحمك الله ! ـ فما اتفّق لي شُفوفٌ ولا ظُهور ، لأن كبيري أبا محمد بِنُورِ [٢] احساني مبهور . ولكنها عادة فيمن ازدرى بأخيه ، وأُعجب بما يأتيَه أن يظهر الله عجزه فيه .

وقد أغرب الحافظ أيضاً بمثل هذه الحروف ، ونظمناها كهذا النظم المسطور الموصوف . ولكن لا ينحطُّ بذلك ابو الفضل من درجة السبق والفضل ، بل له التقدم والاحسان ، ولغيره الزجُّ من هذه الصنعة وله السنان . وهذه صورة سطره : [. . . . .] .

ونظمتُه وذكرت ما ذكرته كما يذكُر الخمرَ الانسان ولا يجد لذعة اللّسان . وإنما سلكتُ [٣] معه في طريقه ، وأتيتُ بوسطي العِقد من بابة دُرِّه وعقيقه . فقلت والمغيث الله : [. . . . .] [٤] .

هكذا ـ أعزك الله ـ ما اتفق ! . ولكن خابَ وأخفقَ من فضَّل على الفجر الشفق . عصمنا الله من العُجب والزهو ، وتلقَّى أفعالنا وأقوالنا في العمد بما تلقاها في السهو ، بقدرته» ، والسلام .

(١ ـ ١) في الأصل : حل وجل .

(٢) في الأصل : بنو احساني مبهور .

(٣) في الأصل : سلك .

(٤) حذفنا الجدولين لأنهما مطموسان .

وصنعةُ البدائع ـ أعزّك الله ! ـ غريبةُ الموضوع ، عجيبةُ المسموع ، تَقع فيها كلمات تُقرأُ من جهتين وثلاث ، وربما قُرئت من أربع جهات . ولما لم أُثبت منها في هذه الرسالة شيئاً لأن الواحدة تضيق عنها الصفحات، ولا يتكيّف إثباتها في الورقات ، رأيت أن أُشير في هذا التأليف عليها ، ليبحثَ من رامَ الصّنعة عليها ، حتى تقف عينه عليها ، إن شاء الله .

وقد ذكرنا ـ أعزك الله ـ ما سنح من أنواع الترسيل ، وأثبتنا ما [1] تيسر من التنظير والتمثيل . وسأذكر من ضروب الكلام في هذا الكتاب ما ذكرناه وفَصَّلناه في أول هذا الباب ، وبالله التوفيق .

فصل
في التوقيع

وهذا النّوع من الكلام مما عدَلوا فيه عن التّطويل والتكرار إلى الإيجاز والإختصار . فمن ذلك ما جاء بالكلمات . قال أبو منصور [2] : رفع بعضهم إلى الصاحب رقعة يذكُر أنّ بعض أعدائه يدخل داره ، فيسترقُ السمع ، فوقّع الصاحب فيها : « دارنا هذه خان ، يدخُلها من وفى ومن خَان » .

ومنه ما يأتي بالكلمة الواحدة . قال أبو منصور [3] : رفَع الضرّابون من دار الضّرب إلى الصاحب في ظُلامةٍ لهم مترجمةً بالضرّابين ، فوقّع تحتها : « في حديد بارد » !

ومن التّوقيع ما يأتي بالحرف الواحد . حكىٰ أبو منصور [4] عن أبي

---

(١) في الأصل : من .

(٢) الخبر في يتيمة الدهر ٣ : ٣٩ ، في ترجمة الصاحب بن عباد .

(٣) يتيمة الدهر ٣ : ٣٨

(٤) الصدر السّابق .

النّصر العُتبي [1] قال : كتبَ بعض خدم الصاحب [٤٧/ب] إليه رقعةً فوقّع فيها ، فلما رُدَّت اليه لم يَرَ فيهاتوقيعاً . وقد تواترت الأخبار بوقوع التّوقيع فيها . فعَرضها على أبي العباس الضبّي [2] فما زال يتصفحها حتى عثر بالتوقيع ، وهو ألف واحدة . وكان في الرّقعة : (فإن رأى مولانا أن يُنعم بذلك فَعل) ، فأثبت الصاحب أمام (فَعل) ألفاً يعني : « أفعَل » .

ونظير هذا ما أخبرني به بعض أصحابِنا عن الفقيه الحافظ أبي الوليد ابن رُشد [3] ، من أنه كان يختصرُ جوابه في فتواه ، حتى ربّما ورَد في السؤال : « أيجوزُ ذلك أم لا » ؟ فيكتب في الجوابِ : « لا » .

والفقيه الحافظ ممن أراد الله به خيراً ، فأصاب منه وأخذَ عنه [4] من تبين فضله ، فتعُومي ـ حسداً ـ عنه . ولا بدّ لصبحُ حججه من انبلاج ، ولِبابه من سَعة وانفراج ، لأن من خَبأَ خبيئة رفع له الدهرُ لواءَها ، ومن أسرَّ سريرة ألبسهُ الله رِداءها .

---

(١) أبو النصر (أبو نصر) محمد بن عبد الجبّار العتبي (من عتبة ابن غزوان (ت ٤٢٧) مؤرخ من الكتّاب الشعراء ، انتهت إليه رياسة الإنشاء في خراسان والعراق ، وله تاريخ عُرف بتاريخ العتبي . قال الثعالبي واستوطن نيسابور .
(يتيمة الدهر ٤ : ٢٨١ والأعلام ٦ : ١٨٥)

(٢) أبو العباس أحمد بن إبراهيم الضبّي (ت ٣٩٨) وزير فخر الدولة البويهي . وكانت له مع الصاحب صحبة وصلة . ونال بعد وفاة الصاحب الألقاب فعرف بالرئيس وبالجليل وبالكافي الأوحد . وعدّه الثعالبي أبرز الكتاب بعد وفاة الصاحب والصابي .
(يتيمة الدهر ٣ : ١١٨ ومعجم الأدباء ١ : ٦٥)

(٣) أبو الوليد محمد بن أحمد بن رُشد (٤٥٠ ـ ٥٢٠) قاضي الجماعة بقرطبة ومن أعيان المالكية ، وهو جدّ الفيلسوف ابن رشد . وله مؤلفات مشهورة متداولة .
(المرقبة العليا : ٩٨ ، والديباج المذهب : ٢٧٨)

(٤) في الأصل : منه .

[التوقيع بالآية . .]

ومن التّوقيع ما يأتي بالآية من القُرآن . حكى أبو منصور المذكور قال [1] : حدّثني أبو بكر الخوارزمي قال : كانت حال المُهلّبي [2] قبل الاتصال بالسلطان حال ضعفٍ وقِلّة [3] ، وكان يُقاسي فيها قَذى عينيه ، وشَجى صدره . فبينما هو ذاتَ يوم في بعض أسفارِه مع رفيق له من أصحاب الجِراب والمِحراب ، إلا أنّه من أهل الآداب ، إذ لقي من سفره نَصباً ، فاشتهى اللحم ، فلم يقدر على ثَمنه ، فقال ارتجالاً :

ألا مـوتٌ يُبـاع فـأشتـريـه ... فهـذا العيشُ مـا لا خيـرَ فيـهِ

إذا أبصـرتُ قبـراً من بعيـدٍ ... وددتُ لَـو انّني مِـمّـا يـليـهِ

ألا رَحِمَ المهيـمنُ نـفسَ حُـرٍ ... تصـدَّقَ بـالـوفـاةِ على أخيـهِ !

فاشترى رفيقهُ بدرهم واحدٍ ما سكّن قَرَمه ، وتحفّظ الأبيات [٤٨/أ] وتَفرّقا . وضربَ الدّهر ضرباته حتى ترقّب [4] حالُ المهلبي إلى درجة أعظم من الوزارة . وحصَل الرّفيق تحت كلكلٍ من كلاكِل الدّهر ثَقُل عليه بَركُه ، وهاضه عَركُهُ ، فقصدَ حضرته ، وتوصّل إلى إيصال رقعةٍ تتضمن أبياتاً [منها] [5] :

---

(١) الخبر في يتيمة الدهر ٤ : ٨ وفي زهر الآداب ١ : ١٣٩ باختلاف يسير .

(٢) في الأصل : المهلب .

ـ والمقصود : الوزير أبو محمد الحسن بن محمد من ولد المهلب ابن أبي صفرة الأزدي . من كبار الوزراء الأدباء الشعراء . لقب بذي الوزارتين لتوليه الوزارة لمعز الدولة البويهي والخليفة العباسي (المطيع) . ووصفته كتب التراجم بالحزم والدهاء والكرم والشهامة .

(يتيمة الدهر ٢ : ٨ والمنتظم ٧ : ٩ ووفيات الأعيان ١ : ١٢٤)

(٣) في الأصل : ضعف وقوة .

(٤) في الأصل : قربت .

(٥) الزيادة عن يتيمة الدهر .

ألا قُـل للوزيـرِ فـدَتْـهُ نفَسي مقـالَ مـذكِّـر مـا قـد نسيـهِ

أتـذكـرُ إذ تقـول لضنـكِ عيشٍ ألا مَـوْتٌ يُبـاعُ فـأشتـريـهِ ؟ !

فلما نظرَ فيه [تذكّره و] هزَّته أريحيّةُ الكَرم للحنين إليه ، ورعايةِ حقّ الصُّحبةِ فيه ، والجَريِ على حُكمِ مَن قال :

إنَّ الكرامَ إذا ما أسْهَلُوا ذَكَـرُوا من كانَ يألَفُهمْ في المنزلِ الخَشِنِ [1]

فأمر له في عاجل الحال بسبع مئةِ درهم ، ووقَّع في رقعته : ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوالَهمُ في سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبّةٍ واللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ** ﴾ [2] . ثم دَعا به ، فخلعَ عليه ، وقلَّدَه عملاً يرتفِقُ فيه ، ويرتزِقُ منه .

[التوقيع بالشعر]

ومن التّوقيع ما يأتي بالبيت من الشعر . أخبرني بعض الكتّاب قال : كتب أذفونش الطّاعية عن إذن المعتمد بن عباد إلى أمير المسلمين أبي يعقوب بن تاشفين [3] ـ رحمه الله ـ يتوعدُه ويتهدّدُه ، ويسألُه الجواب على متضمّن الكِتاب ؛ فيُحكى أنّ أمير المسلمين لما قَرأ الكتاب قال لكاتبه : اكتبْ جاوِبْه بأنّي أنا أكونُ الجَواب بنفسي . فحَمل كلامُه الكاتب على أن يوقّع على ظهرِ الكِتاب ببيت أبي الطّيب :

ولا كُتْبَ إلّا المشـرفِيّـةُ والقَنـا ولا رُسلٌ إلا الخميسُ العرَمْرَمُ [4]

---

(١) البيت من شواهد التمثيل المشهورة (التمثيل والمحاضرة : ٤٣٢) ولم ينسبه ثمة .

(٢) سورة البقرة : ٢٦١ .

(٣) المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية ، ويوسف بن تاشفين أمير المرابطين ومنقذ الأندلس ، وألفونس السادس صاحب قشتالة . (أنظر : دول الطوائف لمحمد عبد الله عنان ١٣٨٠ / ١٩٦٠ طبعة مصر) .

(٤) من قصيدة في مدح سيف الدولة . الديوان (بشرح الواحدي : ٤٤٠ . وفيه : « المشرفية عنده »

فخامَرهم من الرُّعب مع هـٰذا الإيجاز في الخِطاب ما لا يكون مثله مع جزيل الإسهاب ، وحَفيلِ الإطناب .

ومن أغربِ التّوقيع ما حكاهُ أبو الفتح بنُ جني قال : [٤٨/ب] لمّا أنشد أبو الطيب [١] سيف الدولة قصيدته التي يقول فيها :

يا أيُّها المُحسِنُ المشكورُ من جِهَتي والشُّكرُ من قِبَلِ الأحسان لا قِبَلي

أَقِلْ ، أنِل ، أَقْطِع احْمِلْ ، عَلِّ ، سَلِّ ، أعِدْ
زِدْ ، هَشَّ ، بَشَّ ، تفَضَّلْ ، أَدْنِ ، سَرِّ ، صِلِ [٢]

وناوَلهُ نُسختها وخَرج ، نظَر سيفُ الدَّولة فيها ، فلمّا وصَل إلى هذا وقّع تحت « أقل » : أقلناك ، وتحت « أنل » : يُحمل إليه من الدّراهم كذا ، وتحت « أقطع » : قد أقطعناك الضَّيعة الفُلانيّة ، ضيعة بباب حَلب ، وتحت « احمل » : يُقاد إليه الفَرسُ الفُلانّي ، وتحت « علِّ » : قد فعلنا ، وتحت « سلِّ » قد فعلنا فاسأل ، وتحت أَعِدْ : قد أعدناك إلى حُسن رأينا فيك ، وتحت « زد » : يُزاد كذا ، وتحت « تفضل » : قد فعلنا ، وتحت « أدن » : قد أدنيناك ، وتحت « سرّ » : سررناك ؛ قال أبو الفتح : فَبلغني أن أبا الطيب قال إنما أردت : سَرِّ ، من السَّرية ، فأمرَ له بجارية ، وتحت « صِل » . قد فعلنا [٣] .

قال : وحكى لي بعض إخواننا أن المعقِليَّ ، وهو شيخ كان بحضرته

---

(١) الخبر في يتيمة الدهر ١ : ٨٢ في ترجمة أبي الطيب المتنبي ، باختلاف يسير .

(٢) البيتان في الديوان بشرح الواحدي (٤٩٣) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة سنة ٣٤١ ويعتذر وبينهما فيه بيت ثالث .

(٣) لم أعثر على الخبر في شرح ابن جني على المتنبي ، من مخطوطة دار الكتب (أدب ٢٣) ولعله نسخة أخرى .

ظريف ، فقال له وقد حَسد أبا الطيب على ما أُمر له به : يا مولاي ، قد فعلت له كل ما سألكه ، فهلّا ما قلتَ لي كما قال : هشّ ، بشّ ، هيء ! يحكي الضحك ، فضحك سيف الدولة [وقال له] [1] : ولك أيضاً ما تحبُّ ، وأمر له بصِلة .

* وسيفُ الدّولة مع ما شُهِرَ به من الكَرم والسَّخاء والمروءة ، وانفجار ينابيع جوده على الشعراء ، قد قصَّر في توقيعه تحت « احمل » عن [2] غيره من الأُمراء . يُحكى أن [3] أبا القاسم الزّعفراني لما أنشد الصَّاحبَ قصيدته التي يقول فيها :

وحـاشيـةُ الـدّارِ يمشـونَ في صُنـوفٍ من الخَـزّ إلا أنـا [4]

وقّع فيها الصاحب : [٤٩/أ] قرأتُ في أخبار معن بن زائدة أن رجلاً قال له : احمِلني أيُّها الأمير . فأمر له بناقةٍ وفرسٍ وبغلةٍ وحمارٍ وجارية ، ثم قال : لو علمتُ أن الله خلق مركوباً غير هذه ، لحملناك عليه . وقد أمرنا لك [5] من الخزِّ بجُبَّةٍ ، وقميصٍ ، ودُرّاعة ، وسَراويل ، وعمامة ، ومِنديل ، ومطرف ، ورِداء ، وكِساء ، وجَورب ، وكِيس . ولو علمنا لباساً آخر يتخذ من الخَزّ لأعطيناكه .

وبالجملة ، فإنّ سيفَ الدّولة من قوم كِرامُ القـرائح ، [أيـديهم للصفائح] [6] ، وأموالهُم للمنائح ، وأعراضُهم للمدائح . وكان ـ رضي الله

---

(١) ساقطة من الأصل .

(٢) في الأصل : على .

(٣) الخبر في يتيمة الدهر ٣ : ٣٣ ـ ٣٤ . في ترجمة الصاحب بن عباد .

(٤) البيت من قصيدة لأبي القاسم الزعفراني يمدح بها الصاحب في المصدر السابق .

(٥) في الأصل : لذلك .

(٦) في الأصل : (أديم . . .) وفراغ بمقدار كلمة ، وما أثبتناه قريب .

عنه ـ وُسطى قلادتهم ، ومَشهورُ سيادتهم . وقد أثبتُّ في كتاب (الانتصار) من أخبارِه وآثارِه ، ما يشهدُ بعِظَم شأنه ، وجلالةِ قدره .

فصل
الخطبة

الخُطبة عند العرب تقوم على كلامٍ منظوم لهُ بالٌ . وهي أَوّلُ[1] ما استُفتح بالتَّحميد ، وأُعلم غفله بالتَّمجيد . وقد رُوي أن النبي ﷺ قال :

« كلُّ أمرٍ ذي بال لا يُبتدأ فيه بالحمد لله فهو أبتر » ـ وقد رُوي : فهو أقطع ـ وكل خطبة ليس فيها تشهُّد فهي كاليد الجذماء .

ويُستحبُّ في الخُطب الشرعيات التّقصيرُ والإيجاز ، ولا سيما في خُطب الجمعة . وليس لذلك حَدٌّ محدود ، بيدَ أنه رُوي في خبر عمار أنه خطَب فقيل له : لقد أوجزتَ فلو تنفَّست . قال : أمرنَا رسول الله ﷺ بتقصير الخُطبة وإطالة الصلاة[2] . وقولُه عندي (فلو تَنفست) : يَعني في الخطبيتين ، فهـذا أقصرُ ما يمُكن أن يكون في الخُطب الشَّرعيات .

وأما غيرُها من الخُطَب فربّما استُحبَّ فيها التّطويل ، وليس في ذلك [٤٩/ب] حدٌّ محدود . بيدَ أنه قد تقدم قولُ قيس بن خارجة ، وخطبته من لَدُن تطلع الشّمس إلى أن تغرب[3] .

وأَخطبُ الخُطباء رسولُ الله ﷺ ، لأنه أفصحُ العرب لساناً . لا بيان

---

(١) في الأصل : أولى .

(٢) أخرج أبو داود من حديث عمار بن ياسر قال : أمرنا رسول الله (ص) بإقصار الخطب . (انظر مختصر سنن أبي داود ٢ : ٢٠) ووردت أحاديث مشابهة من وجوه أخرى .

(٣) انظر الورقة [٢٦/أ] .

كبيانه ، ولا كلامَ يُعدلُ بكلامه . أُيّد بالحكمة وحُف بالعصمة ، فبذَّ الناطقين ، وحازَ قصب السّابقين ، فصلّى الله عليه وعلى جماعة النبيين .

[ما يُستحب للخطيب]

ومما يُستحبُّ للخطيب أن يَجمع ذهنه ، ويُحضر تخشُّعه ، ويُخلص لله سبحانَهُ نيتّه ، ويشغل بذكره حواسَّه . فإنه إذا فَعل ذلك اشتغل عن المَخلوق بالخالِق ، فلم تلحقْهُ هيَبة ، ولم يُخامره دهش ، ولم يَنحل عقد نظامه ، ولم تنضبْ أودية كلامه ، ولم يخَف أن يلحقه ما لحق خالداً القسري ، عامل هِشام على العراق . وذلك أنه دهش يوم جُمعة فقال : « أطعموني ماء»[1] ! فقال فيه الشاعر :

هتَفت بقول صوتكَ : أطعموني شَراباً ، ثم بُلتَ على السَّرير !

ولولا ما ظهرَ يومئذ من تغيُّر أشكاله ، وتلعثُم لسانه ، وارتجاج مقاله ، لكانَ لكلامه مخرج ، ولم يكنْ فيه بأسٌ ولا حَرج ، لأنّ الله سبحانه يقول : ﴿ وَمَنْ لَـمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنّي ﴾[2] . على أنه ليس بمقام مقالٍ وكلام ، إلا لأمر أو نهي .

* ومما يُستحبّ للخَطيب أن يَرتاد الخطبة قبل أن يقومَ لها ، ويؤلِّفها قبل أن يخطبَ بها . فإنّ ذا النُّورينَ خطب يوماً فأُرْتجَ عليه ، فقال[3] : « إنكم إلى إمام فَعّال أحوجَ منكم إلى إمامٍ قَوّال ؛ وإن أبا بكر وعمر كانا يَرتادان لهذا المقامِ مَقالاً » .

---

(١) في عيون الأخبار ٢ : ٢٥٧ ، والبيان والتبيين ٢ : ٢١٦ أخبار مماثلة .

(٢) (سورة البقرة) : ٢٤٩ .

(٣) في البيان والتبيين : ٣٤٥ . وفي الكلام تقديم وتأخير ، والمعنى واحد .

فإذا كانت هذه الطائفةُ الأجلِّية ، والعِترةُ [1] الأفضلية ، ترتادُ لهذا المعنى ، وهي في الفصاحة [٥٠/أ] والرجاحةِ ما هي ، فما ظنُّك بغيرها ؟

ومّما يستحب للخَطيب أن يشير في خطبته إلى ما شاكل الحين والحال ، فإن ذلك أنطقِ بحذاقته وبَراعته ، وأدلُّ على وُفور بضاعته وصناعته .

ومن أظرفِ ما اعتُرض به في منظوم ومنثور ، من المعاني الطارئات والأُمور ، ما أخبرني به بعضُ أكابرنا قال : كان للمعتمد بن عباد وزيرٌ كثير الاستهتار ، مشهورٌ بأحاديث قبيحة وأخبار . وقُضي أن يجلس في بعض الجمع ، على مَرأى من الوزير الفقيه الخَطيب ابن حَجّاج [2] ومسمع . فلما رآه أمامه قصد عَتبه ومَلامه . فأقبلَ يَذُمُّ المغترَّ بالدنيا ، وهو يُنحي عليه ، ويَعِيبُ أهل الفسق ، ويُشير في خطابه بالكاف إليه ؛ والوزيرُ المذكور يتلاشَى من العار ، ويَنزوي لخطابه انزواء الجلدةِ في النار . فلله درُّ أبي عُمر ، لقد شَفى عليه قلوباً حاقِدة ، وأربى بهذه النكتة على قسّ بن ساعدة !

* ومما يستحبُّ أن يوشِّح خُطبه بآيات القرآن ، فهو أنجح ما ضمَّنه المرتجل ، وأرجح ما استعان به المحتفل . لأنه الموعظة الحسنة ، والحجة البالغة ، والحكمة الباهرة ، والهادي الى الرَّشاد ، والمُنجي من الضلال : ﴿ لاَ يأتِيهُ البَاطِلُ من بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيْمٍ حَمِيْدٍ ﴾ [3].

وأما التَّمثيلُ في الخُطَب مّما صدق من شِعر العرب ، فقد استسهله [4]

---

(١) في الأصل : والعشرة .

(٢) أبو عمر أحمد بن محمد بن حجّاج ترجم له ابن سعيد (المغرب ١ : ٢٥٦) في زمرة العلماء من أهل إشبيلية ونقل عن ابن بسّام أنه كان بحر علوم وسابق ميدان منثور ومنظوم » . ولكن ترجمته سقطت من نسخ كتاب الذخيرة المعتمدة . (الذخيرة ق ٢ ج١ ص ٢٣٨) .

(٣) (سورة فصلت) : ٤٢ .

(٤) يستعمل المؤلف هذه الكلمة أحياناً بمعنى : استحسن ، وقد سبقت الاشارة الى ذلك .

بعض العلماء ، وذكر انه رُوي عن علي رضي الله عنه أنه قال في بعض خُطَبه :

أصبحْتُ فيئاً لراعي الضَّأنِ أُعجِبهُ ماذا يَريبك منّي راعي الضأن ؟

والبيتُ لأُميّة بن الأشكر [1] . وروى أبو عبيدة في كتاب الأمثال أن بعض [٥٠/ب] السلف قال على المنبر :

هـوِّنْ عـليـكَ فـإنّ الأمـورَ بـكـفِّ الإلـهِ مـقـاديـرُهـا

فـليسَ بـآتـيـكَ مَـنْـهـيُّـهـا ولا قـاصِرٌ عنكَ مأمُورُها [2]

والبيتان في هذا الكتاب منسُوبان إلى الأعور الشَّنِّي [3] . ويمكن أن [يكون] المتمثل [4] بهذين البيتين هو عُمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فإنهما يُنسبان اليه ايضاً . وكَرِهَهُ بعضُهم في الخُطَب ، وفي الرسّائل التي يُكتبُ بها إلى الخلفاء .

والقيامُ في الخُطَب أمرٌ قديم . وأوكدُ ذلك ما تعلقتْ لله سُبحانه به طاعة . وفي الكتاب العزيز : ﴿ **وَتَرَكُوْكَ قَائِماً** ﴾ . وقد خالف أبو حنيفة في

---

(١) أمية بن الاشكر (. . . ـ ٢٠ هـ) شاعر فارس مخضرم ، كان من سادات قومه وأشرافهم . (انظر الاغاني ١٨ : ١٥٦ طبعة ساسي) وقد أشار الاصفهاني إلى تمثل الإمام علي بهذا البيت في إحدى خطبه . وصواب روايته : فناً (ابن سلام : ١٦١) .

(٢) انظر فصل المقال في شرح كتاب الأمثال لأبي عبيد البكري : ٢٣٢ ولم يذكر في هذا الكتاب أن أحداً من السلف تمثل بهذين البيتين ، ولسياقهما وجه آخر . وفي كتاب (الاسماء والصفات) للحافظ البيهقي خبر ذكر سنده قال : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كثيراً ما يخطب فكان يقول على المنبر :

خفض عليك فإن الأمور . . . الخ البيتين .

(انظر الأسماء والصفات للحافظ البيهقي ـ مصر ١٣٨٥ ـ صفحة ٣٣٢) .

(٣) هو أبو مُنقذ بشر بن منقذ بن عبد القيس . و« شن » من عبد القيس وهو ـ كما في السمط ـ شاعرٌ إسلاميّ مُجيد وكان له ابنان شاعران . اسم (سمط اللآلي ٨٢٧)

(٤) في الأصل : (ويمكن أن التمثيل بهذين . . . الخ) وما أثبتناه أجرى للسياق .

هذا مالِكاً [1] والشّافعي فقال : إنْ شاء خَطبَ جالِساً أو قائمًا . وللردّ على أبي حنيفة موضع غير هذا .

ومما يتعلّقُ من ذلك بسببٍ ما نحنُ بسبيله من الأدب أنّ القيام بذلك أقربُ للعبادة والاستخذاء [2] ، وأبعدُ من الكِبر والاستعلاء . ألا ترى ما كان من أبي الطيب الجعفي إذْ أنشد سيفَ الدولة وهما على فَرسيهما في الميدان ، قصيدته التي أولها [3] :

لِكُلِّ امرىءٍ من دهرِهِ ما تَعـوَّدا وعادةُ سيفِ الدَّولةِ الطّعنُ في العِدا

ثم إنهما انْصَرفا إلى الدار ، فاستعادَها السّيف ، فنزل أبو الطيب وأنشدها ، فكَثُرَ النّاسُ ، وتزاحَمُ الجُلاّس ، فقال قائل منهم : إن أكثر الناس لا يسمع ، فلو أنشدها قائمًا لأسمعَ ، ؟يريد بذلك كِبْر أبي الطيب ، فقال له أبو الطيب : أما سمعتَ أولها :

* لكلّ امرىءٍ من دهرِهِ ما تعوَّدا *

فضحك سيفُ الدولة ، وأُفحم ذلك الحاسد .

ولا يخطب الخطيبُ إلا وهو على طهارة ، فإن [٥١/أ] أحدث استخلف ، وقيل : يُنتظر حتى يتطهّر ، ويبني إن قرب .

* ويُحكى أنّ الحجّاج أحدث يوماً في بعض خُطَبه وتَحرَّج أن يتمادى في الخطبة والصلاة بالمسلمين وهو على غير وُضوء ، واستشفع أيضاً أن يَقطع الخُطبة وأن يستخلف . فاحتال في ذلك بأن ذَكر الوضوء ، وفَصَّل إسباغه ،

---

(١) في الأصل : لمالك .

(٢) في الأصل : الاستحذاء ، بالحاء .

(٣) ديوان المتنبي بشرح الواحدي : ٥٢٩ .

الدود ، فأصبحُوا لا تُعايَنُ إلا مساكنهم ، ولا تجد إلّا معَالمهم ، ولا تُحسّ [منهم] [1] من أحد ، ولا تسمع لهم نبْساً .

فتزوَّدوا عافاكم الله ! فإن أفضل الزّاد التقوى . واتَّقُوا الله يا أُولي الألباب لعلكم تفلحون . جَعلني الله وإياكم ممن ينتفع بمواعظِه ، [٥٢/أ] ويعمل لحظِّه[2] وسعادته، وممن يستمع القول فيتَّبع [3] أحسنه ﴿ **أُوْلَئِكَ الَّذِيْنَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُم أُوْلُو الأَلْبَابِ** ﴾[4] . إنّ أحسنَ قصص المؤمنين . وأبلغ مواعظ المتقين ، كتاب الله ، الزكية آياتُه ، الواضحة بيّناتُه . فإذا تُلي عليكم فاستمعوا وأَنصتوا لعلكم تَهتدون .

أعوذ بالله القويّ من الشَّيطان الغويّ ، إن الله هو السميع العليم . بِسْم الله الفَتّاح المنّان ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ ، لَم يَلِدْ ولَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفواً أَحَدٌ** ﴾ [5] . نفَعنا الله وإياكم بالكتاب الحكيم ، والآيات والوحي المُبين . وأعاذَنا الله وإياكُم من العَذاب الأليم وأَدخلنا وإياكم جنّاتِ النعيم . أقولُ ما فيه أعظَكم وأستعتِبُ الله لي ولكم » .

* وينبغي للخطيب أن يأتي بالخطبة الأُولى بسورة من قصار المفصَّل . وقد اتفق لواصل في تَمثُّله (بالصَّمد) اتفاق حسن ، إذ ليس فيها راء ، وليسَ في القرآن سورةٌ ليس فيها راء غيرها !

وكان عُمر بنُ عبد العزيز يقرأ في خطبه تارة ﴿ **أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ** ﴾[6] ،

---

(١) ساقطة من الأصل .

(٢) في الأصل : بحظه . والصواب من النوادر والجمهرة .

(٣) في الأصل : فيتبعون .

(٤) « سورة الزمر » : ١٨ .

(٥) سورة الاخلاص .

(٦) « سورة التكاثر » .

وتارة ﴿ وَالْعَصْرِ ﴾ [1] . وقرأ الحجاج في بعض خطبه ﴿ وَالعَادِيَاتِ ﴾ [2] ، فلما أتى إلى قوله ﴿ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ ﴾ [3] ، غلط وفتح الهَمزة ، فلما فتحها ، وعلم أنه قد غلط في فتحها ، استعظَم أن يرجع فيقول كما يجب ، واستعظم اللّحن أيضاً ، فحذف اللام من قوله تعالى (لخبير) ، ورضي أن يُسقط حَرفاً من القرآن ولا يَلحن !

* ومن أشرفِ الخُطب وأوجَزِها لفظاً ما قامَ [4] به بعض البُلغاء وقد حضَر بعضُ الرّؤساء ، وكانتْ له عِلّةٌ تمنعهُ من الصَّبر على إطالة الخطبة ، فقيل له : اخطبْ وأوجز . فقال :

« الحمدُ لله ربِّ العالمين وصلى الله على جميع النّبيين . أما بعدُ : فإنّ الدنيا دار ممرّ ، والآخرة دار مقرّ . أيها الناس ! فَخُذوا من ممرِّكم لمقرِّكم ، ولا تهتكوا أستاركم عند [٥٢/ب] من لا تخفى عليه أسرارُكم ، وأخْرِجُوا الدنيا من قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم . أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم » .

[أبو الحسن بن شريح]

وهذا من الكلام العالي الذي قلَّ رجاله ، وعُدِم ـ أو كاد ـ في عصرنا هذا مِثاله . ولولا الفقيه الأستاذ الخطيب أبو الحسن بن شُريح لقلت إن هذا النوع من البيان قد ذَهب بالجملة وطُمس ، وآليت أنّ هذا الفن من البلاغة قد عَفا بالكُلِّية ودرَس . ولكنّه أعاد جِدَّته وبهاءه ، وملَك ـ وحده ـ أرضه وسماءه . وقد

---

(١) « سورة العصر » .

(٢) « سورة العاديات » .

(٣) « العاديات » : ١١ .

(٤) في الأصل : أقام .

أثبتُّ في هذا الفصل من كلامه ما يشهد بإحسانه ، ويُفصِحُ بسبقه من عُني بهذا النّوع من أهل زمانه ، إن شاء الله .

فصل : له من خُطبة خطَب بها حَضرة أمير المسلمين ، وناصر الدين أبي الحسن عليّ بن يوسف بن تاشفين[1] ، أدام الله تأييده :

« فحقٌ على كل مسلم الوفاء لهم بالعَهد ، وبذَل التضّحية على القُرب والبُعد ، والتزام طاعتهم بِمُنتهى الطاقة والجهد[2] . فمن أوفى بعهده فله أجره ، ومَن نكث فعليه وزِره . وعلى من قلَّده الله أمور الأمة ، وألبسه ثوب الكرامة والنعمة ، الرّفقُ برعيته ، وحُسن السيرة في أمورِهم ، وإقامةُ العدل بين صغيرهم وكبيرهم ، واختيارُ الولاة النُّصحاء للدين ، لحمايتهم وسدِّ ثغورهم ، اقتداءً بالخلفاء الراشدين ، وامتِثالاً لفعلِ الأئمة الصالحين ، الذين قدروا هذه الدنيا قدرها ، وتحقّقوا مكرها وغدرها ، فعدلوا الى الدّارِ الأُخرى ، وابتاعُوا ما يَدُوم ويَبقى ، بما يَبيدُ ويَفنى . لم يشغلهم عن القيام بأمر الله إلفٌ ولا سكن ، ولا ثَبَّطهم عن جهاد عدوِّه دار ولا وَطن . بل بذلوا أنفسهم في ذاته ، وأعمَلُوها في مَرضَاتِه ، حتى توفَاهم الله ؛ وقد أوثقوا عُرَى الإسلام ، ونظموا أمر أُمته أحسن نظام . فعليهم من الله [٥٣/ أ] ومن أهل طاعته السلام] .

فصل : في خُطبة وداع رمَضان :

أيُّها الناس ! اعلَمُوا أن الدهر مُنصرم ، وكل [شيء إلى][3] انصرام . وأن العُمر منفصم ، وكلّ شيء الى نَفادٍ وتمام . وكل شملٍ فلا بدّ من شتَاته وانصِداعه ، وكل وصل فلا شَكّ في انبتَاتِه وانقطاعه . وهذا رمضان مُزمعٌ على

---

(١) هو أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين ثاني أمراء المرابطين . راجع الورقة (٣ - ٤ ب) .

(٢) في الاصل : والحميد .

(٣) في الأصل كلمة غير واضحة . وشكلها (الساق) مهملة . والجملة التالية ترجح ما أثبتناه .

الفِراق ومُؤذِنٌ بزماعه[1] ، فتأهبوا ـ رحمكم الله ـ لرحلتِه ووداعه . شهرٌ لم يزل قُرّةً لأعين العابدين ، ومسرَّة لأنفس المجتبين المجتهدين . لياليه قيامٌ واستغفار ، وأيامه صيامٌ واعتبار ، وكل أوقاته جُنَّة من النار . وكأني[2] بالمساجِد قد أُطفئتْ مصابيحها ، وانقطعتْ تراويحها . فاتّقُوا الله ـ عبادَ الله ـ حَقَّ تُقاته ، وسارِعوا جَهدكم الى مرضاته ، وخُذوا في الجِدّ والتشمير[3] ، واحذَرُوا ندامة التفريط والتقصير . وودِّعوا شهركم أكرمَ وداع . واغتنِمُوا سائِرَهُ فقد أزِفَ منه انقطاع .

فصل : من خُطبة في أوّل ذي الحجَة :

أيها الناس ! إن الله بفضله ، وبسعة رحمته ، ولطيف صنعته ، وبديعِ حكمته ، ولما أراد من تمام نعمته ، اختارَ من الأزمنة أوقاتاً ، وشرَّف من الأمكنة مواضعَ وأبياتاً . وقد جعل في شهركم هذا مَنسكاً لِشرعته[4] من أرفع المَناسك ، ومسلكاً الى جَنّته من أوضح المسالك . للعاشر فيه فضلٌ على الأيام . فيه يُحجّ البيت الحرام ، وتُكفَّر الاوزارُ والآثام . ورفع قواعده إبراهيمُ الخليل ، وابنهُ اسماعيل . فكم لُبانَةٍ هناك تُقضى ، وعَمل صالحٍ يُرضى . وكم أجر يُخطّ ، ووزر يُحط . ودعاء يُتقبل ، وارتقاء الى رفيع المنازل يُؤمَّل . فتضرّعوا ـ رحمكم الله ! ـ إلى الربّ الرحيم ، أن يُسهم لكم في دعاءِ من شاهد ذلك المنسك الكريم .

فَصْلٌ من خطبة أنشأها للخَطابة عند اختلاف الأزمنة :

---

(١) الزَّماع : السُّرعة .
(٢) في الأصل : وكأنّ .
(٣) في الأصل : التمشير .
(٤) في الأصل : لسرعته .

[٥٣ / ب] أيُّها النّاس ! اعتَبِروا فَكَمْ في تقلُّب الزَّمانِ لأُولي النُّهى من عِبرة ، وتفكَّروا فكم في الأرض والسّماء لذي الكبرياء من قُدرة . واستدِلُّوا فكل ذلك يدلُّ بالمشاهدة على الاختراع والفِطرة . فادَّكَروا ما أمكنكم الادِّكار ، واعتبِرُوا يا أُولي الأبصار . نجومٌ زاهرات ، وبحَارٌ زاخرات ، وسحابٌ مُسَخَّرات ، ورياحٌ ذارِيات ، وفُلكٌ جاريات ، وجِبالٌ راسيات . وأرضٌ وسَماء ، وظلامٌ وضِياء ، وصباحٌ يُردِفُهُ مساء ، وصيف يخلفُه شتاء ، ومولود يُولد ، وفقيدٌ يُفقد . والأعمار في خلال ذلك تنصرم كالصَّريم ، والنبتُ يعودُ بعد نَضرته[1] الى حال الهشيم . كلٌّ يدلّ على عدم الثبات وسرعة الانبتات ، وعودة الجميع إلى الشتات ، والجديد إلى حال الرُّفات . تالله ما مُنحنا الألبابَ إلا لنعتبر ، ولا أُورثنا الكتابَ إلا لِنَذَّكر ، ولا أُرِينا الآيات إلا لنزدجر ، ولا أُنبئنا بما خَلت من المَثُلاتِ إلا لِنرعوي ونقتصر . فليجتهدْ لأُخراه مجتهدٌ ، وليُجهِدْ نفسَهُ في طَلَب دنياه مُجتهد . كُلٌّ سيأتيه اليَقين ، وكلُّ امرىءٍ بما كسب رَهين .

* ومحاسِنُ أبي الحسَن كثيرة ، ومعارفُهُ رَفيعة أثيرة . إن ذُكرت الآداب[2] فهو المقدَّم فيه ، أو عُلوم القرآن فهو وارثها عن أبيه . ولم تَحْضُرني عبارة أرضاها لذكر الشيخ والده ـ رضي الله عنه ـ لأنه كان في علمِه ودينه بحيثُ يَعجز قلمي عن ذكره وتأبينه .

[من خطبة الفِصيح]

ومن أطرفِ الخُطب معنىً وأعذبها مَنحى ومبنى ، خُطبة الفصيح[3] لأبي

---

(١) في الأصل بعد كلمة (نضرته) رسم حرفي (كا) وهي من وهم الناسخ .

(٢) لعلها : إن ذكر الادب .

(٣) أنظر الجامع في أخبار أبي العلاء ٢ : ٧٣٠ . وفي تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٢٠١ أن كتاب خطبة الفصيح في خمس عشرة كراسة .

العلاء ، وهي خطبة شريفة تشتمل على علم جمٍ وأدب ، تضمَّن لغاتِ الفَصيح لثعلب . أولها :

« الحمد لله الذي بفضله نمى المال ، وسمَت الآمال ، ما كان للصمد[1] [٥٤ / أ] أرج ينمي ، وما كان لغيرِهِ قَنمٌ يذمي . ما ذَوى عود شجرة مؤمنة ، وإنما يذوي عود المفتتنة . وإن ظننت عود المؤمن ذوَى ، فإنّما ظنُّك رمى فأَشْوَى . إن شجرة الإيمان لا تنقرضُ بطول الزمان ، وإذا غوى الرجل فوحده يغوي . وإن اسْتَغوى النفر فذلك غوي مغوي . والله عرَّف ميِّتاً وحيّاً ، وعلَّم رشداً من البشر وغياً .

فَمَنْ يَلْقَ خَيراً يَحمد النَّاسُ أَمْرَهُ ومَنْ يَغْوِ لا يَعْدِم على الغَيِّ لائماً[2] » .

وهذه الخُطبة طويلة ، وفيما ذكرناه دليل على كيفيتها ، وتنبيه على فضيلتها ومزيّتها ، ان شاء الله .

فصل

الحِكَمُ المُرتَجلة والأَمثالُ المُرسلة

الحِكَمُ والأمثال على ضربين : [فمنها][3] ما رُوي بأثناءِ الخطب والرسائل ، ومنها ما يأتي جواباً مرتجلاً للسائل تقدِّمه القرائحُ دون روِيَّة ، وتُنتجه الطبائع دُون كُلفة .

فأمّا ما يَأتي في الخُطَبِ والرَّسائل ، فهو إليها منسوبٌ ومنها معدود ومَحْسُوب . وأمّا ما يَأتي منها ارتجالاً ، ويَرِدِ جواباً او سؤالاً ، فنوعُ الكلام

---

(١) كذا بالأصل .

(٢) البيت للمرقش الأصغر من قصيدة في المفضليات ٢ : ٤٤ - ٤٦ .

(٣) زيادة يقتضيها السياق .

الشَّريف ، نَبّهتُ عليه في هذا التأليف . فمن ذلك أنه أتى رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله علِّمني كلماتٍ أعيش بهنّ ، ولا تُكثرْ عليَّ فأنسى . فقال رسول الله ﷺ : ﴿ **لا تغضَب** ﴾[1] . فجمع له جَوامع خير الدُّنيا والآخرة . وكلامه ﷺ معدودٌ من هذا القبيل ، وسالكٌ هذا السّبيل لأنه ﷺ أُيِّد بالحكمة ، وأُوتي جوامع الكلم ، فجلَّ عن أن يروِّي كلاماً ، أو يُعدَّ لمقام مقالاً .

وروي أن أبا بكر الصدِّيق ـ رضي الله عنه ـ ٥٤ / ب اشتكى فقيل له : ألا ندعو لك الطّبيب ؟ فقال : قد رآني الطّبيب فقال : إني فعّالٌ لما أُريد[2] .

وقيل لأبي الدَّرداء في مَرضِه : ما تَشتكي ؟ فقال : ذُنوباً . قالوا : فما تَشتهي ؟ قال : الجنّة . فقالوا : أَوَ لا ندعو لكَ الطّبيب ؟ فقال : الطبيب أمرضني .

وسئل عليٌّ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ عن أعظمِ الذُّنوب فقال : أعظمُ الذنوب أصغَرُها عند أهلها .

وقيل لأفلاطون : لِمَ لا تجتمعُ الحِكمة والمال ؟ قال : لعزِّ الكمال .

وقيل للاسكندر : ما بال تعظيمك لمؤدّبك أشدّ من تعظيمك لأبيك ؟ فقال : لأن أبي سبب حياتي الفانية ، ومؤدبي سبب حياتي الباقية .

[الأمثال]

والامثالُ على ضربين : منها ما عُقِدَ بالسَّجع ، [ومنها ما لم يُعقد

---

(١) أخرج البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني ، قال : لا تغضب ، فردد مراراً ، قال : لا تغضب . (صحيح الترمذي بشرح ابن العربي ١٠ : ٤٢٧).

(٢) يشير الى قوله تعالى : ﴿ **فعال لما يريد** ﴾ سورة البروج : ١٦ .

بالسَّجع][1] . فأما ما لم يُعقد بالسَّجع فكقوله ﷺ: ﴿ **مَطْلُ الغنيُّ ظُلم** ﴾[2] . ﴿ **تَركُ الشّر صَدقة** ﴾[3] . وقول أبي بكر رضي الله عنه : « ليستْ مع العزاء مُصيبةٌ » . وقولُ علي رضي الله عنه : « قيمة كل امرىءٍ ما يُحسن »[4] . ومن أمثال العرب : « رَضِىَ الناس غاية لا تُدرَك »[5] . « ما فَجر غيورٌ قط » .

وأما ما عُقد بالسجع فكقوله ﷺ : « إنكم لتكثرونَ عند الجَزع ، وتقلُّونَ عندَ الطَّمع »[6] . « إن الأَرواحَ جُنودٌ مجنّدةٌ ، فَما تعارَف منها ائتلف ، وما تَناكر منها اختلف[7] . وقول[*] عمر رضي الله عنه : «لا يكنُّ حُبُّك كَلَفاً ولا بُغضك تلفاً » . وقول[*] علي رضي الله عنه : « تفضَّلْ على من شئتَ فأنتَ أميرُه ، واستغْنِ عَمَّن شئت فأنتَ نظيره ، واحتجْ الى من شئْتَ فأنتَ أَسيرُه » . ومن ذلك قولُهم : « أبلغْ العِظات النظر الى محل الأَموات» . رُبَّ صبابةٍ غُرست من لَحظة[8] ، ورُبَّ حربٍ شبَّت من لفظة »[9] . ومن ذلك قولي : « جُبلت الأَفئدة على حُبّ المحمدة » .

---

(١) زيادة يقتضيها الكلام .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ٥ : ٤٧ .

(٣) أخرج البخاري بإسناده أن النبي ﷺقال : ﴿ **على كل مسلم صدقة** ﴾ . إلى ان سئل فقال : « فليمسك عن الشر فإنه له صدقة » . صحيح البخاري ١٠ : ٣٦٨ .

(٤) في البيان والتبيين ١ : ٨٣ .

(٥) مجمع الأمثال للميداني ١ : ٢٦٤ .

(*) وردت في الأصل (قال) وتصويبها يقتضيه سياق الكلام .

(٦) يخاطب النبي ﷺالأنصار . (انظر الكامل للمبرد ١ : ٤) .

(٧) في الأصل : فمن تعارف . وأخرج مسلم في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺقال : ﴿ **الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف** ﴾ صحيح مسلم ١٦ : ١٨٥ .

(٨) و (٩) مثلان أوردهما الميداني في المولد ١ : ٢٨٠ .

ومن الحكم والأمثال ما يأتي [٥٥ / أ] على وجه التمثيل والتشبيه كقوله ﷺ: « الناس كأسنَانِ المِشط ، وإنما يَتفاضلون بالعافية . المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً[١] . أصحابي كالنُّجوم فبأيِّهم اقتديتم اهتديتم . مَثل الجليسِ الصّالح كالعطّار ، إن لم تُصب من عطره أصبت من ريحه ، ومثل الجليس السوء كالكير إن لم يحرق ثوبك آذاك بدخانه »[٢] .

وقال عيسى عليه السلام : « مَثلُ الدُّنيا والآخرة كرجلٍ له ضَرَّتان ، كلّما أرضى إحداهما أسخَط الأُخرى » . وقال بعضهم : « مثَل الدنيا كرجلٍ نام نومة فرأى فيها ما يحبُّ وما يكره ، ثم انتبه ! » . وقال بعضهم : « مثل أصحاب السلطان كقومٍ رَقُوا جبلاً ، ثم وقعوا منه ، فكان أبعدهم في المرقى أقربهم من التلف .

ومن ذلك قولي : « مثَل الوالد الفاضل والوَلد المنحوس كمثل شجرة السُّوس : عُروقها طيبة المذاق ، وفروعُها مُرّة الثمر والأوراق » .

[الاتساعُ في استعمالِ الأمثال]

وقد اتسعوا في استعمال الأمثال كل الاتساع . فمنها ما لم يُعدل به في الغالب عن موضوعه كقولهم : الخِيرةُ فيما يِصنع الله[٣] . ومنها ما يُعدل البتّة عن بعض وُجوهه ، كقول عمر رضي الله عنه : كل الناسِ خيرٌ منك يا عُمر » . لأنه ـ رضي الله عنه ـ لم يكن أحدٌ خيراً منه ، ولكن يتمثل بقوله من هو أقلّ خيراً من غيره .

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي موسى الاشعري . صحيح البخاري ١٠ : ٣٦٧ .

(٢) في (الفتح الكبير في ضم الزيادة الى الجامع الصغير ، ترتيب الشيخ يوسف النبهاني ٣ : ١٢٨) حديثان مشابهان في المعنى ، قريبان في اللفظ . وانظر الحديث بلفظ مقارب في (تيسير الوصول الى جامع الاصول) لأبي الربيع الشيباني ١ : ٢٤ .

(٣) أورده الميداني في المولد ١ : ٢٣١ .

ومنها ما يُعدل به في الغالب عن موضوعه ، كقول الشاعر[1] :

* أَلْفى أباهُ بذاكَ الكسبِ يكتسِبُ*

فهذا القولُ في صفةِ صائد ، ولكنّهم قد استعملوه فيمن وَرِثَ مجده من آبائه .

* ونظيرُ هذا ما أُنكر عن الوزير الكاتب أبي القاسم بن الجَدّ[2] من قوله في مُخاطبتنا ـ أهل إشبيلية ـ على لِسان أمير المسلمين: ﴿ **قُلْ ما يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلاَ دُعاؤُكُمْ** ﴾[3] ، فإنّ هذا اللفظ [٥٥ / ب] وإن كان مُوافقاً للفظ الآية ، فليسَ من الآية ولا مِن معناها ، لأن الآية في [مُخاطبة][4] الكُفّار ، ومعناها : ما يَعبأ بعذابكم لولا ما تَدعُونهُ من الشَّريك والولد .

[و] مثل أبي القاسم في فهمه وعلمه لا يَجهل مثل هَذا . وإنما قصد التجمُّل بلفظ الآية ، والتمثل بهذا المقدار ، لا أنه خاطبهم مُخاطبة الكُفار .

ومما يشبه هذا ، قول الشاعر :

أحسنُ الأشعارِ عِندي (انْفِ بالخَمْرِ الخُمارا)[5]
وألذُّ الآيِ عِنْدي (وتَرى النّاسَ سُكارى)[6]

---

(١) هو ذو الرمة . والبيت في ديوانه طبعة كامبردج سنة ١٩١٩ ، الصفحة ٢٤ ، وتمامه :

ومطعم الصيد هبال لبغيته ألفى أباه بذاك الكسب يكتسب

(٢) سبقت ترجمته من الورقة ٣١/ب .

(٣) « سورة الفرقان » : ٧٧ .

(٤) في الأصل : في مخا .

(٥) عجز بيت لابي نواس (الديوان طـ مصر ١٨٩٨ ، صفحة ٢٧٤) ، وتمامه :

دع لباكيها الديارا وانفِ بالخمر الخمارا

وهو مطلع قصيدة خمرية .

(٦) « سورة الحج » ، من الآية ٢ .

فكلام أبي القاسم يخرج على هذا الوجه . على أن من العلماء من تأوَّل هٰذه الآية المذكورة على أنها في مخاطبة المؤمنين . وعلى أيّ التأولين حملت كلام ابي القاسم ، صحَّ إن شاء الله .

وقد بالغت العَربُ في ضرب الأمثال وقاربت . فمن المبالغة ضربهم المثل بمُلك سليمان ، وحُسن يوسف ، وشبه ذلك . ومن المُقاربة ضربهم المثل بإقدام عمرو ، وحلم أحنف[1] . وإنما ذلك لأن لهم ضروبَ الكلام وأفانينه .

وقد نطق بهذين النوعين الكتاب . قال الله تعالى : ﴿ **وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه** ﴾[2] ، فهذا من المُبالغة . وقال سُبحانه : ﴿ **مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فيهَا مِصْبَاحٌ** ﴾[3] ، فهذا من المُقاربة .

وبمعنى هذه الآية احتجَّ ابو تمام حين أنشد أحمد بن المعتصم بحضرةِ الكِندي :

إقدامُ عَمروٍ ، في سَماحةِ حاتمٍ في حِلْمِ أَحْنَفَ ، في ذَكاءِ إياسِ[4]

فقال له الكِنديّ : ما صَنَعْتَ شَيْئاً ! شبَّهَت ابنَ أمير المؤمنين ، ووليّ عهد المسلمين بِصَعاليك العَرب ، وما هٰؤلاءِ الذين ذكرتَ وما قدرهم ؟! فأطرق أبو تمام شيئاً ، وقال [٥٦/أ] :

لا تُنكروا ضَربي لـه مَنْ دُونَـهُ مَثـلاً شَرُوداً في النَّـدى والباسِ

---

(١) انظر ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي ص : ٣٧ و٤٦ و٦٩ .

(٢) « سورة الزلزلة » : ٨ .

(٣) « سورة النور » : من الآية ٣٥ .

(٤) ديوان أبي تمام ٢ : ٢٤٩ .

فـاللهُ قـد ضَـربَ الأقَـلَّ لنـورِه مَثـلاً من المِشكـاةِ والنّبـراسِ[1]

وقد احتَججنا بهذا كُلّه لقولِ أبي الطيب :

بَـليـتُ بِـلى الأطـلالِ إنْ لـم أَقِـفْ بِهـا
وُقـوفَ شَحيـحٍ ضَـاعَ في التُّـربِ خـاتَمُـهْ[2]

وأشبَعْنا القولَ في ذلك في كتاب (الانتصار) ، والحمد لله رب العالمين .

فصل

المورَّى

وسَمَّينا هذا النَّوْعَ من الكلام المورَّى ، لأن باطِنَهُ على غير ظاهره . ومنهُ الحديث : كانَ رسول الله ﷺ إذا أراد سَفراً ورّى بغيره[3] . وهو نوعٌ من غَريب الكلام كقولِ النّبي عليه السلام لعجوزٍ : « إنّ الجنة لا يدخلها عجوز » ، يريد أنهنّ يَعُدن شواباً . وقال ﷺ لأخرى : أزوجُك الذي في عَينيه بَياض ؟ يريد ما حول الحَدقة . ﷺ استدبر رجلاً من ورائه وقال : مَن يشتري منّي العبد ؟ يريد عَبد الله .

وسُئِلَ شُرَيح[4] عن ابن له وقد ماتَ فقالوا : كيف أصبح مريضُك يا أبا

---

(١) المصدر السابق ٢ : ٢٥٠ ، وأمالي المرتضى ١ : ٢٨٩ ـ ٢٩٠ .

(٢) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة الحمداني عند نزوله بانطاكية ، وكانت أول ما أنشده (الديوان ٤ : ٥٩) .

(٣) أخرج ابو داود ان النبي (ﷺ) كان اذا أراد غزوة ورى بغيرها ، وكان يقول الحرب خدعة . انظر : معالم السنن للخطابي ٣ : ٤٣٣ .

(٤) في عيون الأخبار ٢ : ١٩٩ ، بلفظ قريب .

أُمية ؟ قال : الآن سَكن عَلَزه[1] ، ورَجاهُ أهله . يعني رَجوا ثَوابَهُ .

ودَخَلَ[2] على زيادٍ في مَرضه الذي مات فيه ، فَلمّا خرج بعث إليه مسروق يسأله : كيف تركتَ الأمير ؟ قال : تركتُه يَأْمُر ويَنهى ! فقال : إن شُريحاً صاحبُ عويصٍ [فَسلوه] ، فسألوه [فَقال] : قد تركتُه يأمرُ بالوصيّة ، ويَنْهى عن البكاء .

وقد نَحا هذا المنحى ابنُ دُريدٍ في (المَلاحِن)[3] ، وابنُ فارس[4] في (فُتيا فقيهِ العَرب) .

وقد سلك أبو العلاء أيضاً هذا المسلك ، وجرى فيه ملء عِنانه فأدرك . فقال في رسالة الصَّاهل والشاحج[5] :

العلم يدلُّ على أنّ الحسنَ لم يَرَ الحُسين قط[6] ، وأنّ فاطمة ـ رضي الله

---

(١) في الأصل : علوه . والعلز : القلق والكرب عند الموت .

(٢) في عيون الأخبار ٢ : ١٩٩ ، والعقد ٢ : ٤٧٦ . والمقصود : دخل شُريح .

ـ والقاضي شُريح هو أبو أميّة شريح بن الحارث بن قيس الكندي ، أدرك الجاهلية ، وهو من كبار التابعين ، واستقضاه عمر (رض) فأقام خمساً وسبعين سنةً قاضياً (امتنع فيها عن القضاء ثلاث سنين) . وكان أعلم الناس بالقضاء ذا فطنة وذكاء ومعرفة وعقل ورصانة . وكان شاعراً محسناً . وتوفي شريح سنة ٧٨ هـ وهو ابن مئة سنة .

(٣) في الأصل : ابن مياس ، وهو خطأ من تحريف الناسخ .

ـ وقد سبقت ترجمة ابن دريد (الصفحة ١٢٠) . وكتاب (الملاحِن) كراسة صغيرة ، طبع في القاهرة ١٣٤٧ هـ بالمطبعة السلفية بتحقيق إبراهيم أطفيش الجزائري رحمه الله . قال ابن دريد في مقدّمته « وذلك أن اللحن أن تريد شيئاً فتورّي عنه بقولٍ آخر » وقال في موضع آخر « سمّي اللحنُ لحناً لأنه يخرج عن نحوين أو وجهين » .

(٤) أحمد بن فارس القزويني الرّازي (٣٢٩ ـ ٣٩٥) من أئمة اللغة والأدب قرأ عليه بديع الزمان الهمذاني والصاحب وغيرهما . وله مؤلفات كثيرة طبع عدد منها .

ـ وكتاب (فتيا فقيه العرب) رسالة طبعت في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٥٨ .

(٥) النّص في (رسالة الصاهل والشاحج) : ٢٢٢ وشرحه في ٣٥١ ـ ٣٥٥ .

(٦) في رسالة الصاهل والشاجح زيادة « وأن الحسين صلى الله عليه لم يَرَ الحسن قط » .

عنها ـ لم تَرَ في بيتِها عَلِيّاً ، وقد يجوزُ أن تكونَ أبصرته[1] عى باب البيت[2] . وكان عليّ ـ رحمهُ الله ـ يرحَمُ الأَرملةَ ، ويَبَرُّ اليتيم ، ويضرِبُ بحدِّ سيفه أمَّ الصّبيّين . وقطع يَدَ الفِيل على السَّرق ، وجَلَده على شرب الخمر . وكان يأمر بقتل الأَعرج والأُعَيرج وهُما في الحَرم ، ويكرهُ دُخولَ الأَعمى المسجدَ . وكان يُنصفُ الخسيسَ من أهل الأَقدار . ويوطَأُ الجليلُ في زمانه بالقَدَم[3] ! وقد رميتُ أنا على فرضهم ورَميت إلى غَرضهم . فقلتُ في رسالة الساجعة والغربيب : وكان بمصرنا[4] فقيهٌ مالكيٌّ لاَ يرى أن يصلّي على النبي[5] ﷺ ، وكان لا يُبالي مع القُدرة وعدم الخَوف ، صَلَّى[6] إلى شرق أو إلى غرب أو إلى جوف . وكان لا يَرى في الضِّرس[7] عَقْلاً قليلاً ولا كثيراً . وكان يَرى أنَّ عقل الباكيةِ[8] خمسونَ من الإبل ، وعقل الضّاحكة[9] خمسٌ من الإبل ! وكان لا

---

(١) في الرسالة : رأته .

(٢) أهمل المؤلف نقل بضع جمل .

(٣) الحسن والحسين كثيبا رمل في بلاد ضبَّة . والعبارةُ النّاقصة من أن الحسين (رض) لم يَرَ الحسن أي : لم يَرَ هذا الكثيب . و (لم يَرَ) قد يكون من معنى رَآه : أي ضرب رئته . ثم خفّفت الهمزة . والعليُّ : الفراشُ الشديد الصلب . فهذا معنى أن فاطمة (رض) لم ترَ علياً في بيتها . وأم الصبيّين : الهامة وألغز المعرّي بالمرأة ذات الطفلين . والأعرج : الغراب أو الذئب والأُعيرج : نوع من الحيّات . والأعمى : السّيد والفحل الهائج من الإبل . والجليل قد يكون الثُّمام وهو من النبات ، والجليل أيضاً الجِلّة . قال المعري : « وإنما قلت وكان يُصنف الخسيس من أهل الأَقدار إلغازاً ليتوهم السامع أنّ الجليل ها هنا يُعنى به الجليل من الناس ! » .

(٤) المصر : البَلد .

(٥) النبيّ : ما ارتفع من الأرض .

(٦) يعني الصلاة على النبي ﷺ .

(٧) للضّرس معان (سوى أضراس الفم) : فالضرس : الحجر تُطوى به البئر ونحوها . والأكمة الخشنة . والمطرة الخفيفة القليلة .

(٨) الباكية يعني عين البَصر .

(٩) الضاحكة (من الأسنان) كل سنّ تبدو عند الضَّحك .

رَملاً[1] . يُميت السُّرى وهو باق . ما حَداه الأَبد حادٍ . شَتا فعظُم في العُيون ، وجاءَهُ الرّبيع بالفُتون . وله ـ بإذن الله ـ قِصَر وازدياد . مُحلَّى يُحلَّى ، ما سمت له همَّةُ جلَّى . على أنه لا يعرف البُرَة[2] ، ولا الخَدم[3] ولا الإسورة .

* ومن باب المُورّى[4] ما أوصى به ناشب بن بَشامة الأعور إلى قومه ، وهو أسيرٌ في بني سعد[5] ، وقد كانت اللّهازم تجمعت ، وأجمعتْ على أن تغير على قَومه . فقال لهم ناشب : أعطوني رسولاً أرسله إلى أهلي ، وأُوصيهم ببعضِ حاجتي . فقالت له بنو سعد : ترسله [٥٧/ب] ونحن حُضور ، وذلك مخافة أن ينذر قومه . قال : نعم . فأتوه بغلامٍ مولَّد[6] . فقال : أتيتموني بأَحمق ! فقالِ الغُلام : إني والله ما أنا بأحمق . فقال : إني أراك مجنوناً ! فقال : ما بي من جُنون . فقال : فالنيران[7] أكثر أم الكَواكب ؟ [فقال : الكواكب][8] وكلٌّ كثير . فَملأ الأعور كفّيه من الرّمل فقال : كم في يدي من الرَّمل ؟ فقال : لا أَدري ، وإنّهُ لكثير ما أُحصيه كثرةً . فأومأ إلى الشّمس بيديه فقال : ما تِلك ؟ قال : هي الشّمس . فقال : ما أَراك إلا عاقلاً[9] ظَريفاً ،

---

(١) الرسيم والرمل : نوعان من سير الإبل .

(٢) البرة : حلقة تجعل في أنف البعير .

(٣) الخدم : كالاسورة .

(٤) وردت هذه القصة في كتاب (الملاحن) لأبن دريد ، طبعة السلفية ، الصفحة ٣ . غير ان الكلاعي لم يلتزم نقلها حرفياً ، فالمعنى واحد ، والنص مقارب . وقد غير الكلاعي بعض الكلمات بكلمات أخرى مما يستعمله الأندلسيون . وانظرها ايضاً في امالي المرتضى ١ : ١٦ ـ ١٧ طبعة مصر ١٣٧٣ ؛ وهي رواية القالي في أماليه . واعتمد الكلاعي رواية أبي عبيدة في شرح النقائض : ٣٠٥ .

(٥) في أمالي المرتضي : في بني بكر بن وائل ، والنص في الأمالي مطابق لما في الملاحن ما عدا مواضع قليلة .

(٦) في الملاحن : فجيء بعبد أسود .

(٧) في الملاحن : فالتراب .

(٨) الزيادة عن النقائض .

(٩) العبارة ساقطة من الملاحن .

اذهب إلى أهلي ، أبلغْهم التّحية وقل لهم ليحسنوا إلى أَسيرهم[1] ، فإنهم لي مُكرمون . وقل لهم فليُعَرّوا جَملي الأصهب ، ويركَبُوا ناقتي العيساء ، وليدَعوا حاجَتي في أُبينا مالك بن حنظلة . وأخبرهم أن العَوسج[2] قد أورق ، وأن النساء قد اتخذن الشِّكاء[3] ، وليعصوا هَمّام بن بشامة ، فإنه مشؤُوم محدود ، ولْيطيعوا الهُذيل بن الأَخنس ، فإنه حازم ميمون .

فأتاهم الرّسول فبَلّغهم ما قال لهم . فلم تَدْرِ عمرو بن تميم ما الذي أرسل به الأعور ، وقالُوا : ما نعرفُ له ناقَةً يختصُّها ولا جَملاً . وإنّ إبله عندنا لبأجٌ واحد[4] . فقال هذيل[5] للرسول : اقتصَّ عليَّ أوّل قصته . فاقتصَّ عليه أول ما تكلم بهِ الأَعور ، وما رجعه إليه حتى أتى على آخره . فقال هُذيل : أبلغْهُ إذا أتيته ، وقل له إنا سَنستوصي بما أوصى به . فشخَص الرَّسول . ثم نَادى هذيلٌ : يا آل عنبر ! قد بيَّن صاحبكم . أما الرّمل الذي جعل في يده ، فإنّهُ يُخبركم أنه قد أتاكم عَدُوٌّ لا يُحصى كثرةً كما لا يُحصى الرمل . وأما الشّمس التي أومأَ إليها فإنه يقول : إن ذلك لأَصحُّ من الشّمس . وأما جَمله الأحمر فإنّه الصمان[6] يأمركم لتعرّوه ، أي تَرحلوا عنه . وأما ناقَتُه العيساء فإنها الدَّهناء يأمركم [٥٨/أ] أن تتحرّزوا فيها من الجَبل . وأما أُبَيْنُو مَالك فإنه يأمركم أن تُنذروهم بما حذَّركم ، وأن تمسكوا بحلفٍ بينكم وبينهم . وأما إيراق العَوسج ، فإنّ القوم قد اكتَسوا سلاحاً . وأما أشْكَت النّساء ،

---

(١) في الأصل : ليحثوا إلى أسرهم . وفي الملاحن : وقل لهم ليكرموا فلاناً ـ يعني أسيراً كان في أيديهم من بكر بن وائل .

(٢) العوسج : شجر الشوك . وفي الملاحن والأمالي : ان العرفج قد أدبى .

(٣) الشكوة : وعاء من جلد للماء واللبن .

(٤) أي متشابهة .

(٥) في الأصل : حرير .

(٦) في الأصل : الصان ، والصمان : جبل .

فيخبركم أنهنَّ اتخذن الشِّكاء [يُريد خرزن لهم] عِجَلاً ، يَغْزون بها[١] . قال : فحذِرتَ عمرو بن تميم ، وأنذروا بني مالك فقالوا : لَسنا ندري ما قال صاحبكم ، ولسنا بمتحوِّلين . فصبَّحت اللّهازم بني حنظلة ، ووجدوا عَمراً قد [أَجْلت وارتحلت][٢] .

[المورّى في الشعر والنثر]

وهو يكونُ في المنظوم والمنثور . وبسبب كونِه في المنثور نبَّهتُ في هذا الموضع عليه ، وأشرت فيه إليه . وصِفته : أن تعمد إلى بيت من الشعر ، أو فصل من النثر ، تريد أن تنثر[٣] به إلى بعض الخلَّان[٤] ، أو تمتحن به ذهن أحد الإخوان ، فتسمّي كل حرف من ذلك باسمٍ من أسماء الطّيور ، أو النبات أو غير ذلك . فإذا تكرّر في كل حرف كرّرت الاسم الذي وسمته[٥] به . ومتى تمّت كلمة أو حرف علِّمت علامة تدلُّ أن الكلمة قد تمت، مثل أن يريد تعمية[٦] قول الشاعر :

* ظَفِرْتَ بالأعداءِ يا ظافِرُ *

فتكتُب ما صُورتُه : أَجدل[٧] ، زرزور ، عقعق[٨] ، سُبَر[٩] ، حمامة ،

---

(١) في الملاحن : أي اتخذن الشكاء للسفر .

(٢) فراغ من الأصل بمقدار كلمة ، والزيادة من شرح النقائض .

(٣) كذا بالأصل . ولعلها : (تشير) .

(٤) في ديوان ابن زيدون مطارحات بينه وبين المعتمد بن عَبّاد الذي كان يلقب أيضاً بالظافر (انظر مثلاً الصفحة ٦١٠) .

(٥) في الأصل : رسمته بالراء .

(٦) في الأصل : نعمته .

(٧) الأجدل : الصقر .

(٨) العقعق : وزان جعفر ، طائر نحو الحمامة طويل الذنب فيه بياض وسواد وهو نوع من الغربان .

(٩) السبر كصرد : طائر .

إوَزَّة ، بلبل ، إوزّة ، شرشور[1] ، عصفور ، إوزة ، بُرَكة[2] إوزة ، أجدل ، إوزة ، زرزور ، عَقعق .

فتكرّر الإوزّة لتكرر الألف ، وكذلك الأجدل والزّرزور والعَقعق لتكرّر الظّاء والفَاء والرّاء .

واعلم أن فكَّ المنظوم أبَين من فك المنثور ، من قِبل الوزن . فإذا عُمِّي لك بيتٌ فتطلَّب وزنه ، واستدِلَّ على ذلك بكثرةِ الحُروف وقلّتها ، فإن كَثُرت إلى نحو الأَربعين فهي من الأوزان الطويلة ، وإن قَلّت فهي من الأوزان القصيرة . واعلم أنّ الألف واللام أكثر الحروف دَوراً في الكلام . فإذا [٥٨ /ب] رأيتَ الاسم قد كَثُر تكراره فاجعلْه الألف أبداً . وربّما لم يصدق هذا الظن[3] ، ولكنه هو الأكثر الأعرف . فإذا صحَّت الألف فاطلب بعدها اللاّم ، فإنها تَقع كثيراً بعد الألف . ومما يُستدلّ به على معرفة اللام أن يقع[4] لك بعد الاسم الذي ظننته الألف حرفان على صورة واحدة . مثل : اللّبيب والليل وشِبهه . ومما يُستدلّ به على معرفة اللام أن تقع في البيت كله على حَرفين ، وقد عرفتَ الألف واللام فتكون الكلمة (لا) فتزداد يقيناً في الألف واللام . فإذا صحَّت الألف واللام ورأيتَ في البيت كلمة على حَرفين ، والثّاني منهما الألف فظُنَّ : « ما » أو « با » أو « ذا » ، لأن ذلك أكثر ما يقع[5] فإذا صحت لك هذه الميم ثم رأيت كلمةً على حَرفين فظُنَّ بها « من » . وإذا رأيت كلمة على حرفين : أولهما ألف فظُنّ بالحرف الثاني أنه نون ، أو واو ، أو

---

(١) الشرشور : طائر يسمى البرقش .

(٢) البركة : طائر أبيض من طير الماء .

(٣) في الأصل : الكن .

(٤) في الأصل : تقع .

(٥) في الأصل : مما يقع .

ميم ، أو ياء . فإنه إذا عرف الألف واللام في أول الكلمة ورأيت قبلها حرفاً فظُنّ به أنه واو أو فاء ، أو باء أو كاف . فإذا عرفت الألف ، ورأيتها وقعت[1] في آخر البيت ، فظن بالحرف الذي قبلها أنه هاء ، أو كاف ، لأن ذلك أكثر ما يقع . فإذا تكررت لك هذه الحروف في البيت وقعتَ منه على أكثره . ثم تعمد إلى الحُروف التي يقلّ تكرارُها في البيت ، فتنظر إلى الكلمة الرباعية ، أو الخماسية ، فتظنّ بها أبداً أن فيها أحد الحروف الستة : اللام والراء والنون والفاء والباء والميم ، فإنها لا تخلو من حرف منها أو حرفين : ثم تقيس هكذا ، وتحدسُ وتستدل بما أشرنا إليه ونبّهنا من الدلائل عليه ، مما فيه كفايةٌ للطالب الأديب ، ومَقنع للمتصفّح الأريب ، إن شاء الله .

وهذا القسم الذي أنشدناه آنفاً [٥٩/أ] من بيتين من رسالة لجدي[2] ـ رحمه الله ـ طيَّرها إلى المعتمد بن عباد ، وكان حينئذ يلقب بالظافر[3] ، وهي :

ظفرتَ بالأعداء يا ظافرُ ونلتَ مجداً نوره باهرُ

---

(١) في الأصل : ووقعت .

(٢) الوزير الكاتب أبو القاسم محمد بن عبد الغفور . انظر ترجمته في الورقة [٣١/ب] .

(٣) أبو القاسم محمد بن عبّاد أحد أمراء دولة بني عَبّاد اللخميّين الذين استأثروا بحكم إشبيلية وما تبعها من المدن والبلاد (٤٣٢ ـ ٤٨٨) وقد كان ساعداً لأبيه المعتضد وأسهم في توسيع حدود مملكتهم . ثم ولي الحكم سنة ٤٦١ واستمر إلى ٤٨٤ حين دخل المرابطون الأندلس للمرّة الرابعة فقاومهم المعتمد حريصاً على المُلك . ثم اقتيد أسيراً ـ مع نفر من أهل بيته ـ وقضى في سجنه بأغمات من المغرب (الأقصى) سنة ٤٨٨ .

ـ وله وقائع مشهورة كمشاركته في وقعة الزلاقة التي انتصر فيها تحالف الأندلسيين والمرابطين على ألفونسو السادس صاحب قشتالة ومن كان معه من الإسبان والمطوعة .

ـ والمعتمد أديب ، شاعر ؛ أسهم بلاطه في الحركة العلمية والأدبية في الأندلس ، وترك صدًى ما يزال يتردّد إلى اليوم . وله ديوان مجموع من شعره .

فمنـكَ للبـاغِي ولـلمُبتغـى غَضبُ جرازٌ[1] وندًى غـامِـرُ

ففكَّها المعتمدُ وراجَعه بقوله[2] :

عنّتْ لنا طيرُ القَـريضِ الذي حكَتْ ، فكانَ الأجدل الخاطرُ
وبثّ قلبي شَـركِ الفَهم كي يعلقـهـا عَقْعَقُـهـا النّـافِـرُ
فـأنشـدتُ لمـا ظَفِـرنـا بهـا « ظفـرتَ بـالأعـداءِ يـا ظـافِـرُ »
لي همّـةٌ تـدرك مـطلوبَهـا مـا فـاتَهـا سَـاعٍ ولا طـائِـرُ
يَفـديـك بـالنّفس فتىً وُدُّه فيـكَ مـدَى أيـامِـه نـاضِـرُ

فما فداه[3] ولا دفعتْ عنه محتومَ قدرٍ يَداه ، بل توفّي قُبيل ذهاب مُلكه ، وانتثارِ سِلكه . وهو القائل فيه من جملة أبيات يرثيه :

أبا قاسمٍ قد كنتَ دُنيا صحبتُها قَليلًا ، كذا الدُّنيا قليلٌ متاعُها[4]

وقد أثبتنا ـ أعزك الله ـ ما اخترنا من أنواع التّعمية ، وأوردنا ما تَيسَّر من ضُروب التّورية ، وإن كان نِطاقُ[5] ذلك واسعاً[6] ، وعرضُ استيفائه شاسعاً . ففي ما ذكرناه مَقنعٌ ودَليل ، وغيرُ الخالق سبحانه بالإحاطة غيرُ كفيل ، لا ربَّ سِواه .

---

(١) الجراز : السيف القاطع .

(٢) لم ترد هذه القطعة في ديوان المعتمد (طبعة القاهرة ـ أو ـ طبعة تونس) .

(٣) في الأصل : ما فداه .

(٤) الأبيات في الذّخيرة ـ القسم الثاني ـ القسم الأوّل : ٣٢٣ ، وفي المغرب لابن سعيد (١ : ٢٣٦) .

(٥) في الأصل : يطاق .

(٦) في الأصل : واسع . . شاسع .

فصل
المقامات والحكايات

وقد أجرينا ذِكر المَقاماتِ في ذكر بَديع الزَّمان[١] ، ونبّهنا على ما له فيها من الإبداع والإحسان . وأنّ لـه أربع مئـة مقامـة[٢] في غايـةِ الجودةِ والفخامة ؛ والذي وَصل إليَّ منها نَحو الأربعين[٣] . فمنها قوله[٤] : حدثني عيسى بن هشام قال [٥٩/ب] :

[المقامَة الأصفهانيّة] .

كنت بأصفهان أَروم المسيرَ إلى الرَّي ، فحلبتها حُلول الفَيِّ . أتوقّع القافلةَ كل لَمحة ، وأرتقبُ الرّاحلة كلّ صَبحة . فلمّا حُمَّ ما توقعته ، نُودي للصّلاة نداءٌ سمعتُه ، وتَعيَّن فرضُ الإجابة ، فانسلَلْتُ من[٥] الصَّحابة ، أغتنمُ الجماعةَ أُدركها ، وأخشى فوتَ القافلة أَتركها . لكنّي استعنت بركعاتِ الصّلاة على وَعثاءِ السَّفر ، فصرت إلى أول الصُّفوف ، ومثَلْت للوقُوْف ، وتقدم الإمامُ إلى المِحراب ، فقرأَ بفاتحةِ الكتاب ، قراءة حمزة ، مَدّ وهمزة[٦] . وأتبع

---

(١) أنظر الورقة ٣٤/أ وما بعدها .

(٢) نقل الكلاعي هذا الخبر عن زهر الآداب للحصري ١ : ٢٦١ ، وذكر الثعالبي في ترجمة الهمذاني في اليتيمية ٤ : ١٦٨ أنه : (أملى أربع مئة مقامة نحلها أبا الفتح الاسكندري . . .) الخ . وتنظر مقدمة الشريشي في شرحه على مقامات الحريري . وأعلام الكلام لابن شرف : ١٤ .

(٣) ما لدينا من مقامات الهمذاني يبلغ ٥١ مقامة . انظر The Encyclopedia of Islam London. 1927. 2 : 242.

(٤) وهي المقامة الأصفهانية (مقامات بديع الزمان الهمذاني ص ٥٧ - ٦٢ ، طبعة القاهرة ١٣٤٢ - ١٩٢٣) وبين النصين اختلافات يسيرة ، سأشير إلى أهمها ، وإلى الزيادة والنقصان بينهما . وقد وضعت الزيادة اللازمة بين معقوفتين .

(٥) في المقامات : من بين .

(٦) في المقامات : بقراءة حمزة ، مدة وهمزة ، وبي الغم المقيم المقعد في فوت القافلة والبعد عن الراحلة .

الفاتحةَ بالواقعة[1] ، وأنا أتصلّى بنار الصبر وأتصلّب ، وأتقلّى على جمر الغضا[2] وأتقلّب . وليسَ إلاّ السكوت والصّبر ، أو الكلام والقبر ؛ لِمَا عرفتُ من خُشونة القوم في ذلك المَقام ، إن[3] قَطعتُ الصلاة دونَ السَّلام . فوقفتُ بقدم الضَّرورة على تلك الصُّورة إلى انتهاء السورة . وقد قَنطت من القَافلة ، ويئستُ من الرّاحلة[4] . ثم حنى قَوسه للركوع ، بنوعٍ من الخُشوع ، وضَرْبٍ من الخضوع لم أعهده قبل[5] . ثم رفع رأسه ويديه وقال : سمع الله لمن حمده . وقام حتى[6] شككتُ أنه نام . ثم اكبَّ لوجهه ورفعتُ رأسي أنتهزُ خرجة ، فلم أجد بين الصفوفُ فُرجة . فعدتُ للسّجود ، حتى كبَّر للقُعود . وقام ابن الزّانية[7] إلى الرّكعة الثانية ، فقرأ الفاتحة والقَارعة قراءةً استوفى بها عُمَر السّاعة ، واستنزفَ بها أرواحَ الجماعة . ولما فرغَ من ركعتيه[8] ، مالَ بالتحيّةِ لأخدعيه . وقلتُ قد سَهل المخرج ، وقَرُب الفَرج . فقام رجل فقال : مَنْ كان منكم يحبُّ الصحابة والجَماعة ، فليُعِرني سمعه ساعة . قال عيسى بن هشام : فلزمتُ أرضي ، صيانةً لِعرضي . فقال : حقيقٌ عليَّ ألاَّ أقولَ على الله إلا الحق[9] . قد جئتكم [٦٠/أ] ببشارة من نبيّكُم ، لكني لا أُؤديها حتى يُطهّرَ الله هذا المسجد من [كلّ] نذل جَحد نبوَّته . قال عيسى بن هشام : فربطني بالقُيود ، وشَدَّني

---

(١) في المقامات : واتبع الفاتحة الواقعة .

(٢) في المقامات : الغيظ .

(٣) في المقامات : أن لو .

(٤) في المقامات : من الرحل والراحلة .

(٥) في الأصل : قبل .

(٦) في المقامات : حتى ما شككت انه قد نام .

(٧) ساقطة من المقامات .

(٨) في المقامات : وأقبل على التشهد بلحييه ، ومال . . .

(٩) في المقامات : ولا أشهد إلا بالصدق .

بالحبالِ السّود . ثم قال : رأيتُه[1] ﷺ كالشمس تحت غَمام ، والبدرُ في ليلِ تمام[2] ؛ يسير والنجوم تتبعه ، ويسحبُ الذّيل والملائكة ترفَعُه . ثم عَلَّمني دعاء ، وأوصاني أن أعلِّم ذلك أُمته . وقد كتبتُه على هٰذه الأوراق بِخلُوق[3] ومِسك وزَعفران وسُكّ . فمن استوهَبَهُ منّي وهبتُه . ومن رَدَّ [عليَّ] ثمن القرطاس أخذتُه . قال عيسى بن هشام : فلقدْ انثالَتْ عليه الدَّراهم حتى حيَّرتَه [وخرج ، فتبعتُه متعجّباً من حذقه بزَرْقه ، وتمحُّل رزقه . وهممتُ بمسألته عن حاله فأمسكت ، وبمكالمته فَسكتُّ . وتأمَّلْتُ فصاحته في وقاحته ، وملاحته في استماحته ، وربطَه الناسَ بحيلته ، وأخذَه الناس بوسيلته] . ونظرتُ فإذا أبو الفتح الإسكندري . فقلت : كيف اهتديتَ [إلى هذه الحيلة] ؟ فتبسَّم وأنشأ يقول[4] :

النّاسُ حُمرٌ فجوِّز ... وابرُز عليهمْ وبَرِّزْ
حتى إذا نِلتَ منهم ... ما تَشتهيه فَفَرْوِزْ !

مقامةٌ أُخرى[5] :

وحدثني عيسى بن هشام قال : كنتُ وأنا فتيّ [السن] أشدُّ رَحلي لكل عَماية[6] ، وأركض طرفي إلى كلّ غَواية ، حتى شربت [من] العمر سائغه ،

---

(١) في الأصل : أرأيته .

(٢) في المقامات : ليلة التمام .

(٣) في الأصل : بخل . والخَلُوق : نوع من الطيب ، ومثله السّك .

(٤) حمر جمع حمار ، وجوّز معناه قُدْ (من قاد يقود) . وبَرَز (مخففة) تفوّق ، وبرّز (بالتشديد) : ظهر . ومعنى فروز من (من مات يموت) يقول : « لا تقصّر في رفعة شأنك وظهورك على الناس حتى تنال ما تشتهي فإذا انتهت أغراضك ففارقهم ولو بالموت (مبالغة) .

(٥) هي المقامة الكوفية (مقامات الهمذاني : ٢٨) .

(٦) في الأصل : عناية .

ولبستُ [من] الدّهر سابغه . فلما صاحَ النّهار بجانِب لَيْلي ، وجمعتُ للمعاد ذيلي ، وطئتُ ظهر المروضة لأداءِ المَفروضة[1] . وصَحبني في الطّريق رفيقٌ لم أنكره من سُوء . فلما تجالَينا [وخبَّرنا بحالينا] سفرت القصة عن أصلٍ كُوفي ، ومذهَبٍ صُوفيّ . وسِرنا[2] ؛ فلما احتللنا الكوفةَ مِلنا إلى داره ، ودخلناها وقد بقَل وجهُ النّهار ، واخضرَّ جانبه . ولما اغتمض جفنُ اللّيل وطَرَّ شاربه ، قُرِعَ علينا البابُ ، فقلت : مَن القارع المنتاب ؟ فقال : وفدُ الليل وبَريدُه ، وفَلُّ الجوع وطريدُه ، وَحِرٌ قاده الضُّرُّ والزمان المرّ [٦٠/ب] . وضيفٌ وطْؤُه خفيف ، وضالَّته رغيف ! وجارٌ يستعدي على الجُوع ، والجَيب المرقوع . وغريب أُوقدت النارُ على سفره ، ونبحت العُواة على أثره ، ونُبذَت خلفه الحُصيّات ، وكُنِست بعدَهُ العرصات . فصبرُه طريح ، وعيشُه تَبريح ، ومن دون فَرخيه مَهامِه فِيح . قال عيسى بن هشام : فقبضتُ من كيسي قبضةَ اللَّيث ، وبعثتُها إليه وقلتُ : زِدْنا سؤالاً نَزِدْكَ نوالاً ، فقال : ما عُرِض عَرفُ العود على أحرَّ من نار الجود ، ولا لُقي وفد البِر بأحسن من بريد الشكر . ومن مَلك الفضل فليواس ، فلن يذهب العرف بين الله والناس . وأما انت فحقَّق الله آمالك ، وجعل اليد العليا لك . قال عيسى بن هشام : ففتحنا له الباب ، وقلنا ادخل ، فاذا والله شيخنا ابو الفتح الاسكندري ، فقلت : يا أبا الفتح ! لشدَّ[3] ما بلغت منك الخصاصة ، وهذا الزيّ خاصة . فتبسم وأنشأ يقول :

لا يغرَّنكَ الّذي أنا فيهِ منَ الطَّلَبْ
أنا في ثَروةٍ تُشقُّ لهَا بُردةُ الطَّرَبْ

---

(١) المروضة : الدابة ، والمفروضة : الحج .

(٢) في الأصل : وصرنا .

(٣) في الأصل : شد ما .

أنـا لـو شِئتُ لاتَّخـذْتُ سُقـوفاً من الـذَّهبْ![1]

مقامة أُخرى[2] ؛ [الجاحِظيّة] :

وحَدّثني عيسى بنُ هشام قال : دُعيت [ورفقة] إلى وَليمة فأجبتُ إليها للحَديث المأثور فيها[3] . فأفْضى بنا السّير إلى دار :

تُـركتْ والحسنَ تـأخـذه تـنَـتـقـي مـنـهُ وتنتخِبُ
[فـانتقَتْ منـهُ طَـرائفـه واستزادتْ بعضَ ما تهبُ][4]

[٦١/ أ] قد فُرِشَ بساطها ، وبُسطت أنماطها ، ومُدَّ سِماطها . وقوم قد أخذوا الوقت بين آسٍ مَخْضُود ، ووَرد مَنضود ، ودَنٍّ مفصُود ، ونايٍ وعود . فصرنا إليهم وصارُوا إلينا . ثم عكَفنا إلى[5] خوان قد مُلئتْ حِياضُه ، [ونَورَّت رياضُه] ، واصطفّت جِفانُه ، واختلفتْ ألوانُه . فمن حالكٍ بإزائه ناصع ، ومن قانٍ تلقائَهُ فاقِع . ومعَنا على الطعّام رجلٌ تُسافر يدُه على الخِوان ، وتَسفر بين الألوان ، و[تأخذ] وجُوه الرّغفان ، وتَفقأُ عيون الجِفان ، وتَرعى أرضَ الجيران ، ويزحم بالّقمةِ اللقُّمة ، ويَهزم بالمضغة المضغة . وهو مع ذلك ساكِتٌ لا ينبس[6] ، ونحن في الحديث نجري معه حتى وقفنا[7] على ذكر الجاحظ وحِكايته[8] ، ووصف ابن المقفّع وروايته[8] ، ووافق أول الحديث آخر الخوان ، وزُلنا عن ذلك المكَان . فقال

---

(١) البيتان الثاني والثالث مضطربان في الأصل ، والتصويب من المقامات .

(٢) المقامة الجاحظية (انظر المقامات : ص ٧٩) .

(٣) في المقامات : عن رسول الله ﷺ : لو دُعيت إلى كراع لأجبت ، ولو أهدي إلى ذراع لقبلت

(٤) البيت ـ وكل ما بين معقوفتين ـ ساقط من الأصل .

(٥) في المقامات : عكفنا على .

(٦) في المقامات : لا ينبس بحرف .

(٧) في المقامات : وقف بنا .

(٨) في المقامات : خطابته . . . ذرابته .

الرّجل : أين أنتم من[1] الحَديث الذي كُنتم فيه ؟ فأخذنا في وصف الجاحظ وَلَسنه ، وحُسن سَننه في الفصاحة وسُننه فيما عرفناه . فقال : يا قوم ! لكلّ زمانٍ[2] رجال ، ولكلّ مقام مَقال ، ولكلّ دار سكَن ، ولكلّ زمانٍ جاحِظ . ولو انتقدتُم لبطلَ ما اعتقدتُم فَكُلٌّ كَشَّرَ لهُ عَن نابِ الإنكارِ ، وأشمَّ بأنفِ الإكبار ، وضَحكتُ إليهِ لأجلِ ما لديه[3] ، وقلتُ : أفدنْا وزدنا . فقال : إنّ الجاحظَ في أحد شقَّي البلاغة يقطف ، وفي الآخر يقف ، والبليغُ من لم يقصر نظمه بنثره[4] ، ولم يُزْرِ كلامُه بشعره . فهل تَرون للجاحظ شِعراً ؟ قلنا . لا . فقال : هَلُمُّوا إلى كلامه فهو بعيدُ الإشارات ، قريبُ العبارات ، قليلُ الاستعارات ، مُنقادٌ لعُريان[5] الكلام يستعملهُ ، نَفور من بديعه يُهمله ، فهل سمعتمْ لهُ [٦١/ب] لفظةً مصنوعةً ، أو كلمةً غيرَ مَسموعة ؟ فقلت : لا . قال : فهل تحبّ أن تسمعَ من الكلامِ ما يخفّف عن مَنكبيك ، وينمُّ على ما في يديك ؟ فقلت : اي والله . قال : فأطلقْ على خَصرك[6] ، بما يُعينُ على شكرك . فنُلته رِدائي ، فأنشأ يقول :

لعَمْـرُ الـذي أَلقى إليَّ ثيـابَـهُ ... لقد حُشيتْ تلك الثيابُ به مَجْداً.

وقـد قَمرَتْـهُ[7] راحة الجُـود بَزّه ... وما[8] ضَربتِ قدحاً ولا نصَبت نردا

[أعِدْ نظراً يـا مَن حَباني ثيـابه ... ولا تـدَعِ الأيـام تَهـدمُني هَـدّا

---

(١) في الأصل : عن الحديث .

(٢) في المقامات : لكل عمل .

(٣) في المقامات : وضحكت له لأجل ما عنده .

(٤) كذا في الأصل وفي المقامات : عن نثره .

(٥) في الأصل : لعرفان .

(٦) في المقامات : فأطلق لي عن خنصرك .

(٧) في الأصل : غمرته ، والشطر الأول في المقامات :

* فتى قمرته المكرمات ثيابه* .

(٨) في الأصل : ولا .

وقُـلْ لـلُّالى إن أسفـروا أسفـروا ضحى
وإن طـلعـوا في غُـمَّـةٍ طَـلَعـوُا سَـعـدا
صِـلُوا رَحِـمَ الـعـليـا وبُـلُّوا لـهَـاتـهـا
فـخَيـرُ النَّـدى مـا سـحَّ وابلهُ نَـقـدا][1]

قال عيسى بن هشام : فارتاحَت الجَماعةُ إليه ، وانثالت الصِّلات عليه ، وقلتُ لّما تآنَسنا : من أين مطلعُ هذا البدر ؟ فقال :

اسـكـنـدريّـةُ داري لـو قَـرَّ فـيـهـا قـرَاري
لـكـنَّ لـيـلي بِـنَـجـدٍ وبـالـحـجـازِ نَـهـاري !

[المقامة البغدادية][2] :

وحَدَّثنا عيسىٰ بن هشام قال :اشتهيتُ الأَزادوأنا ببغداد ، وليس مَعي عقدٌ على نقد . فخرجتُ أنتهز مَحالَّةً ، حتّى أحلَّني الكرخ . فإذا أنا بسوادِيٍّ يقودُ بالجهد حِمارَه ، ويُطَرِّف بالعقدِ إزاره . فقلتُ : ظَفرنا والله بصيد ، وحَيَّاك الله أبا زيد ! من أينَ أقبلت ؟ وأينَ نَزلت ؟ ومتَى وافيت ؟ وهلُمَّ إلى البيت ! فقال السّوادي : لستُ بأبي زيد ، ولكنّي أبو عُبيد ! قال : فقلتُ : نَعم ! لعنَ اللهُ الشّيطان ، أنسانيكَ طُول العَهد ، [واتّصالُ البُعد][3] ، فكيفَ حالُ أبيك ؟ أشابٌّ كعَهدي أَم شابَ بعدي ؟ قال : [قد] نَبتَ الرّبيعُ على دِمْنته . فقلتُ : إنا للهِ ؛[4] ولا حَولَ ولا قُوّةَ إلا بالله ؛ ومَددتُ يدَ البِدارِ إلى الصّدار أُريدُ تمزيقه ، فقبضَ السّواديُّ على خَصري بِجمُعه ، وقالَ : نشدتُك الله لا مزّقتُه .

---

(١) زيادة عن المقامات .

(٢) ساقطة من الأصل . وانظر المقامات ص ٦٦ : وما بين معقوفتين في هذه المقامة كتاب المقامات .

(٣) ما بين معقوفتين من المقامات .

(٤) في المقامات : إنا لله وإنا اليه راجعون . ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم .

فقلتُ : هَلُمَّ إلى البيت نُصِبْ غداء ، أو إلى السوق نشترِ شواء [والسّوقُ أقرب ، وطعامُه أطيب] . فاستفزَّتْهُ حُمَةُ القَرمَ ، وعطَفَتْهُ عاطِفَةُ اللقَمَ ، وطَمِع ، ولم يعلَمْ أنه وَقع ! ثم أتينا شَوّاء يتقاطر [٦٢/ أ] شواؤه عرقاً ، وتتسايل جوذاباته مرقاً . فقلت : افرز لأبي زيدٍ من هٰذا الشّواء ، وزِنْ لهُ من تلك الحَلواء ، واختَرْ [لَهُ] من تلكَ الأَطباق ، وانضُدْ علَيها أوراق الرُّقاق ، وشَيئاً من ماءِ السُّمّاق ليأكله أبو زيدٍ هنيئاً[1] . فأنحى[2] الشّواء بساطوره على زُبدة تنّوره ، فجَعلها كالكُحل سحقاً ، وكالطَّحن دقّاً ، ثم جَلسَ وجلستُ ، ولا نَبَس ولا نَبست ، حتى استَوْفيناه وقلتُ لصاحب الحَلوى : زِنْ لأبي زَيدٍ اللوزينج رِطلين ، فهو أجرى في الحُلوق ، وأمرى[3] في العُروق . وليكنْ ليليّ العُمر ، يَوميّ النشر ، رقيقَ القِشر ، كثيفَ الحشو ، لؤلؤيّ الدُّهن ، كوكبّي اللَّون ، يذوبُ كالصَّمغ قبل المضَغ ، ليأكُلَه أبو زيد هَنيئاً . قال : فوزنه ، ثم قعَد وقعدْتُ ، وجرَّد وجَرّدت ، حتّى استوفيناه . ثم قلتُ : يا أبا زيد ، ما أحوجنا إلى ماء يشعشَع بالثلج ، ليقمع هذه الصّارّة ، وَيَفثأ هذه اللُّقَم الحارّة . اجلس يا أبا زيد حتّى نأتيك بِسقّاء ، يأتيكَ بشربةٍ من ماء[4] . ثم خرجتُ وجلست بحيث أراهُ ولا يَراني ، أنظرُ ما يصنع . فلمّا أبطأت عليه ، قام السواديّ إلى حماره ، فاعتلق الشوّاء بإزاره ، وقال : أين ثمن ما أكلت ؟ فقال أبو زيد : أكلته ضَيفاً [فلكمه لكمةً ، وثنّى عليه بلطمة ، ثم] قال [الشّوّاء] : هاك ، واك ، [و] متى دَعوناك ؟ زِن يا أخا القحبة[5]

---

(١) في المقامات : هنيّاً ؛ على التخفيف .

(٢) في المقامات : فانحنى .

(٣) في المقامات : وأمضى .

(٤) في المقامات : بشربة ماء .

(٥) في المقامات : القحة .

عشرين . فجعل السّواديُّ يَبكي لشانه ، ويحلُّ عقده بأسنانِه ، ويقول : كم قلتُ لذلك القُرَيد أنا أبو عبيد ، وهو يقول أنت أبو زيد . فأنشدت :

أعـمـلْ لـرزقـك كـلَّ آلـهْ لا تـقـعـدَنَّ بـكـلِّ حـالـهْ
وانـهضْ بِـكُـلِّ عـظيـمـةٍ فـالمرءُ يعجِزُ لا المحَـالـهْ[1]

ومحاسن أبي الفضل لا تنتَهي أو يُنْتَهى عنها . وقد عارضَه في هٰذه المقامات [٦٢/ ب] جَماعةٌ من الكُتّاب ، بما نزَّهتُ عن ذكرهِ هذا الكتاب !

* ومن الحِكايات المُختلقة[2] ، والأَخبار المُزورَّة المُنَمَّقة ،كتاب (كليلة ودمنة) وكتاب (القائف) لأبي العَلاء المعريّ ، وقد تكلموا فيه على ألسنة الحيوان ، وغيرِ الحيوان[3] .

[من كتاب « القائف » لأبي العلاء]

فمن كَلام أَبي العلاء على لسانِ الحَيوان النّاطق قوله : ومَن أجرى إلى غير مدىً كان مثَله مثل الشّيخ الجاهل لمّا سمع قول القائل :

* أَصْبَحَ عنّي الشَّبابُ قَدْ حُسِرا*[4]

قال : ما أَرى الشّباب إلّا قد ظعَن مع الظّاعنين ، لأَخرجنّ في طلبه .

---

(١) في أمثال العسكري (ص ١٩٣) المرء يعجز لا المحالة . وقال في شرحه : (يقول : إن المرء يعجز عن طلب الحاجة فيتركها ، ولو استمر على طلبها والاحتيال لها لأدركها فإن الحيلة واسعة ممكنة ، غير معجزة . والمحالة والحيلة سواء) . وأنشد :

حـاولـتُ حـيـنَ صَـرَمْـتـنِـي والـمـرءُ يـعـجـزُ لا المـحَـالـهْ

(٢) في الأصل : المختلفة ، وكذا صَوّبها في تعريف القُدماء بأبي العلاء .

(٣) في الأصل : ومن غير الحيوان .

(٤) في الأصل : متنكراً . وهو شطر بيت للربيع بن ضبع الفزاري ، وتمامه :

أصبحَ عنّي الشّبابُ قـد حُسِرَا إنْ يَنـأ عنّي فقـدْ ثَـوى عُصـرا

فسار حتّى لقيه رجلٌ فقال له : أعندك خبرٌ للشباب ؟ فقال : شَبابك أو شبَابُ غيرك ؟ قال : بلى شَبابي . قال : إنّه ذهَب مع أمس ، وأمس خلفك . فارجعْ وراءَك وأسرِعْ ؛ فلعلّك تُدركه . فرجَع الشّيخُ يعدو وراءه ، فَكُلمّا عَدا ازدادَ من أمسِ الشّبيبةُ بُعداً !

فصل : « حضَرت النَّملةَ الوفاةُ فاجتمعَ حَواليها النَّمل فقَالتْ نادِبَتُها : يَرحَمُكِ اللهُ مِن[1] شعيرةٍ مجَرورة ، وبُرَّةٍ ممطورة ، وآثارُ سفرة مَنشُورة . قالتْ لهنّ : لا تَجزعْنَ ! فقد ذَخرتُ عند اللهِ ذخيرةً مَنْ ذخَر مثلهَا جديرٌ بالرّحمة ، وذلك أنّي لم أسفكْ دَماً قطّ » .

فصل : «زعَمُوا أنَّ وَصَعاً[2] كان يُجاور حيّةً رَقشاء . فكان ذلك الوصع إذا فَرخَّ سَرتْ الحيّةُ لأكل فِراخه في الظَّلام ، في عامٍ بعدَ عام . والله يُجازي على الحَيف والإنعام . فقُضِي بتلكَ الحيّة أن كُفَّت في آخر عمرها فلزمت الوِجار لا تذعر النائي ولا الجار . فقال أحبّاؤُه : ألا تأتي الظالمة مُظهراً للشَّماتِ ؟ قال : لو كنتُ ، وهي المبصرة ، أقدرُ على ضَير [٦٣/ أ] لكنتُ إليها وشيك السَّير . فأمّا إذ كفَتْنِيها الأقضيةُ ، فإنّ عيني عَنها مُغْضِية » .

فصل : « عَمي أسدٌ من عَوامِّ الأُسد فأضرّ ذلك به . فقيل له : لو جئتَ ملك الأسد فسألته أنْ يصلك ، لكانَ ذلك رأياً لك . فذهب إليه وسرد قصته عليه . فقال لخازنه يُجري له في كلّ [يوم] عضواً مؤ ربّاً[3] . فقال الأسد الذي التمس الجراية : أصلح الله الملك ! إنّي كنتُ أصطاد الوَعِل والبَقرة الأهلية فلا أكاد أدرك بها الشّبع ، فأين مني هذا العُضو يَقع ؟ فقال

---

(١) في الأصل (أمن) على الاستفهام . وأظن الهمزة زيادة متوهمة من الناسخ .

(٢) الوصع : طائر صغير يشبه العصفور ، وفي الأصل : الوضع .

(٣) العضو المؤ رب : الموفر أي التام الكامل الذي لم ينقص منه شيء .

الملك : مَن اتّكل على كسبِ غَيره ، وجب أن يقتنع بقليل خيره . قال الأسد . صَدق الملك ، ولا حاجةَ لي بهذا العُضو . قال الملك : فما تَصنع ؟ قال : أجتزىءُ بنبتِ السَّحاب ، ولا أفتقرُ إلى الملكِ والأَصحاب » .

ولأبي العلاء المعري في كتاب (القائف) إحسانٌ مشهور ، وإبداعٌ كثير موفور . وهو أكثرُ من (كليلة ودمنة) وَرقاً ، وأفسح طلقَاً ، وأطيب شميماً وعبقاً .

فصل التوثيق

وعلم الوثائق ـ أكرمك الله ـ من أوكد ما لوى الكاتبُ إليه عنان اهتمامه ، وأعملَ فيه صفائح بنَانه ، وأسِنَّة أقلامه . إذْ هو من أجلّ العلوم خَطراً ، وأرفعِها قدراً ، وأحْمَدِها أثراً ، وأطيبها خَبراً . لا حظَّ في البَيان لمن لم يلجْ بابه ، ولا نصيبَ في الإحسان لمن لم يُحكم أسبابه . وقد نطق بفضلِه الكتاب ، وشهدتْ بصدقِه الألباب . قال اللهُ سُبحانَهُ : ﴿ **يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إلى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوْهُ** ﴾ **إلى قوله** : ﴿ **وَلْيَتَّقِ اللهَ** ﴾ .

فالواجبُ على من آتاه الله هـٰذه الفَضيلة [٦٣ / ب] ، وبَوَّأه هذه الدّرجة الرَّفيعة ، ألّا يبخلَ بما علّمه الله ، ولا يَخونَ مَن ائتمنه [1] وأنْ يستزيد خالقه من فضل نِعمه ، ويَستمدّه من جزيل كرمِه ، فهو المَليُّ بالتَّوفيق ، والهادي إلى سَواء الطريق . لا رَبّ غيرُه .

ومما يُستحب للكتّاب أن يعدلوا في هذا الباب عن اللّفظ المتحمَّل والمعَنْى الملبَّس المُشكِل ، إلى ما وضحتْ ألفاظُه ومَعانيه ، ولم تمترِ الأفكا على تبايُنها فيه .

---

(١) في الأصل : امتحنه ، وما أثبتناه أقرب .

وممّا يُرخّص لهمْ فيهِ أن يَعْتَمِدُوا على الألفاظِ المُبتذلة ، واللُّغات المتداوَلةِ المُستعملة .

وممّا يُرخَّصُ لهم فيه التَّكرارُ ، والتَّوكيدُ ، والتَّطويلُ ، والتَّرديدُ ؛ لأنّ ذلكَ أبلغُ في البَيان ، وأيقظُ لذي الغَفلة والنّسيان .

ومما يُستحبُّ أن يكون عالماً بالمحاضِر والسّجّلات ، مُضطلعاً بحمل الدَّعاوي والبَيّنات ، حافظاً لأحاديثِ الرَّسول ، مُتَفقّهاً في الفرائض والأصول ، حَسن الإيراد والقَبُول ، عارِفاً بِنُعوت الرَّقيق ، من أهل الحِساب والتَّدقيق .

ومما يُستحبّ للكاتب أنْ يَسُدَّ الذَّريعة إلى التّدليس . فلا يكتب من الرّقوق إلا في الجَيّد المَشقوق . ولا يستعمل من المداد إلاّ السّريع الغوص الشَّديد السَّواد . ولا يترك في أوَاخر السُّطور بيَاضاً ، ولا يفرق بين الحُروف أيضاً ـ فقد اتّضحت [1] حُجّة المُعاند بزيادةِ الحَرف الواحد ـ ولا يُسَوّي بين الحُرة والأمة بزيادة الكلمة .

ومما يُستحَبُّ له أن يحترز مما احتَرز منه حُذّاق الكُتّاب ، وتَحفَّظ منه أُولو الفِطَنِ [والألباب] [2] ، كقولهم : مئةٌ واحدة ، وألفٌ واحِدٌ ؛ خَوفاً من أن يلحق بإزاءِ التّاء ياء ونون ، فتَصير المئة مئتين ، والألف ألفين . فإذا قالوا : « واحدة » ، أمنوا ذلك ، ولم يَصِحّ لحق النّون هنالك . وكَتصريفهم في [٦٤/أ] أوّل الكلام المُقتضب وآخره ، خَوفاً من أن يُزاد في الكلام ما ليسَ فيه ، أو يضاف إلى المقال ما سَقط عنه ؛ إلى كثيرٍ مما يَشُقُّ تعدادُه ويطولُ استيعابُه وإيرادُه .

---

(١) في الأصل : اتضح .

(٢) في الأصل : وتحفظ لباب ، وهو من سهو الناسخ . .

ومما يجبُ على الكاتب أن يقدّم اسم من قدّمتْه كِفايَتُه أو عنايَتُه . وهذا أمر طالما حافظت عليه الكُتّاب ، وأنف منه أُولو الألقاب والأحساب . من ذلك قول أبي منصور الثعالبي في كتابه (اليتيمة) ، وقد ذكر الخالديين[1] فقال : وقد بدأتُ بملحِ شِعر[2] أبي بكر أكبر الأخويَن . ألا ترى إلى اعتذارِه من تقديمه اسمه ، وتَخريجه لذلك وجهاً يحسِّنه ؟

* وأخبرني الكاتب أبو الحَسن بن بَسّام قال : أمر أمير المسلمين ناصر الدين ـ رحمه الله ـ بكتاب عُقد بينه وبين مُحمد بن عَبّاد [3] في تأكيد الحِلف ، وإعطاء النصف ، لشؤون كان نقَمها أمير المسلمين من جَور سيرته ، وظُنونٍ أفضى إلى صحّتها من سُقم سريرته [4] . فلما انتهى العقد إليه ورأى تقديم أمير المسلمين عليه تطاول وأنف ، وردَّه إلا على تقديم اسمه . فقال أمير المُسلمين رحمه الله : خَيرٌ وضحتْ سبيله ، وانتهى إليَّ بذلك رسوله . ما شَعرْتُ سواءً تقدّمتُ في مثل هذا أو تأخرت ، إنّما نُريد إحكام الأمر لا تقدُّم الذّكر [5] .

قال مُنشيء الرِّسالة : هـذا كلام مَن اعتقد الدّار الفانيةَ عرَضاً ، واعتقد الدّار الباقية غاية وعِوضاً .

وكذلك يجبُ أن يُقَدِّم اسم من يجب تقديمه وإن وقع مفعولاً ، ويؤخّر [٦٤/ب] اسم من يجبُ تأخيره وإن وقع فاعلاً . ونظير هذا قول أبي العلاء[6] :

---

(١) سعيد بن هاشم (. . . ـ ٣٧١) ومحمد بن هاشم (. . . ـ ٣٨٠) أديبان شاعران من أهل الخالدية قرب الموصل ، لهما شعر ، ومن مؤلفاتهما : الاشباه والنظائر . (انظر الفهرست ١٦٩ ، إرشاد الاديب ٤ : ٢٣٦) ، وطُبع لهما (ديوان الخالديين) في مجمع اللغة العربية بدمشق .

(٢) في الأصل : أبدأت علم شعر ، والصواب من اليتيمة ١ : ٥٠٩ .

(٣) ورد ذكرهما من قبل .

(٤) في الأصل : من سقم سيرته ، ولعل ما أثبتناه أقرب للصواب .

(٥) في الأصل : لا يقدم ذكر .

(٦) البيت في سقط الزّند (٣ : ١٣٠١) من قصيدة يرثي بها الشريف الطاهر الموسويّ .

ساوَى الرّضيَّ المُرتضى وتقَاسما خُـطَط العُلا بتنـاصفٍ وتَصـافِ

فقدم اسمَ الرضيّ وإن كان مفعولاً ، لأنه كانَ أسنّ من المُرتضى ، وأعلى شعراً ، وإن كان قد أشار المُرتضى في كتاب (طيف الخيال) [1] إلى غير ذلك .

وقد رَاعى الفقيه الكاتب أبوعبد الله بنُ سليمان مثل هذا في عَقد عقَده بيني وبين والدي ، فقَدَّم اسمه وقد جاء مفعولاً ، وأخر اسمي وقد جاء فاعلاً . وأبو عبد الله هذا من مفاخر بلدنا في هذا الباب ، جامعٌ لِما تحتاج إليه الوثائق من المَعارف والآداب .

وعلى ذكره ، فأخبرني مخبر أن الفقيه القاضي أبا مروان الباجّي [2] رأى بعض الكتّـاب يومـاً يكتب إلى [3] أبي عبد الله في العنـوان : الفقيـه [الكاتب] [4] ، فقال لكاتب البطاقة : لا تقل الكاتب ، وقل : الموثّق . ولكلامه هذا ـ رضي الله عنه ـ وجهٌ ، ولم يخفَ عليه أن الله سبحانه

---

(١) الشريف الرضي أبو الحسن محمد بن الحسين كان نقيباً للطالبيين . شاعراً أديبا بارعاً (٣٥٩ ـ ٤٠٦) والشريف المرتضى أبو القاسم عليّ بن الحسين (٣٥٥ ـ ٤٣٦) تولى نقابة الطالبيين بعد أخيه ، وكان من الفقهاء العلماء وكان شاعراً أديباً . وهما من أدباء العصر ورجاله الكبار . ولهما مؤلفات كثيرة . ـ و (طيف الخيال) كتاب ألّفه الشريف المرتضى برسم أحد أصحابه تحدث فيه عن طيف الخيال وما مُدح به وما ذُمّ به وأحوال وما أنشد الشعراء . الخ . واستخرج فيه ما وجده في ديوان أخيه المرتضى من شعر من الطيّف (انظر الصفحة ٩٣ وما بعدها) . ولم أجد عبارة واضحة في أنه يجد شعر أخيه خيراً من شعره . فقد قـال (ص ٩٥) في هذا المعنى « إن العُنصر ـ أي في الشاعريتين ـ واحد والمعدن واحد وأيُنا سبق الى المعنى فالآخر بالنجر والسّنخ ـ أي الأصل ـ إليه سابق وبه عالق . . » (راجع كتاب « طيف الخيال » من سلسلة تراثنا ـ القاهرة ١٩٦٢ بتحقيق حسن كامل الصيرفي .

(٢) أبو الوليد سليمانُ بن خلف (٤٠٣ ـ ٤٧٤) ، من المحدّثين الفقهاء المشهورين في القرن الخامس . رحل الى المشرق وتنقل في البلاد ، وتولى القضاء في بعض أنحاء الأندلس ، ولأبي الوليد الباجي مؤلفات في الفقه والحديث والأصول وعلوم أُخرى .

(٣) في الأصل : « الى بعض الكتاب أبي عبد الله » وهو من سهو الناسخ

(٤) زيادة لازمة .

[سَمّى مثله كاتباً لقوله تعالى : ﴿ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كاتِبٌ بِالْعَدْلِ ﴾][1]، وكيف يَخفى عليه ذلك وهو العالِمُ الذي عليه الاعتمادُ ، الحافظُ ، الجامعُ لأدواتِ الاستنباط وآلاتِ الاجتهاد ؟ وقد شهدتُ له استنباطاتٍ من القرآن لو صَدرت إلينا من مثل أبي عِمران أو أبي بكر بن عبد الرحمن ، أو غيرهما من فُقهاء بغَداد وخُراسان ، لكُتبت بالذّهب وجُعل مكانها مع نيِّرات الشُّهب . ولكن كيف يُرغَب عندنا إحسانه ، وأزهدُ النّاس في عالم جيرانُه ؟ !

ويُستحب حمدُ الله سبحانه في استفتاح عقد النّكاح ، وربما اقتَضَبُوا ذلك ولم يمدُّوا أطناب الإطْنابِ هنالك . فقالوا : « الحمدُ لله حقّ حمده ، وصلى الله على محمدّ رسوله وعبده . هذا ما أَصدق [فلان] » . وربّما زادوا على هذا فقالوا : الحمدُ لله الذي هدى من الحَيرة ، وجعلَ الحلال جادعاً لأنفِ الغَيرة . وندَب إلى النّكاح ، وجعله كَفيلاً بالنّجاح ، وعوناً على الصلاح . وسخط لنا وأدَ البنات [و] لم يَرَ إنكاحهنّ من [٦٥/أ] الهِنات . وجعلَ لنا رسول الله ﷺ الأُسوة الحَسنة في ذلك ، فاتّبعنا ما سنَّ من السنن ، وسلكْنا ما نَهج من المسَالك . هذا ما أصدق فلان . . . » .

ويُستحب أيضاً في استفتاح الوَصايا ذكر التشهّد . قال مالك رضي الله عنه : ويُبدأ بذكر التّشهد قبل ذِكر الوصية . ولم يَرْو ابنُ القاسم [2] عنه فيه حَدّاً . وروى ابن وهب أن أنس بن مالك قال : كانوا يُوصون أن يشهد أن لا إلّه الا الله ، وأنّ محمداً عبده ورسولُه ، وأَوصى من يرثه أهله أن يتقوا الله ربهم وأَن

---

(١) ما بين معقوفتين زيادة تقتضيها سلامة العبارة . ولعل الكاتب الناسخ اضطرب فزاد بعض الكلمات وأسقط بعضها ، وقد تبلغ سطراً . والآية من سورة البقرة : ٢٨٢ .

(٢) هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم العتقي المصري ، حجّة فقيه . قال في شجرة النور الزكيّة : (٥٨) إنه أثبت النّاس في الإمام مالك وأعلمهم بأقواله ، صحبه عشرين سنة وتفقّه به وبنظرائه ، لم يَرْوِ واحدٌ عن مالك (الموطأ) أثبت منه . توفي بمصر سنة ١٩١ .

يصلحوا ذات بينهم وأن يُطيعوا الله ورسوله إن كانوا مؤمنين ، وأَوصاهم بما أوصى به إبراهيم بَنيه ويعقوب : ﴿ يا بَنيَّ إنّ الله اصْطَفَى لَكُمُ الدِّيْنَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إلاّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ . وأوصى إن ماتَ مِنْ مرضه هذا . . . ولممونّقين اليوم عبارةٌ غيرُ هذه .

ومن أَوكد ما انتخب له من الوثائق : اللّفظ الرَّائق والمعنى الفائق في العُهود التي يُكتب بها في تَولية القُضاة وتقديم العُمّال والوُلاة . وسأُثبت من ذلك فُصولاً حِسان المصَادر والموارد ، تكثُر بها على طالبِ الصَّنعة الفوائد ، وتَنثالُ منها القلائد الفرائد ، إنْ شاءَ الله تَعالى .

فصل يشتملُ على فُصولٍ لأبي إسحاق الصّابي من عُهودٍ له [1] :

هذا ما عَهِدَ به الأَمير [2] فلانٌ إلى فُلان حين اخْتَبر خلائقه ، واعتبر طرائِقَهُ ، وارتَضى مذاهِبَهُ ، وأحمد ضرائبه ، ووثق بحسن دينه ، وسكن إلى صحة يقينه ، وأَنِسَ منهُ الرَّشاد ، وعرفَ منه السَّداد ، وامتحَنَهُ على الأَيام ، واختبره في ولاية الأحكام . فوجده في كل عمل وكُل إليه ، وسهم اعتمد فيه عليه نافذَ البصيرة ، مستمرّ المريرة ، ناهضاً بالمُعضل ، كاشفاً للمُكرب المُشكل . سالكاً طرق الأبرار ، منتهجاً سُبل [٦٥/ب] الأخيار . قيِّماً بحقّ الله وأمرِه ، مُراقباً له في سِرِّه وجَهْرِه ، مُقَدِّماً طاعته في قوله وفعله . لم

---

(١) في الأصل : من شيء عهود له .

(٢) وردت معظم فقر هذا الفصل في كتاب أنشأه الصابي في نسخة عهد إلى القاضي أبي بكر محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن قريعة ، عن المطيع لله لما قلده القضاء بجند يسابور . (انظر المختار من رسائل الصابي ، الجزء الأول ص : ١٤٢ ، بتحقيق شكيب ارسلان ـ المطبعة العثمانية ـ لبنان ـ سنة ١٨٩٨) واللفظ مقارب غالباً ، غير مطابق دائماً . ويلاحظ أن الفقر الواردة في (المختار) من هذه الرسالة غير متتابعة على نسق ما عندنا في هذا النص .

تُعرف له زلة ولم تُذمَّ منه خُلة . ولم يفارق حميدَ السجيّة ، ولم يَحِدْ[1] عن المذاهب الرضية . فاعتدّه الأَمير[2] في ثقاة رجاله ، وكفاة عماله . فقلَّده الحكم بمدينة كذا [3] وأعمالها مُجتهداً رأيه في اختياره ، ذاهباً إلى الصّواب في إيثاره . والله يحسن للأمير الاختيار ، ويمدُّه بالتوفيق في مجاري الأقدار . ويجلّي بآرائه عن الصّلاح ، ويُفضي بأنحائه إلى النّجاح . ويُعينه على ما يَنويه من حُسن السِّيرة ، ويعتقدُه من إصابة المعدلة . وما توفيق الأَمير الا بالله ، عليه يتوكل وإليه ينيب .

وأَمره بتقوى الله العَظيم مَظهراً وَمبطناً، وخيفته مَسّراً وَمعلناً ، فإنها الحِصْنُ الحَصين ، والملجَأُ الأمين ، والعصمةُ من نزغات الشيطان المؤذية ، ودَواعي الأهواء المُردية ، وأفضل العتاد وخير الزاد في الآخرة ، من تمسَّك بهما أقامتاه على سبيل الهدى ، ويمَّمتا [به][4] الطريقةَ المُثلى ، وسلكَتا به محجَّة النجاة ، واستنقذتاه [5] في الحياة . والله جلّ اسمُه يقول : ﴿ **إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِيْنَ اتَّقَوْا والَّذِيْنَ هُمْ مُحْسِنُوْنَ** ﴾ [6] .

وأَمَره أن يُواظِبَ على تِلاوةِ القُرآن ، مُتَفَهّماً آياتِهِ ، مُعلماً ببيناته ، ممتثلاً أوامره الرّشيدة ، مذكّراً مواعظه السديدة ، آخذاً بعزائمه المبرمة ، عاملاً على فرائضِه المُحكمة . فإنّه مَحجة الله الواضِحة ، وحُجّته اللائحة ، وحكمتُه الباهرة ، وبَيِّنته الظّاهرة ، وينبوع العلم ومَعدِنُه ، ومقرُّ الحكم ومسكنه ، وكاشف

---

(١) في الأصل : يهد ، والصواب من (المختار من رسائل الصابي) .

(٢) في الرسائل : امير المؤمنين . وكذا كل موضع في ذكر (الأمير) .

(٣) في الرسائل : في جند يسابور ، مضافاً إلى ما يتقلده من باقي كور الأهواز .

(٤) زيادة عن الرسائل .

(٥) في الأصل : واستنقذاه .

(٦) « سورة النحل » : ١٢٨ .

الشّبهات إذا التبست ، ومُوضحُ البَيِّنات إذا طُمست . وهو عمودُ الدّين ، ومنهاجُ الصّدق ، وبشير الثواب ، ونذير العقاب ، والكاشفُ لما استبهم ، والمنوِّر لما أظلم ، والمُنجي من الضّلال ، والخصم الغالب عند الجدال ، [٦٦/أ] ﴿ لاَ يَأْتِيْهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلفِهِ تَنْزِيْلٌ مِنْ حَكِيْمٍ حَمِيْدٍ ﴾ .

وأمره بدراسة سِير [١] رسول الله ﷺ ، وتعهُّد أحاديثه ، وأخذِ الروّايات من حيث يَسلم ورودها ، والتماسها من حيث شهودها . منتهياً إلى حُكمه ورِضاه ، مقتدياً [٢] بخلائقه وسَجاياه . فإنه ـ عليه السّلام ـ الذي يَدعو إلى الهُدى ، ولا ينطقُ عن الهوى ، ويَدُلُّ على المحجَّة [٣] الوسطى . فمن ائتمرَ لأوامره غَنم ، ومن ارتَدع لزواجره سَلم . وقد قَرن الله طاعته بطاعته ، وجعل العَمل بقوله كالعمل بكتابه . قال جلّ جلاله : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ، واتَّقُوا الله إنّ اللهَ شَدِيْدُ العِقَابِ ﴾؟[٤] .

وأمره بمجالسةِ أهل الدين والعِلم، ومُدارسة أهل الفقهِ والفَهم ، ومشاورَتِهم ومُفاوضتهم ومُذاكرتهم ، ومُحاضَرتهم [٥] فيما يقرّره وَيُمضيه ، والأخذ من رأيهم بما يُنيره ويُسديه . فالشُّورى لقاحُ العُقول ، والمباحثة رائدُ الصَّواب . واستظهارُ المرءِ على رأيهِ من عَزمِ الأُمور ، واستنارتُه من عقلِ أخيه من حَزم التّدبير . وقد أمرَ الله سبحانهُ بالإستشارة أكرمَ الخلقِ لُبابة ، وأولى البشَر بالإصابة . فقال في كتابه الحكيم لرسوله الكريم الذي نزَّه أعمالَهُ عن

---

(١) في الرسائل : سنن .

(٢) في الأصل : مقتضياً ، والصواب من الرسائل .

(٣) في الأصل : الحجة .

(٤) « سورة الحشر » : ٧ .

(٥) في الأصل : ومحاوضتهم .

الزَّلل وهذّبَ أفعاله من الخَلل : ﴿ **وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ؛ فإذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ، إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُتَوَكِّلِيْنَ** ﴾[1] .

وأمره بفتح الباب ورَفع الحجاب ، والبُروز للخُصوم واتصّالهم إليه على العُموم . وأن ينظُرَ بين المُتحاكمين بالسويّة ، ولا يَخلُو بخصمٍ ، ولا يُحابي [2] في حكم . فلا يفضِّل خصماً على صاحِبه في حظّ ولا لفظ ، ولا يُغريه عليه بقولٍ ولا فعل . إذْ كانَ ـ جلَّ جلاله ـ قد جعل هذا الحكم سَنن الحق ، وميزان القِسط ، وسبيلَ العَدل في القبض والبسط . يُسوِّي فيه بين الدنيِّ والشريف ، ويأخذ به من القويّ للضّعيف . ولم يجعل فيه مَزيّة لغنيّ على فَقير ، ولا لكبير على صغير . قال الله سبحانَهُ : ﴿ **إنْ يَكُنْ غَنِياً أَوْ فَقِيْراً فاللَّهُ أَوْلى بِهِما . فَلا تَتَّبِعُوا الهَوَى أنْ تَعدِلُوا . وإنْ تَلْوُا أَوْ تُعْرِضُوا فَإنَ اللَّهَ كانَ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً** ﴾[3] .

[٦٦/ب] وأمره أن يُراعي الصّلوات ، ويَدخل فيها بالأهبات ، ويُحافظ على مُراقبتها ، ولا تَقطعه [4] القواطعُ عنها ، ولا تَعترضه العوائقُ دونها ، بل يُفرغ لها قلبه ، ويَشغل بها لبَّه ، ويصرفُ إليها خاطره ، ويَقصر عليها جهده . ويؤدِّي السّجود والركوع ، ويدَّرع الإستكانة والخضوع . ويُناجي ربه ضارعاً ، ويسأله العفو خاشعاً ، ويقوم به [5] طويلاً ، ويرتّل القُرآن ترتيلاً . فإنّ الصّلاة حظُّ آخرة المؤمن في أُولاه ، وعُدَّة مقدمه لأُخراه . فمتَى

---

(١) آل عمران : ١٥٩ .

(٢) في الأصل : يجافي .

(٣) « سورة النساء » : ١٣٥ .

(٤) في الأصل : يقطعة .

(٥) كذا في الأصل . والعبارة تستوحي من أول سورة المزمل : ﴿ **يا أَيُّهَا المُزَّمِلُ . قُمِ اللَّيْلَ إلاّ قَلِيلاً . نِصْفَهُ أو انقُصْ منهُ قَليلاً . أوْ زِدْ عَلَيهِ وَرَتِّلِ القُرْآنَ تَرْتِيلاً** ﴾ الآيات ١ ـ ٤ .

أضاعها وأهملها ، وقَصَّر عنها وأغفلها ، قطَع الله عِصمته ، وحرَمه رَحمته ، وأوجبَ له أليمَ عذابِه ، وحتَم عليه شديدَ عِقابه . وقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ (١) .

وأمره إذا ترافع إليه مُتحاكمان ، وتنازع لديه مُتخاصمان ، أن يطلبَ الحكم بينهما في نصّ الكتاب . فإن عَدِمه هناك التَمسه في سُنة الرسول ﷺ . فإن فقده من السُّنّة القويمة ، والآثار الصَّحيحة السليمة ، ابتغاهُ في إجماع المسلمين . فإن لم يجدْ فيه إجماعاً اجتهدَ برأيه ، وحكَّم في الحادثة أشبهِ الأحكام بالأُصول عنده ، بعدَ أن يبلغ الوسُع في التحرِّي ، ويستنفد الطاقة في النظّر والتقصّي (٢) . فإنّه من أخذ بالكتاب اهتدى ، ومن اتبع السُّنة نجَا ، ومن تمسَّك بالإجماع سَلِمَ ، ومن جَهد رأيه عُذِر ﴿ وَاللهُ يَقُوْلُ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ (٣) .

وأمره بالتثبُّت في الحدود ، والاستظهار فيها بتعديل الشُّهود . وأن يحترس من عَجل يُرهق الحكْمَ عن الموضع (٤) الصّحيح ، أو ريْثٍ يُرجئه عن الوُضوح ، حتى يقفَ عند الاشتباه ، ويُمضي لدى الإتجاه ، بالبيّنات ، ويَدرأ بالشبهات . ولا تستخفَّه عَجلةٌ إلى بريء ، ولا تأخذَه رأفة بمسيء . فإن الله ـ جَلَّ اسمهُ ـ سَمّى هذا الضّرب من الأحكام حُدوداً تضييقاً فيه ، وإكباراً لتعدّيه ، [٦٧/أ] وجَعله من معالم الحكم ، ونسَب من تجاوزه إلى الظُّلم ، وبئس الاسم . فقال جلَّ وعز : ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُوْدَ اللهِ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٥) .

---

(١) « سورة النساء » : ١٠٣ .

(٢) في الأصل : والمقتضى .

(٣) « سورة الأحزاب » : ٤ .

(٤) في الرسائل : الموقع .

(٥) « سورة البقرة » : ٢٢٩ .

وأمره أن يتصفَّح أحوال مَن يشهد عنده ، فيقبل منهم من ظَهرت له العَدالة ، وعُرفت منه الأصالة ، وكان وَرِعاً في دينه ، حَصيفاً في عقله . من أهل التحرُّز والتحفظ ، ظاهر الحرز والتيقظ . بعيداً عن السهو والزلل ، طيباً بين الناس ذكره ، مَشهوراً فيهم خيرهُ . منسوباً إلى الفقه والطَّلب ، مَعروفاً بالنَّزاهة والأنف . بريئاً من شَين الطمع ، سليماً من الحِرص والجَشع . فإن هذه الطائفة حُجّة الحاكم فيما يُحكم ، وطريقه إلى ما ينقض ويُبرِم . فمتى أعذر في ارتيادهم كان مَعذوراً في الحكم بشهاداتهم [1] - وإن اختَلفُوا - . ومتى عَذَّر في تنقادهم كان مَلموماً في سَماعِ أقوالهم - وإن صَدقُوا - ؛ لأنّ على الحاكم أن يعتام [2] من أهل الثقة والأمانة ، والفقه والصيانة حَرَساً على باطنهم من ظاهرهم ، ومخيلةً لخفائهم من باديهم . والله وحده يبلُو السرائر ، ويعلم الضمائر . وقال الله عز وجل للحاكم : ﴿ **مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ** ﴾ [3] . وقال في الشهود : ﴿ **سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُم وَيُسْأَلُوْنَ** ﴾ [4] .

وأمره أن يختار كاتباً عالماً بالمحاضر والسجلات ، مضطلعاً بعلم الدَّعاوى والبينات ، قيِّماً على حفظ الشروط ، عارفاً بكتب العهود [5] ، وحاجباً يُنهي إليه ما دونَ بابه من الأمور ، ويَصدقه عمن أمَّه من الخُصوم . فلا يَتْوَى خلقٌ لديه بالإرجاء [6] ، ولا يَيأس ذُو بيِّنةٍ بالإحتجاب والإستياء . وأن يجعلهما جَميعاً ممن لا تلحَقُه استرابة [7] ، ولا تُنسب إليه

---

(١) في الأصل : بشهداتهم . والصواب من (المختار من رسائل الصابي) .

(٢) اعتام : اختار

(٣) « سورة البقرة » ٢٨٢ .

(٤) « سورة الزخرف » : ١٩ .

(٥) في الرسائل : العقود .

(٦) في الرسائل : (فلا يتوى حق بإرجائه إياه) والتوى وزان الحصى : الهلاك .

(٧) في الأصل : الإسترابة .

مَعابة ، ولا تَناله ظِنّة ، ولا تتعلق به تُهمة ، ولا يُزَنّ بنطفة [1] ، ولا يُنسب إلى شِرّة . فإنّ حاجبه وجهه ، وكاتبه لسانه . وهُما من أقرب الظهراء ، وأدنى النُّصحاء ، وأولى الأصحاب أن ينفع رشاده ويضر فساده . قال الله عز وجل : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ والتَّقْوَى ، وَلاَ تَعاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ، واتَّقُوا اللَّهَ إنَّ اللَّهَ شَدِيْدُ العِقَابِ ﴾ [2] .

[٦٧/ب] وأمره أن يُمضي الأحكام التي سَبقه بها الحُكّام ، ولا يَرُدَّ قضيةَ قاضٍ تقدَّمه إلا أن تكون خارجةً عن الإجماع ، وغيرَ مرجوع فيها إلى أثر من أقوال المُختلفين من أئمة الفقهاء المتَّبعين ؛ وينقض منها ما أجمع أهل الفُتيا على خلافه ، ولم يكن فيهم ، على تَباين مذاهبهم ، قائل به . قال الله جل اسمه : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُوْنَ ﴾ [3] .

وأمره أن يُعطي الأمان مَن عاذَ بهِ ، ويبذل السّلَم لمن ألقى بصفحه إليه . [و] يعتقد الوفاء فيما يَشترطه ، والقيام فيما يعقد ، والصدق فيما يخبر ، والإنجاز بما يَعد . وألاَّ يخفرَ ذِمّته ، ولا ينقض عهده ، ولا يكذب قوله ، ولا يخرب أمانته . وأن يقوم بما يعقده الرّجل من المسلمين ؛ فإن ذمته ذمة جميعهم . قال الله سبحانه : ﴿ وإنْ أَحَدٌ مِّنَ المُشْرِكِيْنَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ ﴾ [4] . قال رسول الله ﷺ : « المُسلمونَ تَتكافأُ دِماؤُهم ويسعى بذمتهمْ أدناهم وهم يدٌ على مَن سواهم » [5] . وفي حُسن الوفاء تسكينٌ للنافر ، وتألُّفٌ

---

(١) في أساس البلاغة : ما به نطف (أي ما) به تلطخ بالعيب والفساد .

(٢) « سورة المائدة » : ٢ .

(٣) « سورة المائدة » : ٤٧ .

(٤) « سورة التوبة » : ٦

(٥) ورد الحديث في الورقة ٢٦/ب .

للأعداء وجمعٌ للأهواء ، واستعطافٌ للقلوب ، وتفرُّبٌ إلى النفوس . وقد قال عز وجل : ﴿ وإنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فاجْنَحْ لَهَا وَتوكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾[1]

وأمره أن يعرض من تحويه المحابس من المتّهمين والجُناة ، ويستظهر بنظره على من سجَنه من الولاة . فمن استوجب حدّاً أقامه عليه ، ومن اعترض أمره شبهة دَرأ الحدَّ عنه ، ومن استحقّ تعزيزاً اجتهد في قدر ما يَستصلحه . ويحبس من كان الحظ في حبسه ، فيكفيه بالحبس شرَّ نفسه . ومن كان بريء الساحة خلَّى سبيله ، ولم يطلق يداً بظلم عليه . قال الله سبحانه : ﴿ وَلاَ تَعْتَدُوا إنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ ﴾[2] .

وأمره بالاحتياط على من يَجدّ من نواحيه من الآفاق ، وتعرُّف أوطانهم وردهم إلى مِلاكهم ، والإحتفاظ بالضوالِّ وإنشادها[3] ، وأن تكونَ أصحابها مَقْصُورةً وعَمّن سواهم مَحْظُورة . قال الله عز وجل : ﴿ إن الله يأمُركُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إلَى أَهْلَها ﴾[4] .

[٦٨/أ] وأمره أن يرفع عن الرعية ما شَرعه شِرارُ العُمّال من سَنِّ الظلم ، وسير الغشم ، وأحدثوه من الرسوم الباطلة ، رطرقوه من المعاملات الجائرة . ولا يَستعمل عليهم عاملاً إلا (بأمن ؟) ولا يُدخل عليهم (داخلاً ؟[5]) إلا بإذن ، ولا يسخّر حمولة ، ولا يحمي مَرعى ، ولا يَعترض جلبا ، ولا يَهيج سَواماً ، ولا يكلِّفهم علوفة ولا زاداً ، ولا يلزمهم ميرةً ولا

---

(١) « سورة الأنفال » : ٦١ .

(٢) « سورة البقرة » : ١٩٠ .

(٣) أنشد الضالة : عَرّفها ودلّ عليها .

(٤) « سورة النساء » : ٥٨ .

(٥) (بأمن ؟) رسمت في الأصل قريبة من (بأجر) و (داخلاً) كلمة مقدّرة . ومكانها رسم كلمة مبهمة .

مَغرماً ، ولا يُطالبهم بضريبةٍ ولا مَكس ، ولا يشغلهم عن تجارة ولا مهنة . ولا يأخذ حاضراً بغائب ، ولا بريئاً بمتّهم . ولا يطلبَ صحيحاً بسقيم ، ولا يكلفه جريرة أَخٍ [1] ولا حميم . قال الله عز وجل : ﴿ **وإِبْرَاهِيْمَ الذِّيْ وَفَّى ، أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى** ﴾[2] .

هذا عهدُ الله ـ أيها الأمير ـ إليك ، والحجَّةُ لك وعليك . لم يألُك وَعظاً ، ولم يدّخِرْكَ حَظاً . هذا كفيلُك بالحُجّة إن اتبعته ، وخصمك الألدّ إن ركبته . وهاديك إلى طريق الرشاد ، ونادِيكَ إلى سبيل السداد . وقد أعذر الأمير فيه وأنذر ، وبصَّر وحذَّر . فكنْ عند ظنِّ الأمير بك ، وأَوفِ على تقديره فيك . فإنه اختارك على علم وبصيرة ، وقدَّمك عن فكرةٍ ورَوِيّة . فاجعلْ وصيته أمامك ، وقدِّم هدايته قدّامك . واتّبع أمره في تدبيرك ، [واسمع][3] قوله في أُمورك . وطالِعْه فيما أشكل عليك مطالعة المُستعلم ، وأَنهِ إليه إنهاء المُستفهم . ليصدر إليك من رأيه ما تَحتذيه ، ويرد عليكَ من عزمه ما تَقتفيه ، إن شاء الله » .

وذكرنا هذا العهَد على طُوله لبراعةِ فُصوله ، وصحة فروعه وأصوله . وهو مما يجب أن يُحتذى عليه ، ويُفزَع في الإهتداء والإقتداء إليه . وسأذكرُ مما أثبتناه لأنفسنا في كتاب (السَّجع السلطاني)[4] نسخة عهد ، أولها : [٦٨/ ب] .

---

(١) كلمة (أخ) رسمت في الأصل هكذا (آخر) .

(٢) « سورة النجم » : ٣٨ .

(٣) في الأصل : وانح ، ولعل ما اثبتناه أقرب .

(٤) قال المؤلف في الورقة ٢/ أ ـ ٢/ ب : (ثم حملني ـ أعزك الله ـ ما جرى في هذا المجلس من الكلام ، وما وجدت له في نفسي من الكلام على تأليف كتاب على مثال السجع السُّلطاني لأبي العلاء المعري . . .) .

كتابُ عهدٍ مُطاع ، عَهِدَ به أميرُ المؤمنين[1] إلى عامّة رَعاياه المُطيعين :

« بعد إطالةِ الاستخارة فيمن يَصلح بعده للإمامة والإمارة ، استظهر فيه مع ما أعطاه الله من حِق الرياسة وحسن السياسة ، ورزقه من فضل الحاسة وصدق الفراسة ، بآراء العُبَّاد والقضاة ، وغيرهم ممن يضع اسمه أسفل هذا العهد من الفُقهاء والولاة . لم يرضَ -رضي الله عنه- لهذه العِصابة أن يُضرب دونها بسهم الإصابة ، بل أوطأهم من مجلِسه العالي مأمنهم ، وجعَل الأُمور شُورى بينهم فنظروا بعينِ الحقيقة من يلي تدبير هذه الخليقة . فاتفقتْ أهواؤهم ، وأجمعتْ قبائلهم وأحياؤهم على تقديم وليِّ عهدِ المُسلمين : فلان ابن أمير المؤمنين ، لِما عرفوه به من كونه في المهد إلى عقد هذا العهد ، من حُسن السيرة وطيب السَّريرة ، وكريم الخلائق وحميد الطرائق . ومن كان أمير المؤمنين له والداً ، فلا عَجب[2] أن يوجد راشداً ويُلفى[3] ماجداً . ومن كانَ رسول الله ﷺ له جَدّاً ، فلا غروُ أن يفوق مَجداً ، ويطيبَ وفاءً وعهداً .

ولمّا رأى أمير المؤمنين ما أجمعّ عليه الدّاني منهم والقاصِي ، رجَا أنْ يكون القحطانّي الذي حدّث به عَبد الله بن عمرو بن العاصي . فخلَع عليه رداءَ الإمامة ، وألقى إليه مقاليدَ الخِلافة ، ونصَب له سرير الرِّياسة ، وعصب به التَّدبير والسّياسة ، وقلده عهده ، وألقى إليه الأمر بعده ، غير مقتنع باختيارهم دون اختياره ، ولا مجتزىء باختبارهم دون اختباره . بل توقّى أن تصحبه في البنوَّة فتنة . أو تطمح به من الأُبوَّة شجنة . فتخليه أجنبياً . وتَصورَّه

---

(١) المعروف عن أمراء المرابطين أنهم تلقبوا بـ (أمير المسلمين) .

(٢) في الأصل : فلا عجباً .

(٣) في الأصل : يلقى ، بالمثناة .

من بعض[1] الناس ، فوجد النصَّ فيه مطابقاً [٦٩/ أ] للقياس . فحينئذ أنفذ هذا العهد وأمضاه ، وانتضاه صارماً في يمين الإسلام وارتَضاه . وسوَّغه طريف المُلك وتليده ، وألقى إليه تقليده من رأى تقليده . وأوصاهُ بالتّقوى ما ترضّى له حبلَ البقوى[2] . وأمره بالإجتهاد في عِمارة سبيلِ الجِهاد ، فهو رأسُ الإسلام وأُسُّ الإبرام ، وفيه قوامُ الحال ، وإرضاءُ[3] ذي الجَلال والإكرام . فلاَ يلوي عن الكفر أعنّته ، ولا يزجرُ عن أعداء الله الفَجرة أسِنَّته ﴿ حَتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صاغِرُوْنَ ﴾[4] . لم يشترط أمير المؤمنين في عهده هذا مثَنويّة ولا خياراً ، بل بَتلهْ[5] وأجازَه سِرّاً وَجِهاراً . وأعطاه على الوفاء به من عهد الله وميثاقه ، وذمة محمد نبيه ﷺ ، وذِمَم آله والخلفاء الراشدين آباء أمير المؤمنين وأقربائه ، وذمّة نفسه بأن لا يبدِّل ولا يغيِّر ولا يُدالس ولا يُدَلِّس . وأشهدَ الله وملائكته ومن حضر على ذلك ، وكفى بالله شهيداً .

وهو ماضي الفعل جائز القول في شَهر كذا من سَنة كذا . مِمّن[6] أشهده وليُّ عهد المسلمين ، وفقّه الله وأيده ، على التزام ما ألزمه أمير المؤمنين وقلدَّه . وذلك في التّاريخ » .

فصل التأليف

التأليفُ ـ أعزك الله ـ غيرُ موقوفٍ على زمَان ، والتصّنيفُ ليس بمقصورٍ

---

(١) في الأصل : من بعد .

(٢) لم تنقط الباء من الكلمة في الأصل ، ولعلها كما أثبتنا .

(٣) في الأصل : ارض .

(٤) « سورة التوبة » ٢٩ .

(٥) في الأصل : بثله ، بالمثلثة . وبتله ـ بالمثناة ـ : أبانه وأوضحه . والمثنويّة : الاستثناء .

(٦) في الأصل : فمن .

على أوان دونَ أوان . لكنّها صِناعةٌ ربما نُصرت، فيها سوابق الأفهام ، وصَفواء ربما زلّت عنها أوهام الأقدام . ومن أمثالهم : « من صنّف كِتاباً فقد استهدف ، فإن احسن فقد استعَطف ، وإن أساءَ فقد استقذف » .

وربّما زَعم بعضهم أن ذلك طريقة لا تُسلك في كل زمان ، وعِنان لا يُملك في كل الأحيان ، ومُضغةٌ لا تُلاك في كلّ أوان . وفي ردِّ ذلك وإنكاره يقول أبو الحسن بن فارس[1] قحب مجمل اللّغة[2] : ومن ذا الذي حَظر[3] على المتأخر مضادّة [٦٩/ ب] المتقدّم ، ، ولِمَ يأخذُ[4] بقولِ من قال : لم يَترك الأول للآخر شيئاً ؛ ولا يأخذ[5] بقول القائل : كَم تركَ الأول للآخر ؟ وهل الدُّنيا إلّا أزمان ، ولكل زمانٍ منها رجال ؟ وهل العلوم بعد الأصول المحفوظة إلا خطرات الأوهام ، ونتائج العقول ؟ ومَن قصر الآداب على زَمانٍ معلومٍ ، ووقفَها على وقتٍ محدود ؟ ولمَ لا ينظر الآخر نظر[6] الأول حتى يؤلّف مثلَ تـأليفـه ، ويجمـعَ مثـل جمعـهِ ، ويـرَى في كـلّ ذلـك مثـل رأيـه ؟ ومـاذا[7] تقول لفقهـاء زماننـا إذا نزلتْ بهم نـوادر[8] الأحكـام نـازلـة لم تخطر لهم على بالَ من كان قبلهم ؟ أو ما علمتَ أنَّ لكلِّ قلب خاطراً ، ولكلّ خاطرٍ نَتيجة ؟ وَلِمَ جازَ أن يُقال بعد ابي تمام مثل شعره ، ولم يَجزْ أن يؤلِّف

---

(١) سبقت الإشارة إلى ابن فارس ، ومن كتبه : معجم مقاييس اللغة المعروف اختصاراً بالمقاييس ، والمجمل ، ولم يذكره محقق المقاييس بغير (المجمل) . وهو عند الكلاعّي « مجمل اللغة » كما ترى . (انظر مقدمة مقاييس اللغة ١ : ٣٥)

(٢) مقالة ابن فارس في يتيمة الدهر (٣ : ٢١٤ ـ ٢١٦) كاملة ـ وقد اجتزأ الكلاعيّ منها .

(٣) في الأصل : حَطّ .

(٤) في اليتيمة : له تأخذ .

(٥) في الأصل : ولم يأخذ ، وفي اليتيمة : وتدع .

(٦) في اليتيمة : كما نظر .

(٧) في اليتيمة : وما .

(٨) في الأصل : نواذر ، بالمعجمة .

مثل تأليف ؟ ولمَ حجَّرتَ واسعاً ، وحظرت[1] مُباحاً ، وحرَّمت حلالاً ، وسَددت طريقاً مسلوكاً[2] ؟ ولو اقتصر الناس على كُتب القدماء لضاع علمٌ كثير ، ولذهبَ أدبٌ غزير ، ولَضلَّت أفهام ثاقِبة ، ولَكلَّت ألسنُ لَسِنة . ولَما توشَّى أحد لخطابة ، ولا سلك شِعباً من شعاب البلاغة . ولَمجّت الأسماع كل مردَّد مكرَّر ، ولَلفظت القلوب كلّ مرجَّع .

[ضروب التأليف]

* والتّواليف تنقسم على أقسام : منها ما أقلُّ فضيلته حُسن الإختيار الذي عليه المَدار . وفي ذلك يقول بَعضهم : اختيارُ المرء أشدُّ من نحت السِّلام . وقالوا : اختيارُ المرءِ وافرُ عقله ، وزائدُ فضله .

ومنها ما فضيلتَهُ جمعُ ما افترق ، مما تنَاسب وافترق .

ومنها اختصارُ الطّويل في اللَّفظِ القليل .

ومنها رَدُّ القصير في معرض الطويل الكثير .

ومن هذا الفنّ شرحُ معاني الأشعار . وقَلمّا يخلو قارئُ هذا الباب من مُتعقِّب[3] ، لأنّ كلاً يشرح البيت بما يميل إليه طبعه ، وتحتمله قريحته . ولهذه العلة [٧٠/أ] يعمد الجِلَّة إلى شرح لغاتِ أشعارها دون مَعانيها .

ومنها ما يعتمد فيها المؤلّف على فكره ، ويغترفه من بحره . كمؤلفات أبي العلاء التي تميَّز بها في طبقات العلماء .

---

(١) في اليتيمة : جطرت ، بالخاء المعجمة .

(٢) أسقط المؤلف عدة اسطر من النص .

(٣) في الأصل : متعقبا .

[من كتب أبي العلاء]

فمن كُتبه في النَّثر : كتاب القَائف ، وكتابُ (الصّاهل والشاحِج) ، وكتابٌ شَرح فيه لغته سماه بـ (لِسان الصَّاهل) ، وكتاب : (الفُصول والغَايات في تمجيد الله والعِظات) ، وكتاب (السِّجع السلطاني) ، وكتاب (خطبة الفصيح لثعلب) ، وكتابٌ شَرحَ فيه لغته .

وله من الرسائل التي لها بال : (رسالة الفِلاحة) و (رسالة الغُفران) و (رسالة الجِنّ) و (رسالة النّكاح) و (رسالة الإغريض) و (رسالة المَنيح) .

وله من التواليف في النَّظم كتاب (سقَط الزند) . وله كتاب شرح فيه لغته وسماه بـ (ضَوء السّقط) . وهذه تسميةٌ لطيفة شريفة ، وإنما شرح اللّفظ وترك المعنى للعلة التي قدّمنا ذكرها . وله كتاب (لزوم ما لا يلزم) . وله كتاب (الاستغفار) ، وكتابُ (جامِع الأوزان) .

وممّا لم يغترفه من بحره ، ولا اعتمد فيه على نظمه ولا على نثره : كتاب (ذكرى حَبيب) ، وكتاب « في شِعر أبي الطيب » ، لم يَبْلُغني ولا رأيته . إلى غير ذلك من التواليف التي لم تصل الينا ، ولا ورد ذكرها علينا [1] .

[من كتب الثّعالبي]

* وكان أبو منصور الثعالبي حَسن التأليف ، مطبوعَ التّصنيف . وتآليفه حِسان المصادر والموارد . ولكنْ [لم] [2] يَسلك فيها مسلك أبي العلاء ، إلا

(١) انظر في سيرة أبي العلاء المعري وكتبه (الجامع في اخبار أبي العلاء) لمؤلفه المرحوم الاستاذ محمد سليم الجندي ، الذي نشر في المجمع العلمي العربي بدمشق ، بتحقيق الأستاذ عبد الهادي هاشم، وانظر BROCK. I. 252 — BROCK.5.I. 454.

(٢) ما بين معقوفتين زيادة يقتضيها السياق .

في واحد أجرى ذكره أبو الحسن بن بسام في كتاب الذَّخيرة ، وذكر لهُ فيه من حُرِّ النظام وبديع الكلام ، ما يُنطق البكم ويُسمع الصم .

وأخبرني [أبو الحسن بن بسام] قال : أخبرني الوزير الفقيه أبو بكر بن العربي أنّه سقط إليه من تواليفه أحد وعشرون تأليفاً [لم] [٢] يُسَمِّها لي أبو الحسن المذكور ، ثم وجدتُ بعد موته تسميتَها بخطِّ يده .

[٧٠/ب] فمن ذلك [١] : فِقْهُ اللّغة ، ويَتيمة الدهر ، وثمارُ القلوب في المُضاف والمنسوب . وبَرْد الأكباد في الأعداد . وحلّ العقد . ومرآة المروءة . وأَحسن ما سمعت . وأحاسن المحَاسن . وغُرر المضاحك . والفَرائد والقلائد . والتّمثيل والمحاضرة . وأَجناس التجنيس . والمُبهج . والطّرائف واللطائف . والكِفاية والنهاية . والثّلج والمطر . والسحر والبلاغة . وسَجع المنثور . واللُّمع الغضَّة . وكتاب ألف غلام . [وتتمة] اليتيمة [٢] .

* ومما يُستحبُّ للمؤلّف أن يتجنَّب تكرير المعنى واللفظ ، لا سيما في الكتب الموضوعة للحفظ . وقد يستحبُّون التكرار فيما المرغوب فيه التفقُّه في معناه ، والوقوفُ على حقيقته ومنحاه . ككتاب المدوَّنة في الفقه ، فإنّ ما فيه من التكرار مُوافقٌ لأهل الطَّلب والاستبصار . لأنه إن لم يقف على المسألة في باب ، وقَف عليها إذا تكرّرت في الكتاب .

ومما يُستحبُّ في التَّواليف البَيان والبَسط . وقد يُتعمَّد في بعضها استِبْهامُ المعنى وتَعقيد اللفظ ، وإنّما ذلك لامتحانِ الخَواطر وانتهاء البصائر . وهذا كان مقصد سيبويه في « الكتاب » .

---

(١) انظر ثبتاً بكتب أبي منصور الثعالبي في بروكلمان . 502 — 499 . Brock . S . I و Brock . I . 282 . وأحصى محقق (التمثيل والمحاضرة) ما وقع له من أسماء كتب الثعالبي في مقدمة التحقيق .

(٢) في الأصل : اليتيمة ، وقد سبق .

* أخبرني شيخُنا أبو عبد الله بن أبي العافية قال : جمعني مجلس مع الوزير الفقيه الخطيب أبي عمر بن حَجّاج ، والفقيه الأستاذ ابن وهب ، فجري فيه ذكر المنبوت . فذكر أبو عمر أن المنبوت اسم محدَث لم يسمع من عَرَبيّ . فذكر ابن وهب أنه يمكن أن يكون مُصحَّفَ المنبوثِ : من النّبيثة ، وهي تُراب المعدن من حيث يُعالج استخراجه كما يُستخرج تراب المعدن . ثم جَرى في هذا المجلس ذكرُ الحدود الموضوعة في العُقود ، كقولهم : في القِبلة كذا ، وفي الجوف كذا ، فقالوا أيضاً : إن الجَوف [1] غيرُ مسموع به في لُغات العرب .

ثم جرى ذكر « الكتاب » [2] وذكر تعقيدِ ألفاظه وإبهام مَعانيه ، فقال أبو عمر [٧١/أ] : ذكر في تعقيد ألفاظه ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنه تعمّد ذلك ؛

والثّاني : أنه كان مبلغ تلك الطائفة من البَسط والبيان ؛

والثالث : أنّه صَنعته ، وذلك لُكنته .

فقال شيخُنا رضي الله عنه : لا يصحّ من هذه الأوجه الثلاثة إلا وجه واحد . قيل له : نعم ، ولا ريب ، فما هو ؟ فقال : تعمُّده ذلكَ لترتاضَ [3] بهِ

---

(١) الجوف في اصطلاح الأندلسيين كناية عن جهة الشمال ويخالفها القبلة .
ـ وأظن أن كلمة الجَوْف دخلت اللهجة الأندلسية ـ واستخدمها الفصحاء ، وهي فصيحة ـ مع قبائل اليمن . فالجوف منطقة في شمال اليمن ، فقيل للشمال جَوف ثمة ـ واكتسبت كلمة (الجوف) معنى الشمال مطلقاً .

(٢) كتاب سيبويه . وقد توفّي مؤلفه دون أن يسميّه فَعُرف باسم الكتاب عند تلامذة سيبويه ، ثم درجَ اسماً غالباً .

(٣) في الأصل : (لم تاض) وهو تصحيف .

الأَوهام وتتجوَّز فيه الأفهام . وأما ما ذكر من أنه مبلغ تلك الطائفة من البيَان فأمر لا يعضده العيان ، ولا البرهـان . لأنّ كتب الخليل ومن في طبقته موجودةٌ غيرُ مفقودة ، وهو في غَايةٍ من البسط . وأما ما ذكر من اللُّكنة [1] فقول أيضاً كذلك ، لأن اللُّكنة في اللسان لا في القلم .

وأبو عبد الله المذكور عظيمُ الشان . وله من المؤلفات كتاب (البيَان في إعراب القُرآن) ، إلى عدّة رسائل مؤلفة ، ورسائل مقرَّطة بصناعة الإعراب مشنَّفة .

* ومما نَستحبُّه [2] للمؤلف أن يوشِّحَ جِدَّ تأليفِه بالهزل [3] ، ويجمع في تأليفه بين الشَّخت [4] والجزَل . فإن ذلكَ أبعثُ لقارئه على النّشاط ، وأحملُ له على الانبساط . فالجِدُّ مملول ، والنفس إلى الراحة تسكنُ وتميل .

فصل
السَّجع

السجع مصدرُ : سَجعَ الرجلُ سجعاً : إذا تكلم بكلام له فواصل ، كفواصل الشعر . والحمام تسجَعُ ، وهي سَواجع وسُجَّع .

وقد اختلفَ العُلماء في السَّجع : فطائفةٌ ذمَّته ، وطائفةٌ مدَحته . ولا وجهَ لذمِّه ، إلّا أن [5] يَدُلّ على التكلُّف ، والتكلف عندهم مهجور . ولذلك شَكُّوا

---

(١) في الأصل : الأكنة .
(٢) في الأصل : تستحبه .
(٣) في الأصل : « حد تأليفه بالعزل » . وهذا مذهبٌ قديم أشاعه الجاحظ فدَرج وذاع .
(٤) الشخت : الدقيق الضامر ، من الأصل لا من الهزال .
(٥) في الأصل : أنه .

في فصاحة الشاعر إذا كتَب ، خيفة أن يتكلف استعمال الأقلام ، ويستعين بالنظر في الكلام ؛ إذ لهما جزء من العمل ، وحظٌّ من التأليف .

وحكي أن أبا عمرو بن العلاء رأى ذا الرمَّة في دكّان إنسان طَحّان وهو يكتب . فقال له : [ما] [1] هذا يا ذا الرّمة ؟ [٧١/ب] فقالَ له : يا أبا عمرو ، اكتُمْها عليّ ! فكان هذا أحدَ ما شكَّك في فَصاحته.

ومن وجهِ ذمِّه أنه رُبَّما أراح الضعَفة عن إصابة الغرض ، وعداهم عن تطبيق [2] المفصل . لأنهم اذا استدعوا السَّجع ربما أوقعوا اللفظة في غير موقعها [3] .

[رأي المؤلف في السجع]

والذي عندي في هذا أن النثر والنظم أخوان . [فـ] ـكما لا يقدح في النظم تكلُّف الوزن والقافية ، كذلك لا يقدح في النثر تكلّف السجع . وربما احتَجُّوا في السجع بحديث رواه ابن المسيَّب « أن رسول الله ﷺ قضَى في الجنين يُقتل في بطن أُمّه بِغُرَّة : عبدٍ أو وليدة . فقالَ الذي قضى عليه : كيف أغرم ما لا شَرب ولا أكل ، ولا نَطقَ ولا استهلّ ، ومثلُ هذا بَطل ؟ ! فقال رسول الله ﷺ : **إنما هذا من إخوان الكُهّان** » [4] .

وهذا محمولٌ عندنا على أنه إنما كره سجعه بالباطِل ، يَعني أن الكهّان يحسِّنون كلامهم بالبَاطل . أما إذا كان السجع في كلام العرب الحق فذلك

---

(١) زيادة يقتضيها الكلام .

(٢) في الأصل : تضييق .

(٣) العبارة في الأصل : ربما أوقعوا اللفظة موقعها في غير موضعها .

(٤) أخرجه مالك في الموطأ عن سعيد بن المسيب مرسلاً ، وأخرجه البخاري من حديث أبي هريرة مرفوعاً . انظر الموطأ (٢ : ٨٨٥) .

جائز . وذلك في كلام رسول الله ﷺكثير ، مثل قوله عليه السلام : « قضاء الله أحقّ وشرطُ الله أوثق ، وإنما الوَلاءُ لمن أعتق »[1] .

وذهب أبو عامر بن شُهيد مذهباً ثانياً في السجع ، فقال في كتاب التوابع والزوابع[2] : وسار بنا زهير إلى الخطباء، فإذا الكلُّ منهم ناظر إلى شيخ أصلع ، جاحظ العين اليمنى ، على رأسه قلنسوة بيضاء طويلة . فقلت سرّاً لزهير : مَن ذلك ؟ فقال : هذا أبو عُيَينة صاحب الجاحظ . قال[3] فاستدناني وأخذ في الكلام معي ، فصمتَ أهل المجلس . فقال : إنك لخطيبٌ [و] حائك للكلام مُجيد ، لولا أنك مُغْرىً بالسّجع [4] . فقلت : ليس هذا ـ أعزّك الله ـ مني جهلاً بأثر السّجع ، ولكني عدمت فُرسان الكلام ، ودُهيت [5] بغباوة أهل [٧٢/أ] الزّمان ، [و] بالحَرا أن أُحرِّكهم بذلك [6] . ولو فرشتُ للكلام فيهم طولقاً ، وتحرَّكت لهم حركة مشوْلم ، لكان أوقع[7] لي عندهم ، وأولجَ في نفوسهم . فقال : أهذا على تلك المناظر ، وجَمال تلك الطيالس : كما رأيت نضارة تلكَ الشّجرة ، وليسَ ثَمَّ ثمرة[8] ! قال : كيفَ كلامُهم بينهم ؟ قلت : ليسَ لسيبويه فيه عمل ، ولا للفَراهيدي إليهم[9] طريق ،

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ ٢ : ٧٨٠ ـ ٧٨١ ، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري ١٢ : ٣٢ .

(٢) اختار الكلاعي بعض ما قاله ابن شهيد في السّجع . ونقل ابن بسام رأيه في السجع كاملاً ، فيما اختاره من رسالة التوابع والزوابع . انظر الذخيرة ـ المجلد الاول ـ القسم الاول : ٢٢٨ وما بعدها .

(٣) هذه رواية الكلاعي مختصراً ، وفي الذخيرة فقر أُخر . وما بين معقوفتين في هذا الاقتباس فهو من الذخيرة .

(٤) في الذخيرة بعدها : (فكلامك نظم لا نثر) .

(٥) في الأصل : وذهبت .

(٦) في الذخيرة : بالازدواج .

(٧) في الذخيرة : أرفع .

(٨) في الذخيرة : قلت نعم ، انها لحاء الشجر وليس ثم ثمر ولا عبق .

(٩) في الذخيرة : إليه .

ولا للبيان عليهم[1] سِمَة[2] فصاح : إنّا[3] لله ! ذهبت العرب وكلامهم[4] إرمهم يا هذا بسجع الكهّان ، فعَسى أن ينفعك عندهم ، ويطير لك ذِكرٌ[5] فيهم .

* وللسّجع ـ أعَزّك الله ـ أوزانٌ هذا موطن ذكرها ، وقوانينُ مطويّة هذا موضعُ نشَرها . وإنّما أذكر لك من ذلك ما أُوثره [6] وأرضاه ، واستجلبه إحكام الصَّنعة وارتضاه ، ان شاء الله .

[أقسام الكلام المسّجع]

وذلك أنَّ الكلام المسجَّع ينقسم بثلاثة أقسام :

أحدها : أن يكون القَسيم الثاني [7] أكمل من الأول . كقولي من تَعزية :ومما خفَّف من فقده ، أنك الخلَف الصالح من بعده . وممّا عزّانا في وفاته ، أنك مُحرزٌ خِلاله الكَريمة وصفاته .

وهذا القسم يتنوَّعُ على أنواع : منها مُقابلة سَجعتين [بسجعتين][8] ، مع وفور الأخيرة . وذلك كقولي : « فما لي خاطبتُ بهذا الصبيانَ والنّسوان ، فنسيتُ شُيوخ الإحسان وفُحول البَيان »[9] . و] منها ما يأتي في نفس القسيم الثاني من

---

(١) في الذخيرة : عليه .
(٢) في الأصل : سنة .
(٣) في الذخيرة : ألا .
(٤) في الذخيرة : وكلامها .
(٥) في الذخيرة : ذكراً ، ببناء يطير للمجهول .
(٦) في الأصل : ما وارثه ، وهو سهو من الناسخ .
(٧) في الأصل : القسم الثاني . وذكرها فيما يلي مرتين بصيغة (القسيم) ويعني بها احد جزأي السجعة . فآثرت ان اجعل كلمة (قسم) حيث وجدت بهذا المعنى (قسيماً) مجاراة للمؤلف .
(٨) ساقطة في الأصل .
(٩) في الأصل : (فما لي خاطبته . . . فسبه لشيوخ) . .

غير جنس الأول ، كقولي : « ورَدَ كتابه ـ أيده الله ـ في أمر تركة الطفل المتوفَّى . فأدَّينا الإجتهاد في لَثم قرطاسه ، والإنقياد طوع نصِّه ووفق[1] قياسه ، الحق الأوفى »[2] .

وأما القسم الثاني : فهو أن يكون القسيم [3] الأول أطول من الثاني . وهذا لا يحسن عندي إلا في مثل قولي : « لله دَرُّها من كتيبة : أمّا الأكماء فالأسماء ، وأما الظّروف فالحُروف ، وأما الشِّفار فالأسطار ، وأما الوطيس فالقراطيس » .

وفي مثل قولي : ولا قرن [٧٢/ب] جَداه أذاه . وجعَل ثوابه [. . .][4]. ولا يرجع صفر اليدين متكئاً بكل عين »[5] .

وأما **القسم الثالث** : فهو أن يكون القَسيمان متساويين ، ولا يَحسن ذلك عندي إلا في فصل المغصَّن . نحو قولي : « يغمر صُبابة بياني بحرُ بلاغته الزّاخر ، ويحقِرُّ ذُبالة إحساني بدرُ فصاحته الزاهر »[6] .

وقد يكرّرون السجع ثلاثاً ويجعلون القَسيم الاول أقصر من الثاني ، والثّاني أقصر من الثّالث . وذلك نحو قولي : « وسَألناه أن يُثني يسيراً ، فنَقدنا من التّفضيل كثيراً ، وبَوَّأنا من المعرفة منبراً وسَريراً » .

وقد يزيدون على هذا حتى ربما سلكوا مسلك أبي الفضل الحافظ في قوله :

---

(١) في الأصل : وفوق .

(٢) هذا جزء من نص كامل . انظر الورقة (٢/أ) .

(٣) في الأصل : القسم .

(٤) لم يترك الناسخ فراغاً .

(٥) كذا العبارة في الأصل ؛ وهذا الاقتباس مضطرب .

(٦) العبارة في الأصل متداخلة وغير واضحة . وفيها (يعم حبابة بياني . . . ويجر ذبالة . . .) وهو خطأ .

وقد خدَمتُ الشّيخ سنين ، والله لا يُضيع أجرَ المُحسنين . ونادمته ، والمنادمة رضاعٌ ثان . ومالَحته ، [والممالحة] [1] سببٌ دان . وسافرته ، والسَّفر والأُخوَّة [2] رضيعا لَبان . وقُمت بين يَديه ، والقيامُ والصّلاة شَريكا عِنان . وأثنيتُ عليه ، والثّناء على الله بمكان . وأخلصت[3] له ، والإخلاصُ محمود بكلِّ لسان . أفبَعد هذه الحُرمات أطعمت[4] فلاناً وفلان يناولني سبعاً في ثُمان . لعن الله فلاناً فما أراهُ في النَّوم إلا وأصاب في ذلك اليَوم » .

هذا ما نَختاره للكاتب من أَوزان الأسجاع[5] ، ونستحبُّ لهَ من قَوانين الإبداع . على أنها فسيحة الميدان ، رحيبة اللَّبان . وإنما اخترنا وما حصرنا ، وانتقينا وما أحصينا .

وللعَرب ـ أعزك الله ـ في الأسجاع أنواعٌ من الاتّباع ؛ فتارة يقع [6] فيها الحَذف والنقصان كقوله عز وجل : ﴿ **أَثَاثاً وَرِءْياً** ﴾[7]، بحذف الهمزة . وكقوله سُبحانه : ﴿ **واللَّيْلِ إذا يَسْرِ** ﴾ [8] بحذف الياء . وتارة تقع فيها

---

(١) ساقطة من الأصل ، ولم يترك الناسخ فراغاً .

(٢) في الأصل : الآخرة .

(٣) في الأصل : وخلصت .

(٤) في الأصل : أنا طمعت .

(٥) في الأصل : السجع .

(٦) في الأصل : وقع .

(٧) سورة مريم ﴿ **وكم أهلكنا قبلهم من قَرن هُم أحسن أثاثاً ورئياً** ﴾ . الآية ٧٤ . وفي تفسير الطبري أن عامة قراء أهل المدينة قرؤ وا (وريّاً) غير مهموز . وقال : إما أن تكون (رياً) بمعنى رئياً ـ بإبدال الهمزة ياء ـ أو تكون بمعنى الروية . وأن عامة قراء العراق والكوفة والبصرة قرؤ وا (ورئياً) بمعنى رؤ ية العين . انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر الطبري الجزء السادس عشر ـ الصفحة ١١٧ ـ ١١٩ طبعة القاهرة ١٣٧٣ هـ .

(٨) من سورة الفَجر ﴿ **والفجر . وليال عشر . والشفع والوتر . والليل إذا يسر** ﴾ ١ ـ ٤ .

الزيادة ، كقوله تعالى : ﴿ **وما أدراك ماهيه** ﴾ [1] ، فزاد هاء السكت . وكقوله جلَّت عظمته : ﴿ **وتظنون بالله الظنونا** ﴾ [2] ، فَزاد ألفاً لتستوي رؤوس الفِقر على عادة العرب في الكلام .

قال الشاعر

[٧٣/أ] ومَهْمَهيْنِ قَذفَيْنِ مَرَّتيْن قَطعتُه بالأم لا بالسَّمتَيْن [3]

يُريد مَهمهاً واحداً ، وسَمْتاً واحداً فثنَّى للقافية .

وقد جرى أبو تمام هذا المجرى في غير القافية فقال [4] :

وَقائعُ أشرقتْ مِنهنَّ جَمْعٌ إلى خَيْفي مِنىً فالموقفيْنِ

فَثنّى الخيف . وإنّما يَجيءُ عنهم : خَيفُ منى ، والخيف من منى على التَّوحيد لا على التثنية . وقد نبَّهنا على هذا في كتاب « الانتصار » ولله الفضل .

فصل
المنقاد

وسَمّينا هذا النوع من السَّجع المنقاد ، لأنه ينقاد طوعاً ، ويأتي قبل أن يُستدعى ويُستجلب . وأكثر ما يأتي في فصل العاطل [5] . فمنه ما يأتي متفقاً

---

(١) من سورة القارعة ﴿ وأما من خفت موازينه . فأمه هاوية . وما أدراك ماهيه . نار حامية ﴾ ، ٨ ـ ١١

(٢) ﴿ **إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا** ﴾ سورة الأحزاب ـ الآية ١٠ .

(٣) البيت في تاج العروس (مادة سمت) . وفيه (قطعته بالسمت . . .) والأم : المفازة البعيدة .

(٤) البيت في ديوان أبي تمام ٣ : ٢٩٩ .

(٥) في الأصل : العطل .

في الوزن واسجع كخَبير وبَصير . وربّما خالفوا بحرف المدِّ واللين فجاؤ وا بخبير مع غفور .

ورُبّما جاء متفقاً في السَّجع دون الوزن كزيد وأيد ، وعمر وقمر .

ورُبّما أتوا بحروف متقاربة كالسّين والصاد من حروف الهمس ، والطاء والضاد من حُروف الإطباق ، كقولنا : النفس والنقص ، والحفظ والخفض .

وأما قولنا القَريض والتقريظ ، فربما دخل في باب المستجلب لِما فيه من التجنيس ، والإلتباس لِما[1] لا يلزم .

وكثيراً ما يقع السَّجع في هذا الباب بالكِنايات فيحترزون بها دون تكرار الحَرف الذي قبلها فيقولون : لنا وبنا ، ويعتقدونها فصلاً وسجعاً .

فصل
المستجلب

ثم كَثُرت الصّناعة وتَشذَّذ فيها القالة ، فاستجلبوا فيها السجع الفائق واللفظ الرائق ، فلم يأتوا بـ غَفُور مع بَصير ، ولا وقفوا عند إتيانهم بـ غَفُور مع شَكُور ، وبـ خبير مع بصير ، بل جاؤُوا بـ غفور مع كفور ، فضمّوا الفاء وحرف المد واللين والراء . وجاؤ وا بـ خبير مع ثبير وعبير وصبير . وجاؤ وا بمَيَد مع غَيَد وجَيَد . وجاؤ وا بزَيْد مع قَيْد وأَيْد . وجاؤ وا بغُمَر مع زُمَر ، ولم [٧٣/ب] يأتوا به مع ثَمَر ، وجاؤ وا بقَمَر مع ثَمَر . فراعوا شكل الحَرْفِ المُضَمَّن ، والتزموا من ذلك ما لا يلزم ، واستجلبوا منه ما ربما لم يأتِ في سياق الكلام . وكذلك لا يأتون بـ قَمَر مع عُمَر في حال الخفض ، ويَجمعون

---

(١) في الأصل : ولما .

بينهما في حالي الرفع والنصب . فإذا أدخلوا[1] على قمر الألف واللام وافقوا التنوين .

* وكان أبو العلاء يلتزم في أسجاعه ما لا يلزم ، كثيراً . ولكنه كان لا يُراعي الاعراب . ولاتّفاق الإعراب في السّجع تأثير عظيم . ويجب للكاتب إذا تخالف إعراب السجع أن يعلّم عليه علامة تدلُّ القارىء على الوقوف عليه . فيحسن حينئذ في النطق ويلذّ في السمع .

ومما يَتَجَنَّبُون[2] في هذا الباب أن يأتُوا بلفظ البَراءة مع لفظ القِراءة . لأن الرَّاء الواحدة مفخَّمة والراء الثانية مُرقّقة . ومما يجب أن يُتجنب في هذا الباب : التّضمين ، وهو افتقارُ السجع الأول إلى الثاني . وكان أبو العلاء على سعة صدره وجلالة قدره يأتي به في نثره . والأحسن ما ذكرناه ، إن شاء الله .

وهذا كله ـ أعزك الله ـ ليس بِحَتْمٍ على الكاتب امتثالُه ، ولا بفرضٍ عليه اتّباعُه[3] في أسجاعه كلها واستعماله . وقد أخذتُ نفسي بهذا الغرض[4] حتى سَهُل عليَّ مأخذه كقولي : « وما أراه شام[5] ظُبى العَتب حتى انتضاها ، ولا كتمَ حاجةً في نفسِه حتّى قضَاها . ولولا ما فَرط من إنعامِه في سائر عامِه ، لكان كرجلٍ وَعدَ إجمالاً إن أصابَ مالاً . فلما تفجّرت عليه يَنابيعُ الكَرم ، وأخصب عليه مَريع النّعم ، أخلفَ ما سلف ، فأجدب واديه ، وأقفر ناديه ، وشَمتت به أعاديه ، فعند ذلك تذكَّر على الوعد ، فتأسَّف من بَعد . ولكنه ـ

---

(١) في الأصل : دخلوا .

(٢) في الأصل : ومما يتجنبوا .

(٣) في الأصل : اتبعه .

(٤) في الأصل : العرض ، بالمهملة .

(٥) في الأصل : وما راه الا شام .

جدَّد اللهُ سعيَهُ [و] وأنجز وعدَهُ ، وأحرز من الأمر ما بعده ـ جاد[1] وزاد، وتكلَّف الرّاحلةَ والزاد ، وأبى لي ضَيماً ، وحملني (. . .)[2] » .

وهذا كلُّه داخل في رسم الباب في التّضمين والإعراب ، إلا قولي : « على الوعد ، ومن بعد»، [٧٤/أ] وقولي : « الكرم والنعم » .

فصل
المضارع

وهذا النَّوعُ سَمَّيناهُ المُضارع ، لأنه تتشابه حُروفه ، ولا يتّفق آخرها[3] . فهو لا يخلصُ لِباب السَّجع المُنقاد ، ولا السَّجع المُسْتجلب ، فهو كالفعل المضارع الذي لم يخلص للحال ولا للاستقبال . وهو كقولهم : صرَّ وصلَّ[4] ، من كلام أبي اسحاق بن خفاجة « وكأنّكم بسيفِ النّصر مضى فصلّ ، وبقلم الفَتح كتبَ فَصرّ) . وكقولهم : « طاب وطار » من كلام الصَّاحب : « لئلا يخبُت من يومي ما طابَ ، ويعود من همِّي ما طار » . وكقولهم : « النصر والنصل » . وعلى ذكر هذين اللفظين فما أحسن قول العُتبي في إهداء نصل : « خَيْرُ ما يتَقرَّب[5] به الأَصاغر إلى الأكابر ، ما وافَق شكل الحال ، وقام مقام الفال . وقد بعثتُ بنصلٍ هندي ؛ إن لم يكن له في قِيَم الأَشياء خطر ، فله في قمع الأَعداء أثر . والنصل والنصر أخوان . والإقبال

---

(١) في الأصل : وجاء .

(٢) كلمة غير واضحة من أثر التصوير .

(٣) في الأصل : آخرهما .
ـ وانظر ما كتبه ابن حجّة الحموي (في الخزانة : ٣٦) تحت عُنوان المُضارع .

(٤) في الأصل : وضل ، بالمعجمة .

(٥) في الأصل : ما يقرب .

والقَبول قرينان . وسيدي أجلُّ من [أن] يرى[1] إبطال الفال وردّ المقال » . وكقولهم : « الطيِّب والطين » . وعلى ذكر هاتين اللفظتين فما أطرب قول الحُصري[2] :

من طِين طُوبىٰ خُلقتَ فذّا ... فأنت في ذا الورى غريبُ
بُدِّلتِ النونُ فيك باءً ... الناس طِينٌ وأنت طِيبُ

فصل

المُشكِل

وسمينا هذا النوع من السجع المُشكِل ، لأنّه يَأتي مُتّفق اللفظ ، مختلف المعنى ؛ فَرُبّما أشكل . وكان المجيد[3] قد عُني بهذا النوع وشُغف بهذا الفن . فمن ذلك خُطبة أخبرني الوزير الفقيه[4] أنه قال : « الحمد لله مُودع الأشياء بين الكاف والنون ، المسبِّحة له البحارُ الزاخرة والنُّون[5] . الواحدُ الذي لا تَجِدُ له ضريباً ، والمُنزل من خلال المُزن ضريباً[6] . الذي كشَف الخُطوبَ الكامنة وأبان ، وأوضحَ لأوليائه[7] طريقَ الهداية وأبان .

---

(١) في الأصل : من يرى ، وسقوط أن يعكس المعنى .

(٢) هذه الأبيات ليست في ديوانه المطبوع في تونس ١٩٦٣ بتحقيق : محمد المرزوقي والجيلاني ابن الحاج يحيى . وهما في الذخيرة : ق ٤ ج ١ ص ٢٥٣ . وفيه : « فالناس طينٌ . . . » .

(٣) هو المجيد العسقلاني ، انظر ترجمته في الورقة (١٦/ب) .

(٤) هو أبو بكر بن العربي الإشبيلي . والرسالة في مخطوطة (الرّيحان والريعان) لابن المواعين (الورقة : ٦٧) . وبين النصين فروقٌ أشير إلى ما يقتضي منها .

(٥) النون : الحوت .

(٦) الضريب (الأولى) : المثيل ، والضريب (الثانية) : الثلج .

(٧) كلمة غير واضحة .

وسبَّحت بحمدِه هَضبات مَتالع[1] وأبان[2] . أحمده ما لاح سِماكٌ في الأُفق وفَرقد ، ورتَع ظليمٌ[3] على البسيطة وفَرقد[4] . وأشهد أن لا إله إلا الله شهادةَ من لفَّ[5] أرج الإيمان ونشرَه[6] ، فحقَّق[7] وجوده بعد الموت ونـشره . وأن محمداً ﷺ وعلى آله ، عبده المختار من الخَلائق ، ورسوله المخصُوص بأشْرَفِ الخَلائق[8] . أرسلَهُ وطَرفُ الطغيان جار ، وجار البُهتان أعزُّ جار . فلم يزل ـ عليه السَّلام ـ حتى أزال وَصَب[9] القلوب وعبَدَها[10] ، وأرغم من نصب الأوثان وعبَدَها . وظهَر دينُ الله على الأديانِ وسَطاً . ونزلَ عليه ﴿ وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً ﴾[11].

ومنها :

أيها الناسُ ، وكلُّ مخاطب : أما تَرى الدَّهر بك يَسير ، وزادكَ للسّفر قليلٌ يَسير . صَدفَ لُبَّك عن الموعظة ومَال ، وألهاكَ حُطامٌ لا ينفَعُك ومال . غَرَّك من دُنياك زُخرفٌ يَلمع ، إنما هو لَعمرُ الله يَلمع[12]. عصَفت بِلُبِّك شَمال وصَبا ، فحنَّ قلبك إليها وصَبا . أمَا تَقُول آنَ لي أن أرجع آن ، وتخافُ جَهَنّم

---

(١) متالع : جبل بناحية البحرين بين السودة والإحساء .

(٢) أبان : جبل أسود ، وهما أبانان لبني عبد مناف بن دارم بن تميم بن مر .

(٣) الظليم : الذكر من النعام .

(٤) الفرقد : البقرة أو الوحشي منها . (والفرقد الأولى نجم معروف) .

(٥) في الأصل : سلف .

(٦) يشير إلى اللف والنشر من فنون البديع .

(٧) في الأصل : محقق .

(٨) الخلائق جمع الخليقة : كل مخلوق . والخليقة : الطبيعة التي يُخلق المرءُ بها .

(٩) الوصب : الوجع والمرض . وهو التعب والفتور في البدن .

(١٠) العبد : الغضب .

(١١) « سورة البقرة » : من الآية ١٤٣ .

(١٢) اليلمع : السراب .

التي ﴿ يَطُوْفُوْنَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيْمٍ آنٍ ﴾[1] . وتأخذ أُهبة رحيلٍ وسَفر ، وترهَبُ[2] حِماماً كان قد حَسر لك عن وَجهه وسَفَر . وجاورتَ قوماً ضمَّت الصّحف أوزارهم ، وسِيّان عندَهُم مَنْ هَجرهم أو زارَهُم . قد أعدم الموت وُجودَهم ، وأَنست الأيامُ كرَمهم وجودهم ، وجفاهُم حَميم ودود، والتهمتْهُمْ[3] هَوامٌّ ودُود . قدْ حَقّق الدهرُ لكلٍّ منهم وَعيده ، وهجَر غيرَ راضٍ[4] جُمْعَتهُ وعِيْدَه . [٧٤/ب] رَكَنُوا إلى الدُّنيا الفانية كأنهم فيها مُخَلَّدون ، وحُرموا من الجَنة غُرَفاً ﴿ يَطُوْفُ[5] عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُوْنَ ﴾[6] .

وكان أبو الفَتح البُستي إمام هذه الطريقة الأَنيقة في التجنيس البديع التأسيس ، وكان يُسمّيه المُتَشابِه[7] . فمن ذلك قوله[8] :

٧٥ / أ يقولون ذِكْرُ المَرْءِ يَحيا[9] بنسْلِهِ
ولَيسَ لَه ذِكْرٌ إذا لَم يكُنْ نَسْلُ
فقلتُ لهم : نَسلي بدائعُ حِكمتي
فإنْ فاتنا نَسْلٌ ، فإنّا بِها نَسلُو[10] !

---

(١) « سورة الرحمن » : ٤٤ .
(٢) في الأصل : « وتذهب » . وبعد قوله : « وجهه وسفر » كلامٌ حذفهُ المؤلف .
(٣) في الأصل : والهمتهم . وفي الريحان : هوام ترتقي أجسادهم ودود .
(٤) في الأصل : غير أراض .
(٥) في الأصل : يطوفون .
(٦) « سورة الواقعة : ١٧ .
(٧) هذه العبارة للثعالبي في ترجمة البستي في اليتيمة ج٤ : ٢٠٤ .
(٨) ديوان البستي : ٦٥ ، ويتيمة الدهر : ٢٢٩ .
(٩) في الديوان : يبقى .
(١٠) البيت في الديوان :
فقلت لهم : نسلي بدائع حكمتي فمن سره نسل ، فإنا بذا نسلو

وقال أيضاً[1] :

إنْ سلَّ أقلامَهُ يوماً ليُعملها ... أنساك كُلَّ كميٍ هَزَّ عامِلَهُ
وإنْ أمَرَّ على رِقٍّ أنامَلَهُ ... أقَرَّ بالرقِّ كتابُ الأنامِ لهُ

وقال أيضاً[2] :

وثقتُ بربّي وفوَّضتُ أمري إليه وحَسبي به من مُعينِ
فلا تبتئسْ بِصُروف الزمان ودَعْني فإنّ يَقيني يقيني

ومما ينتسبُ الى هذا الباب قول الحصري في العتاب : « ما اعتابني في عيبٍ الا ذو عيب وخيم مقيم ، مع لؤم معلوم » . ومن ذلك قولي من رسالة : « ما حمزةٌ[3] نبتتْ بالنبي[4] ، كحمزةَ عَمِّ النّبي ، ولا الفرقدُ[5] الراتعُ بين المها ، كالفَرْقد[6] الطالع بين المها[7] .

فصل

في قوانين الكتابة وآدابها

قد قدَّمنا ـ أعزك الله ـ في هذا الكتاب من قوانين الكتاب معَارف[8]

---

(١) الديوان ٦٥ ، واليتيمة ٤ : ٢٣١ ، وصبح الأعشى ٢ : ٤٤٦ .
(٢) اليتيمة ٤ : ٢٣١ .
(٣) الحمزة : بقلة حريفة ، وهي في الاصل : ما جمرة ، مصحفة .
(٤) النبي : ما ارتفع من الارض .
(٥) الفرقد : البقرة ، أو الوحشية منها .
(٦) الفرقد : نجم في السماء
(٧) المها : جمع مهاة وهي الشمس ، (تاج العروس) . والمها الاولى جمع مهاة الحيوان المعروف .
(٨) في الاصل : ومعارف .

جمَّة ، وفتقنا فيه عن نَوْرِ الخطابة أقلاماً وأكِمّة . وإنّما ذكرنا من ذلك ما تعلَّق ببابه وتَمسّك بأسبابه . وأنا ذاكرٌ[1] من ذلكَ طرفاً مفيداً مستطرفاً ، إن شاء الله .

الكتابةُ ـ أعزك الله ـ موطنٌ ترحيب وتأهيل ، والخَطابةُ مقام ترفيع وتبجيل . وأن يكون الكاتب في حيِّزِ مَن قد علا وزاد ، خيرٌ من أن يكون في حيِّز في قصَّر عن الواجب المُعتاد . وخيرٌ من هذين أن يلقى كلَّ طبقة بما يُشاكلها من اللّفظ ويُوافقها ، ويقابل [كل فئة بما][2] [٧٥ / ب] يُشاكلها من المعنى ويطابقها . وإنما قدَّمنا ، ورخصنا من الغلوِّ فيما رخصنا ، لأن مخاطبة كلِّ مخاطب بأشكاله ، ولقاء كل وجه بمثاله ، ربما بَعُدَ إلاّ [على][2]من كان باهرَ الآيات ، صافي الذهن ، صفيَّ المرآة ، فحينئذ يزِنُ كلَّ مخاطَب بميزانِه ، ويجري معه في ميدانه .

[بين المرسل والمرسل اليه]

وسأُلمع هنا بنكت تدلُّ على الغَرض ، وتقضي بعض مالك من الحق المفترض[3] ، إن شاء الله . فمن ذلك أن لفظ الأكبر والأعظم والأعلى والأجل والنبيه والنبيل ، فيكتب به إلى من دون هذا القبيل . وأمّا قولك : أدام الله إعزازه ، فلا يُكتب به إلا إلى أُولي النهي والامر ، ممن يكتب عن نفسه : ونحن فعلنا كذا . لأنّ هذه اللفظة لا يكتبها عن نفسه الا آمِرٌ أو ناهٍ . وفي الكتاب العزيز : ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾[4] .

وأما قولك : « أَعَزَّكَ اللهُ »، فيُكْتَبُ به إلى من يستقلُّ بذاته ، ممن[5]

---

(١) في الاصل : ذكر .

(٢ ـ ٢) زيادة يقتضيها المعنى .

في الاصل : الافترض .

« سورة الحجر » : ٩ .

في الاصل : فمن كتب .

يكتبُ عن نفسه : وأنا فعلتُ كذا ، وأما قولك : « أدام الله عِزَّهُ » ، فيُكتب به إلى أهل النباهة والرِّفعة ، ممن يُكتب اليه : فإن رأيتَ كذا ؛ لأنّ هذه اللفظة إنما يُكتب بها إلى أهل الجلالة والعَلاء . وأما قولك : « فرأيـك في كَذا » ، فإنما يكتب بها الى الأكفاء ، لأن فيها معنى الأمر . ولذلك نُصبت . والأحسن[1] إذا ورد الامر في الخطاب أن يُقيَّد بالحال ، فيقال : إفعل كذا مُتفضلاً ، ولا تصنعْهُ متطولاً . على أنه قد جاء في الكتاب الكريم : ﴿ **إِهْدِنَا الصِّرَاطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ** ﴾ ، وإنما يحمل هذا أهل الأدب على معنى الرغبة والطَّلب . وأمّا الخطاب بالكاف ، ففيه بين أهل العلم تنازعٌ وخلاف . فبعضهم استثقله في المنثور ، واستخفّه في المنظوم . وبعضهم استثقله في هذا وفي هذا [٧٦ / أ] ومن كلام الحافظ : « لا يجزع من الإكاف ، في المخاطبة بالكاف » .

وبعضهم استخفه في هذا وفي هذا إذا كان في المَدح ، بعيداً عن الذمِّ والقدح . لأنه أشهرُ للممدوح ، وأوكدُ في المَديح . وهذا كان رأي أبي الطيب الجُعفي .

ومن أنجح ما استُميل[2] به مخاطب ، وأنجع ما استُنزل به مكاتَب : الكُنية . وقد قيل : ثلاثةُ أشياء تُصفي وُدَّ الأخ لأخيه :أنْ يوسَّع له إذا جَلس إليه، ويبدأه بالسلام إذا وقف عليه ، ويدعوه بأحبِّ الأسماء إليه .

ومن الكُنى ما لا يجب أن يُدعى مخاطَبٌ بها . ويحكى أن شريحاً ردَّ شهادة رجل يُكنى أبا الذِّبَّان ولم يسألْ عنه ، وقال : لو كنتَ عدلاً

---

(١) في الأصل : والإحسان .

(٢) في الأصل : استحيل ، بالحاء .

لم ترضَ بهذا . وإنما ساغ هذا لشريح ـ والله أعلم ـ لأنه[1] مستحسن لهذه الكنية ، راضٍ بها ، وإلا فقد يُدعى بالكنية القبيحة مَنْ[2] لا يرضى بها من أهل العدل ، ويُجبر على الاستجابة للَّقب الثقيل من لا يَستسهله من أهل الورَع والفضل . وليسَ ذلكَ بقادحٍ في سِيادته ، ولا برادٍّ لعدالته وشهادته .

* وممّا يجبُ على الكاتب إذا كتب كتابَ اعتذارٍ ، أو رسالةَ استعطافٍ واستنزال ، ألا يصدِّر بالألفاظ الخشنة ، والمعاني القلقة ، فإن ذلك إذا كان أول ما يقرع السمع ، نفرَت له النفس ، فإذا نفرت النفس لم تستأنسْ إلا بعد علاجٍ شديد .

* وممّا يُستحب للكاتب أن يأتي بالنّادرة[3] والفِقرة في السجع الثاني ، لأنه آخر ما يُعقد عليه السَّجع . مثال ذلك قولي من رسالتي : « ما لهُ ـ أعزّه الله ـ قابل سُؤرَ[4] الإناء بالآتي[5] ، وثَناء الأسماء بالسُّباعي[6] ؛ وطنين الذباب [٧٦ / ب] بالصَّهيل ، ومنهوكَ الرَّجز بالطويل . فقولنا : ثُناء الأَسماء بالسباعي أصْنَعُ من قولنا : طَنين الذّبابِ بالصهيل .

وكذلك يجب أن يُستجاد آخرُ الرسالة ويُتقن ، حتى يكون[7] قفلاً لمحاسِنها ، كما أنّ أولها مفتاحٌ لذلك .

---

(١) في الأصل : لا أنه .
(٢) في الأصل : ولا .
(٣) في الأصل : الناذرة ، بالذال .
(٤) في الأصل : سور ، والسؤر : بقية الماء التي يبقيها الشارب في الاناء .
(٥) الآتي : النهر الصغير .
(٦) ثناء : معدولة عن اثنين ، والسباعي : ما كان ذا سبعة أركان .
(٧) في الأصل : تكون ، بالتاء .

ومن أوجب الواجبات على الكاتب إذا ذكر الله سبحانه أن يعترض بتحميده ، ويشير بتمجيده ، بما شاكل الكلام ، ووافقَ المقام ولو بقول : جلَّ ذكره ، أو : عَزَّ وجهُه ، أو سُبحانه .

وكذا يجب أن يُخَصَّ رسول الله ﷺ بالصلاة والتسليم كما أمر ـ جلَّ ثناؤه ـ في كتابه الكريم[1] . ويجبُ الا يجمع بين الله سبحانه ورسوله عليه السلام في الكتابة . ورُوي أنّ رجلاً قام بين يدي رسول الله ﷺ فقال : ومَن يُطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يَعْصِهما فقد غوى . فقال رسول الله ﷺ : « بئسَ الخطيب أنت ! هلاَّ قلتَ : ومن يعصِ الله ورسوله فقد غوى »[2] ؟

واختلف علماءِ مصرنا وعصرنا فيما نقَمه رسول الله ﷺ . فقال شيخنا أبو عبد الله بن ابي العافية : انما تعقَّب ذلك لأنه خالَف اللفظ . وقال غيرهُ ، وأظنه صاحبه أبا الحسن بن الأَقطر : إنه إنما نقمَ ذلك لأنه موضع تَتميم وتَطويل ، فأنكر ﷺ حذف الكلام وإيجازه . ونظرتُ هذين القولين فرأيت شيخنا ـ رحمه الله ـ لم يُبيِّن ، ولا ذكر الفائدة التي حسنته في التكلم[3] ، حتى لا يجب أن يُعدل عنه في الكلام إلى ما سواه . ولما [لم] أفهم على هذا الأمر سألتُ عنه والدي ، جرياً على عادتي في سؤاله ، فقال : ليس كما قالا ، وإنّما

---

(١) إشارة الى قوله تعالى : ﴿ ان الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴾ .

(٢) أخرجه مسلم والنسائي وابو داود، من رواية عدي بن حاتم رضي الله عنه . وذكره أبو داود في باب الجمعة من كتاب الصلاة ، وفي كتاب الأدب بلفظ متقارب . وفي كتاب الادب « أن خطيباً خطب عند النبي ﷺ، فقال : من يطع الله ورسوله . . ومن يعصهما . . فقال قم ، أو قال اذهب فبئس الخطيب أنت » . قال الخطابي : إنما كره من ذلك الجمع بين الاسمين تحت حرفي الكناية ، لما فيه من التسوية . انظر : مختصر سنن ابي داود للحافظ المنذري ، ومعالم السنن للخطابي ٢ : ١٩ ، و٧ : ٢٧٤ .

(٣) في الأصل : التلا .

تعقَّب ﷺجمعه بين الله ورسوله في الكناية[1] . [٧٧ / أ] فنظرتُ هذا القول فاستحسنته . ثم إني طالعته بعد مدة في كتاب أبي [. . .] القصّار ، فوجدته له ، فعجبتُ من اتفاقهما في ذلك ، وعلمت أنه لم يكن إلاّ من [توارُد][2] خواطرهما ، وتقارب أذهانهما .

ومما يجب على الكاتب أن يتحفَّظ من التَصحيف ، ويحترزَ من اللّحن والتَحريف . فقد قالوا : اللحنُ في الكلام كالجدري في الوجه . وقالوا : النحُو في الكلام كالمِلح في الطعام .

ومما يستحب للكاتب إذا استُدعي في . . .[3] القراءة . . .[3] أن يُسر بالقراءة قبل أن يجهر ، وأن يتدبر قبل أن يعبِّر . فقد لُدغَ جماعةٌ من الكتّاب من هٰذا [الجُحر] ، وغرقَ طائفةٌ من العُلماء في هٰذا البحر .

* وممّا يُستحب له اذا اشتبهت عليه اللفظة أن[4] يقف عندها وينظر ما قبلها وما بعدها ، فإنه لن يعدم من ذٰلك مُنادياً الى غرض الكتاب ، وهادياً الى طرق الصواب ، إن شاء الله .

* ومما يُستحب للكاتب أن يتحرَّز من اللَّحن عند تبديل اللفظ وتصحيحه ، وتهذيبه وتنقيحه . فَرُبما بَدَّل عاملَ رفع بعامل نصب ، وبقي

---

(١) في الأصل : الكتابة .

(٢) زيادة يقتضيها المعنى .

(٣ - ٣) فراغ بمقدار كلمة . والمقصود أن يُرَوِّيَ قراءة الرسالة المطلوب قراءتها قبل أن يجهر بذلك (أعني الرسالة الواردة) .

(٤) في الأصل : أن لا ، وهو يعكس المعنى المقصود.

المعمولُ على ما اعتاده لسانه ، والوهن قد سَرى إليه ، واللحن قد [عَدا] عليه .

* وممّا يُستحب للكاتب ورُخِّص له فيه ، أن يجعل غرضه متى يمَّم كتاب أحد البحثَ عن عُيونه وعُيوبه ، والتنبيه على مساوئه ، غير غاضٍّ بذلك من مَثيل ، ولا مُنتقصٍ به من فاضل ، ولا متعسّف في نَقد . فإنه لا يعدم في ذلك لذَّة التعقُّب وحلاوة الانتقاد ، والاغتباط بالمعرفة ، والحرص على الطلب والازدياد .

* ومما يُستحب للكاتب أن يبحث عن الكتاب قبل الأَخذ في الجواب ، فيتدبَّر ما تأبَّط من المعاني [٧٧/ب] ، ويستقرىء ما احتضن[١] من الاشارات . ويعرف غرضه [و][٢] قصده ، ويعلم با [لِحذق] ما عنده . فحينئذ يأتيه من بابه ، ويَرميه بسهامِه وحِرابه .

* وممّا يُستحبُّ للكاتب أن يكون كثيرَ الاحتفاظ من تكرير المعاني والأَلفاظ . قال أبو العلاء : « فتكرير الكلمة في الكتاب مرتّين كالجمع في النكاح بين أُختين : الأُولى حِلٌّ يُرام ، والثّانية بَسل[٣] حَرام » .

* وممّا يُستحبُّ للكاتِب : ألَّا يكرِّر في كُتبه خِلاله[٤] وفِقَر [٥] ، ونوادر [٥] وغُرَرَه . فالفقرة المكتوبة كالدُّرَّة الموهوبة ، فإن وقَعَ عَليها جَزاء

---

(١) في الأَصل : ما اختص .

(٢) ما بين معقوفتين في هذه الفقرة والاثنتين التاليتين زيادة لازمة .

(٣) كلمة ابي العلاء المعري في رسائله (١ : ١١٧) . وكلمة بسل في الاصل بالنون (نسل) . والبسل : الحرام .

(٤) في الأَصل : بلاله . ورجحنا القراءة المثبتة .

فهو بَيعٌ وشِراء[1] . وكان أبو الوليد بن زيدون[2] وأبو محمد ابن عبدون[3] كثيراً ما يفعلان ذلك ، ويَسلُكان هذه المسالك . ولأبي الوليد قصيدٌ أوله[4] :

هـو الدهـرُ فـاصبـرْ للّذي أَحْـدَثَ الـدَّهـرُ
فَمِنْ شِيَمِ الأَحـرارِ فـي مِثْـلِهـا الصَّـبْـرُ

رثى به أُم أبي الوَليد بن جهور ، ثم رثَى به المعتضد بالله فأنَّث مرّة ، وذَكَّره وقدَّم بعضَ أبياته ، وأخَّر . فجاء كما قال أبو العلاء[5] :

رُبَّ لـحـدٍ قـد صَار لحداً مِراراً ضاحِكٍ[6] من تـزاحُمِ الأَضدادِ

وهذا مكروه ولا سيما من أبي الوليد ، فإنه كان غايةَ منثورٍ ومنظوم ، وخاتِمةَ شُعَراء مَخزوم[7] .

* ومما يستحبُّ للكاتب ألَّا يَمدح أحَداً إلا بِما فيه . فقد قال بعضُهم : من مَدح أحَداً بغيرِ ما فيه بالَغَ في هِجائِه . وممّا نُشير به على الكاتب إذا علم أنّ حالةً ستقع وأنه مُكَلَّف عنها ، أن يتقدَّم في العَمل لها ، وإحكام ما يَحتاجُ إليه

---

(١) العبارة في الأصل : فإن وقع عليها جر فهو بيع وشرّ . والمثبت قريب من المقصود . والجزاء : الثواب .
ـ وفي كتب الفقه تفصيلات في باب الهبة وشروطها . قال الامام ابن حزم (المحلى ٦ : ١١٨) « ولا تجوز هبة يشترط فيها الثوابُ أصلاً » ، وقال قبله : « ولا تجوز الهبة بشرطٍ أصلاً » . وانظر (القوانين الفقهية) لابن جُزَيّ ٣٧٢ ـ ٣٧٣ .

(٢) أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون المخزومي (٣٩٤ ـ ٤٦٣) الكاتب الاديب المترسل الشاعر ، خدم في دولتي بني جهور بقرطبة وبني عباد باشبيلية .

(٣) أبو محمد عبد المجيد بن عبدون الفهري اليابري (ت ٥٢٩) أديب كاتب مترسل شاعر خدم في دولة بني الافطس (من دول الطوائف) ثم دخل في خدمة دولة المرابطين .

(٤) ديوان ابن زيدون (مكتبة نهضة مصر) : ٥٦٢ ، وفيه : فمن شيم الأبرار .

(٥) من قصيدة رثى بها أبا حمزة الحنفي . (سقط الزند ٣ : ٩٧٦) .

(٦) في الأصل : ضاحكاً .

(٧) في الأصل : « وخيمة شعر مخزوم » . ورجَّحت القراءة المثبتة .

فيها ، فإذا وقَعت واحتيج إلى ما عنده أخرج ذلكٍ ارتجالاً وأبرزه بديهة ، كما عرَض لعبد الملك [٧٨ / أ] بن إدريس[١] وقد خَرج مع المنصور في طلب ابنه عبد الله وقد فَرَّ عنه الى جيليقية واعتصَم بطاغيتها ، فَعلم أنه ظافرٌ به . وقدم إلى العَمل في ذلك طُولَ سَفره ، حتى اذا دُعي له ، كتَب في ذلك كتاباً بليغاً تحت جَناح الفُسطاط ، وأرَى الحاضرين أنه ارتَجله ، ففاز ببُعد الذِّكر ، وحصَل على أُبَّهة الشهر .

* وممّا يُستحبُّ للكاتب أن لا يَحِنَّ على كلامه ، ولا يُشفق على نثره أو نظامه ، وأن يُسقط منه ما شكَّ في جودته ، ويحذف من ذلك ما ارتاب في صحته ، فان المرءِ لا يتضح العذرُ في نظمه أو نثرِه ، إلا وهو أجلى من الصبح عند غيرِه .

* ومما يُستحبُّ للكاتب : أن يكون حاضرَ الجواب ، متَّقد الخاطر ، مُستشعراً لورود النَّوادر ، فإنّ ذلك أرهف لحدّه ، وأقوى الأسباب في تفضيلهِ وحَمدِه . ألا ترى إلى ما كان من أبي الطيب الجُعفي ، فإنه دخل على سيفِ الدولة ، وأنشدَه من بعض قلائده فيه ، وطارَ السُّرور به كلَّ مَطار ، فلما أراد الإنصرافَ إلى الدار قال له السَّيفُ مُلغزاً : على مَنْ خَطر تَتبختَرُ يا أبا الطيّب ؟ فقال : بِتيهٍ أيُّها الأمير ! فضحكَ سيفُ الدولة متعجباً من فهم أبي الطيب ، وقالَ للحاضرين : أردت بتتبختر : تصحيفه[٢] : تَتخيّر ، فقال : بِتيهٍ ، وتصحيفه : يتنبه .

---

(١) في الأصل : بن زيدريس ، وهو عبد الملك بن إدريس الجزيري : وزير من وزراء الدولة العامرية ، وكاتب من كتابها ، وعالم أديب شاعر ، معدود في أكابر البلغاء ، قال الحميدي : إن له رسائل وأشعاراً كثيرة مدونة . وذكر انه توفي قبل الاربعمئة . (انظر جذوة المقتبس للحميدي ٢٦١ ـ ٢٦٣ ، والذخيرة لابن بسام ـ القسم الرابع ـ المجلد الاول : ٣١) .

(٢) في الأصل : وتصحيفه

ومن أظرف الجَواب واستنتاجِ الكُتّاب ، ما أخبرني به الكاتب أبو الحسن بن بَسّام قال[1] : اجتمعتُ مع الوزير أبي محمد عبد المجيد بن عَبدون أوّل ما لقيته ، فسمعَ بعضَ الإخوان يدعُوني باسمي فقال لي : أنت حقّاً عليُّ بنُ بَسّام[2] ؟ قلت نعم ! قال : وتَهجو حتى الآن [٧٨/ب] أبَاك أبا جَعفر ، وأخاك جَعفراً ؟ فقلت له : كَلأك الله ! أنت عبدُ المجيد ؟ قال نعم ! قلت : ويتغزَّلُ فيك حتّى الآن ابنُ مناذر[3] ؟ فضحكَ مَنْ حضر لهذا الجواب الحاضر .

* وعليُّ بنُ بَسّام الذي عَنى ابن عبدون كان في أوانه باقِعة[4] زمانه ، لم يَسلم من هجائه في عصره أميرٌ ولا وزير . ولا من أهل بيته صغيرٌ ولا كَبير . وعبدُ المجيد[5] الذي عنى ابن بَسّام كانَ أجمل أهلِ زمانه ، وكان ابنُ المناذر يعشقه ويتغزّل فيه .

فهذا وما أشبهه من المُزاح المُباح البَعيد عن المُتاح .

* ومما يُستحبّ للكاتب ان يهذِّب أفعاله كما يهذب أقواله ، فلا ينظر في كتاب أخيه إلا بإذنه . فقد قال ﷺ : « مَن نظرَ في كتاب أخيه بغير إذنه فكأنما

---

(١) الخبر في الذخيرة ، القسم الاول ـ المجلد الاول : ١٢٠ ، باختلاف يسير .

(٢) علي بن بسام (٢٣٠ ـ ٣٠٢) : شاعر هجاء من الكتاب ، أكثر شعره في هجاء والده وجماعة من الكتاب . (الموشح للمرزباني : ٢٩٤ ، ووفيات الاعيان ١ : ٤٤٤) .

(٣) محمد بن مناذر اليربوعي « ولاء » (. . . ـ ١٩٨) : شاعر كثير الأخبار والنوادر ، مدح البرامكة ، وعرف عنه اللهو والمجون والتزندق . (الموشح : ٢٩٥ ، إرشاد الاريب ٧ : ١٠٧) .

(٤) الباقعة : الرجل الداهية

(٥) اسمه في الذخيرة : عبد المجيد بن عبد الوهاب .

نظَر في النَّار »[1] . ولا يقرأ لأحد سطراً وقد ضرَب عليه . فقد قال بعضهم : مَن قرأ سطراً قد ضُرب عليه فقد خان ، لأن الخطّ يحرز[2] ما تحته . وأن يتأدّبَ بآداب الله ، وآداب رسوله ، كقوله عليه السلام : « من حُسنِ إسلام المرءِ تَرْكُه ما لا يعنيه »[3] . « الحياءُ شُعبة الإيمان »[4] . « إياك وما يعتذر منه »[5] . « الوحدة خير من الجليس السوء »[6] .

* هذه ـ أعزَّك الله ـ بضاعةٌ ، استخرجَتْها[7] يدُ النّصيحة من صَدف الفِكر ، وفتَقتها[8] يمينُ الأَنفة من كمام الذِّكر ، وكتَبها[9] قلمُ الاستعجال في صحيفة الإرتجال . إذ الخاطرُ متقسّمٌ بين تفقُّهٍ في أدب ، وتفقّهٍ في شَرع،

---

(١) روى أبو داود في سننه (٢ : ٧٨) من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : ﴿ **لا تستروا الجدُرَ ، من نَظَر في كتاب أخيه بغير إذنه فإنما ينظر في النار ، سلوا الله يبطون أكفّكم ، ولا تسألوه بظهورها ، فإذا فرغتُم فامسَحُوا بها وجوهكم** ﴾ قال ابو داود . روي هذا الحديث من غير وجه عن محسن بن كعب كلها واهية ، وهذا الطريق أمثلها وهو ضعيف ايضاً .
مكث في سند هذا الحديث محمد بن كعب القرظي .

(٢) اي يحصّنه .

(٣) ورد الحديث في الفتح الكبير للسيوطي بترتيب النبهاني ٣ : ١٤١ ، وفي تيسير الوصول الى جامع الأصول لابن الربيع الشيباني ٤ : ٣١٥ من حديث ابي هريرة .

(٤) أورد السيوطي في الفتح الكبير ما ورد من الاحاديث عن (الحياء) ومن ألفاظه : الحياء من الايمان . والحياء من الإيمان والإيمان من الجنّة ، والبذاء من الجفاء والجفاء في النار (٢ : ٨٣) .

(٥) الحديث في الفتح الكبير للسيوطي ، ترتيب النبهاني ١ : ٤٨٨ .

(٦) الحديث في البيان والتبيين ٢ : ٧٨ ، ولم ينص على انه حديث . وفي كتاب (البدر المنير في أحاديث البشير النذير) لعبد الوهاب بن احمد الانصاري الشافعي : « الوحدة خير من جليس السوء ، والجليس الصالح خير من الوحدة » رواه الحاكم وغيره مرفوعاً . انظر ص ١٣٧ .

(٧) في الأصل : استخرجته .

(٨) في الأصل : فتقته .

(٩) في الأصل : وكتبه .

محافظةً على فَرع . وفي هذا عُذرٌ إن وقع تَقصير . ولا ينفردُ بالكَمال إلا السَّميع البصير ، جلَّ ثناؤه ، وتقدَّست أسماؤه .

وصلى الله على محمَد خاتم النبيين وعلى آله الطيبين وسلم تسليماً .

نجز بحمد الله تعالى وحُسن عونه وتوفيقه الجميل

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين .

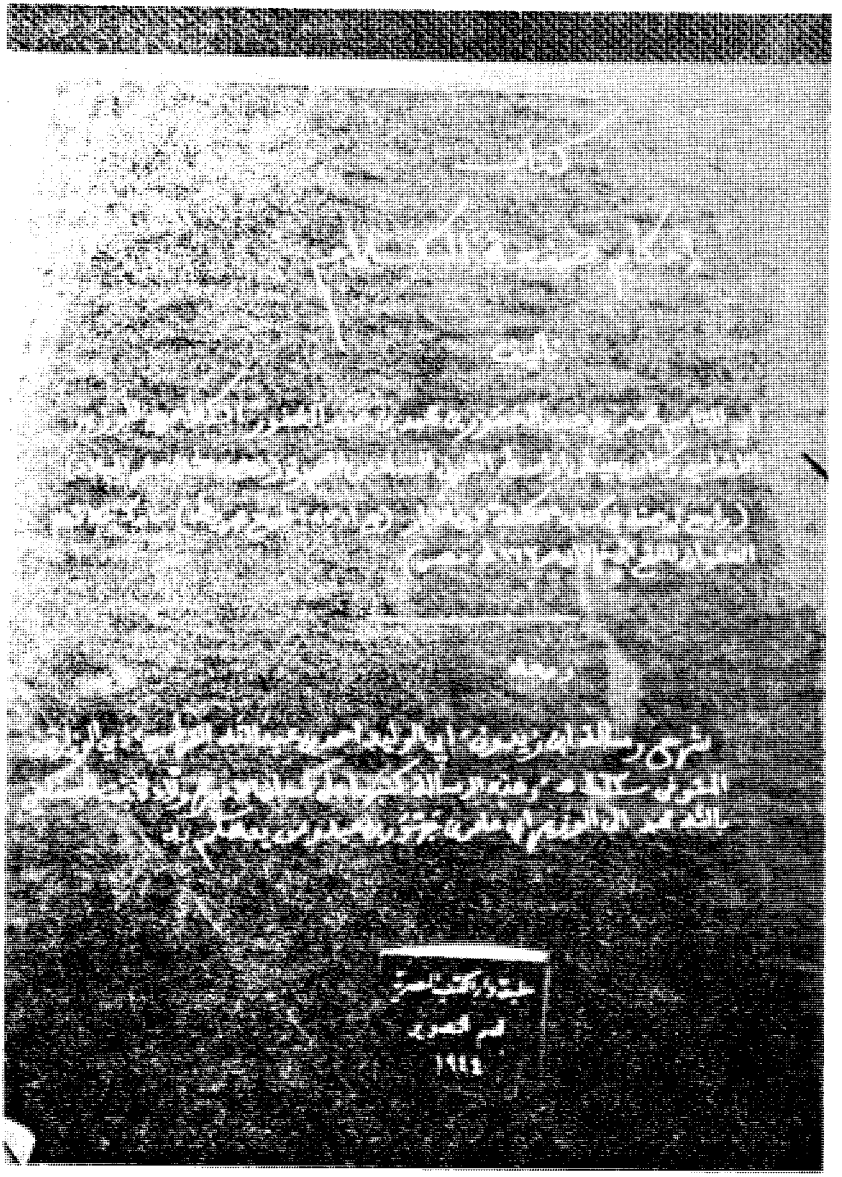

(اللوحة ١) صفحة العنوان بخط الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب

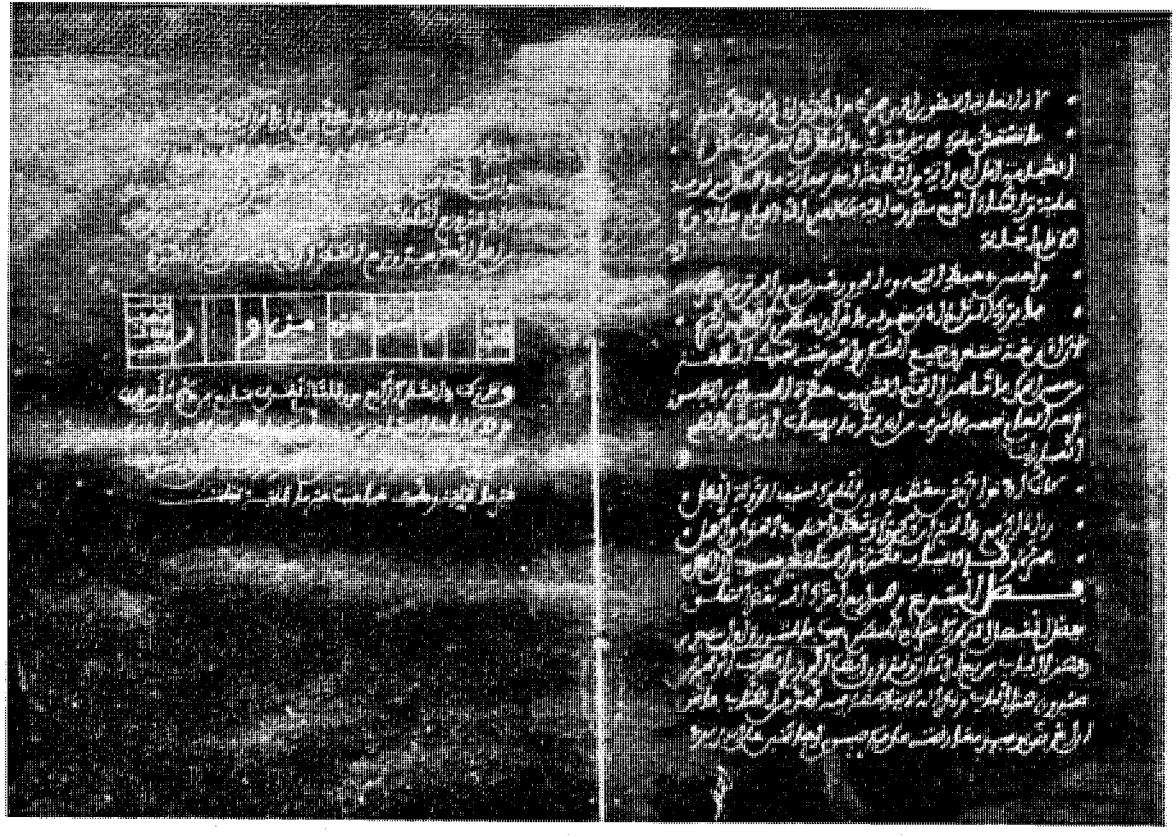

(اللوحة ٢) الورقة : (٤٥ ب) انظر ص ١٥٩ من المطبوعة

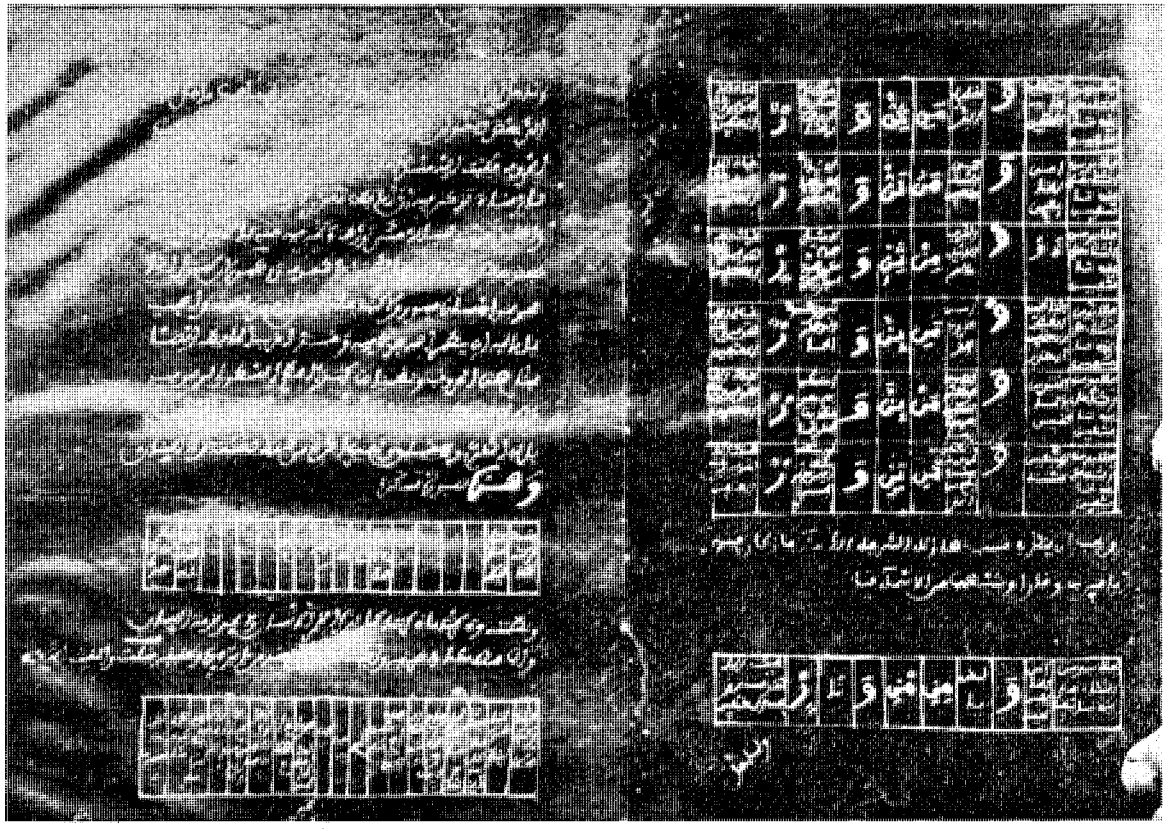

(اللوحة ٣) ، الورقة : (٤٦أ ، ب) انظر ص ١٦٠ من المطبوعة

(اللوحة ٤) : الورقة الأخيرة من المخطوطة

الفهارس الفنيّة

١) فهرس الآيات القرآنية
٢) فهرس الأحاديث النبوية
٣) فهرس الأمثال
٤) فهرس الأماكن
٥) فهرس الأعلام
٦) فهرس القوافي
٧) فهرس الكتب التي ذكرها المؤلف
٨) فهرس مراجع التحقيق والتعليقات .

فهرس الآيات القرآنية

الآيات القرآنية		الصفحة
﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾	الفاتحة ١/ ٥	٢٤٢
﴿ قلوبنا غُلف ﴾	البقرة ٢/ ٨٨	٥٤
﴿ يا بنيّ إنّ الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلاّ وأنتم مسلمون ﴾	البقرة ٢/ ١٣٢	٢١١
﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء ﴾	البقرة٢/ ٢٦١	١٦٤
﴿ ومن لم يطعمه فإنه مني ﴾	البقرة ٢/ ٢٤٩	١٦٨
﴿ ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾	البقرة ٢/ ١٩٠	٢١٨
﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه ﴾	البقرة ٢/ ٢٨٢	٢١٠
﴿ وليكتب بينكم كاتبٌ بالعدل ﴾	البقرة ٢/ ٢٨٢	٢١٠
﴿ وليتق الله ربه ﴾	البقرة ٢/ ٢٨٢	٢٠٦
﴿ ومن يتعدّ حدود الله فأولئك هم الظالمون ﴾	البقرة ٢/ ٢٢٩	٢١٥
﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا ﴾	البقرة ٢/ ١٤٣	٢٣٨
﴿ من ترضون من الشهداء ﴾	البقرة ٢/ ٢٨٢	٢١٦
﴿ فأما الذين اسودّت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم ﴾	آل عمران ٣/ ١٠٦	١٠٠

الآيات القرآنية		الصفحة
﴿ وشاورهم في الأمر ، فإذا عزمت فتوكل على الله ، إن الله يحب المتوكلين ﴾	آل عمران ٣/ ١٥٩	٢١٤
﴿ إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلهوا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا ﴾	ألنساء ٤/ ١٣٤	٢١٤
﴿ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً ﴾	النساء ٤/ ١٠٢	٢١٥
﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ﴾	النساء ٤/ ٥٧	٢١٨
﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾	المائدة ٥/ ٢	٢١٧
﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾	المائدة ٥/ ٤٧	٢١٧
﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله)	الأنفال ٨/ ٦١	٢١٨
﴿ وإن أحداً من المشركين استجارك فأجره ﴾	التوبة ٩/ ٦	٢١٧
﴿ حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون ﴾	التوبة ٩/ ٢٩	٢٢١
﴿ بسم الله مجراها ومرساها إنّ ربّي لغفور رحيم ﴾	هود ١١/ ٤١	١٤١
﴿ وقال اركبوا فيها بسم الله ﴾	هود ١١/ ٤١	٦٣
﴿ واسأل القرية ﴾	يوسف ١٢/ ٨٢	١٠٠
﴿ إنّا نحنُ نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون ﴾	الحجر ١٥/ ٩	٢٤١
﴿ لتبيّن للناس ما نُزل إليهم ﴾	النحل ١٦/ ٤٤	٤١
﴿ إنّ الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾	النحل ١٦/ ١٢٨	٢١٢
﴿ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها واتبع بين ذلك سبيلاً ﴾	الاسراء ١٧/ ١١٠	٩٤

الآيات القرآنية		الصفحة
﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ﴾	الاسراء ١٧/ ١١٠	٦٣
﴿ أثاثاً ورئياً ﴾	مريم ١٩/ ٧٤	٢٣٢
﴿ وترى الناس سكارى ﴾	الحج ٢٢/ ٢	١٨٣
﴿ مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ﴾	النور ٢٤/ ٣٥	١٤٨
﴿ قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم ﴾	الفرقان ٢٥/ ٧٧	١٨٥
﴿ والشعراء يتبعهم الغاوون ﴾	الشعراء ٢٦/ ٢٢٤	٤٦
﴿ إنه من سليمان ﴾	النمل ٢٧/ ٣٠	٦١
﴿ إني ألقي إلي كتاب كريم ﴾	النمل ٢٧/ ٢٩	٧٩
﴿ إنه مِن سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ﴾	النمل ٢٧/ ٣٠	٦٣
﴿ والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ﴾	الاحزاب ٣٣/ ٤	٢١٥
﴿ وتظنون بالله الظنونا ﴾	الاحزاب ٣٣/ ١٠	٢١٣
﴿ فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون ﴾	الصافات ٣٧/ ١٤٣، ١٤٤	٣٦
﴿ أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب ﴾	الزمر ٣٩/ ١٨	١٧٤
﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾	فصلت ٤١/ ٤٢	١٦٩
﴿ فاصفح عنهم وقل سلام ﴾	الزخرف ٤٣/ ٨٩	٩٦
﴿ سنكتب شهادتهم ويسألون ﴾	الزخرف ٤٣/ ١٩	٢١٦
﴿ وابراهيم الذي وفى ﴾		
﴿ ألا تزر وازرة وزر أخرى ﴾	النجم ٥٣/ ٣٧، ٣٨	٢١٩
﴿ الرحمن علّم القرآن خلق الإنسان علمه البيان ﴾	الرحمن ٥٥/ ١ - ٤	٤٠
﴿ يطوفون بينها وبين حميم آن ﴾	الرحمن ٥٥/ ٤٤	٢٣٩
﴿ يطوف عليهم ولدانٌ مخلدون ﴾	الواقعة ٥٦/ ١٧	٢٣٩

الآيات القرآنية		الصفحة
﴿ وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾	الحشر ٥٩/ ٧	٢١٣
﴿ كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون ﴾	الانفطار ٨٢/ ١١،١٢	٤٨
﴿ الليل إذا يسر ﴾	الفجر ٨٩/ ٤	٢٣٢
﴿ اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ﴾	الفلق ٩٦/ ٣ ـ ٥	٤٧
﴿ اقرأ باسم ربك ﴾	الفلق ٩٦/ ١	٦٧
﴿ ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾	الزلزلة ٩٩/ ٨	١٨٤
﴿ والعاديات ﴾	العاديات ١٠٠/ ١	١٧٥
﴿ إن ربهم بهم ﴾	العاديات ١٠٠/ ١١	١٧٥
﴿ القارعة ما القارعة ﴾	القارعة ١٠١/ ١ ـ ٢	١٠٠
﴿ وما أدراك ما هيه ﴾	القارعة ١٠١/ ١٠	٢٣٣
﴿ ألهاكم التكاثر ﴾	التكاثر ١٠٢/ ١	١٧٤
﴿ والعصر ﴾	العصر ١٠٣/ ١	١٧٥
﴿ تبت يدا أبي لهب ﴾	المسد ١١١/ ١	٥٤
﴿ قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ﴾	الإخلاص ١١٢/ ١ـ٤	٩٨، ١٧٤
﴿ قل هو الله أحد ﴾	الإخلاص ١١٢/ ١	١٠٠

فهرس الأحاديث

الأحاديث	الصفحة
« أصحابي كالنجوم فبأيهم اقتديتم اهتديتم »	١٨٢
« إن الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف »	١٨١
« إن القلم أول مخلوق »	٥٠
« إن من البيان لسحرا »	٤٠ ـ ٤١
« إنكم لتكثرون عند الجزع وتقلّون عند الطمع »	١٨١
« إنما هذا من أخوان الكهان »	٢٢٨
« إياك وما يُعتَذرُ منه »	٢٥٠
« بئس الخطيب أنت . هل قلت : ومن يعص الله ورسوله فقد غوى »	٢٤٤
« ترك الشر صدقة »	١٨١
« الحياء شعبة الايمان »	٢٥٠
« قضاء الله أحق وشرط الله أوثق ، وإنما الولاء لمن أعتق »	٢٢٩
« كل أمر ذي بال لا يبتدأ فيه بالحمد لله فهو أبتر »	١٦٧
« كم دون لسانك من حجاب فقال : شفتاي وأسناني ، فقال : الله يكره الانبعاق في الكلام ، فنضّر الله وجه رجل أوجز في كلامه، واقتصر في حاجته »	٤٣
« لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً خير له من أن يمتلىء شعرا »	٤٤
« لا تجعلوني في أعجاز كتبكم كقدح الراكب »	٦٤
« لا تغضب »	١٨٠

الأحاديث	الصفحة
« ما أعطي عبد شراً من طلاقة اللسان »	٤٣
« مثل الجليس الصالح كالعطار إن لم تصب من عطره أصبت من ريحه ، ومثل الجليس السوء كالكير إن لم يحرق ثوبك آذاك بدخانه »	١٨٢
« المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ،وهم يد على من سواهم والمرء كثير بأخيه »	١٠٠ - ٢١٧
« مطل الغني ظلم »	١٨١
« من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه »	٢٥٠

فهرس الأمثال

- أبلغ العظات النظر إلى محل الأموات ١٨١
- اثنان قلما يجتمعان : اللسان البليغ والشعر الجيد ٤٧
- الخط نصف الكتابة ٥٣
- الخيرة فيما يصنع الله ١٨٢
- رب صبابة غرست من لحظة ، ورب حرب شبت من لفظة ١٨١
- رداءة الخط قذى في عين القارىء ٥٣
- رضى الناس غاية لا تدرك ١٨١
- عند جفينة الخبر اليقين ٣٨
- قبل الرماء تملأ الكنائن ٣٣
- القلم أمد اللسانين ٤٩
- ماء ولا كصدّاء ، وفتى ولا كمالك ١٢٩
- ما فجر غيور قط ١٨١
- من أكثر أهجر ٤٣
- من صنف كتاباً فقد استهدف ، فإن أحسن فقد استعطف ، وإن أساء فقد استقذف ٢٢٢

فهرس الأماكن

- اشبيلية ١٥١ ، ١٨٣
- الأندلس ٥٩
- البصرة ٤٢
- بغداد ١١٩ ، ٢١٠
- البيت الحرام ١٧٧
- جيليقية ٢٤٨
- خراسان ٤٢ ، ٢١٠
- العراق ١٣٥ ، ١٦٨ ، ١٧٢
- فارس ٤٢
- الفسطاط ٢٤٨
- قرطبة ٥٧
- المعرة ١٣٥
- نهر أم عبد الله ٤٢

فهرس الأعلام

ـ الألف ـ

ـ ابراهيم الخليل ١٧٧ ، ٢١١

ـ ابراهيم بن هلال ١٠٥ .

ـ احمد بن طولون ١٠٤ ، ١٠٧ .

ـ احمد بن المعتصم ١٨٤ .

ـ احمد المعري ١٢٥ .

ـ الأحنف ١٨٤ .

ـ الأذفونش ١٦٤ .

ـ ابو إسحاق الصابـي ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ٢١١ .

ـ ابو اسحاق بن خفاجة ١٣٧ ، ٢٣٦ .

ـ ابو اسحاق الحصري ١٢٥ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠ .

ـ الاسكندر ١٨٠ .

ـ اسماعيل ١٧٧ .

ـ الأصمعي ٤٥ ، ٦١ ، ٩٥ .

ـ الأعلم ٧٦ .

ـ الأعور الشنّي ١٧٠ .

- افلاطون ١٨٠ .
- امية بن الأشكر ١٧٠ .
- انس بن مالك ٢١٠ .
- ابو أيوب بن أمية ١٤١ ، ١٤٢ .

الباء

- بختيار ١٠٦ ، ١١٠ ، ١١٦ .
- بديع الزمان الهمذاني ٨٠ ، ١٥٨ ، ١٩٦ .
- ابن برد الأصفر ٤٩ .
- بقراط ٥٤ .
- ابو بكر الخوارزمي ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٩ ، ١٤٧ ، ١٦٣ .
- ابو بكر القصير ١١٧ .
- ابو بكر بن سعيد البطليوسي ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٥ .
- ابو بكر ٦٦ ، ٨٥ ، ١٦٨ ، ١٨٠ ، ١٨١ .
- ابو بكرة ٤٢ .
- ابو بكر بن عبد الرحمن ٢١٠ .
- ابو بكر بن العربي ١٨٨ ، ٢٢٥ ، ٢٣٧ .
- ابن برد الأصغر ٤٩ .

التاء والثاء

- ابو تمام ٣٩ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ١٠١ ، ١٨٤ ، ٢٢٢ ، ٢٣٣ .
- الثعالبي ٢٢٤ .
- ثعلب ١٧٩ .
- ابن ثوابة ١٠٧ .

الجيم

- الجاحظ ٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٢٩ .
- جبلة بن الأيهم ١١٣ .
- الجرجاني ١٢٢ .
- جعفر ٢٤٩ .
- ابو جعفر ٢٤٩ .
- الجماز ٥٦ .
- جميل بثينة ٨٧ .

الحاء

الحافظ = أحمد بن حسين ١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٤٧ ، ١٥٤ ، ١٦٠
- الحافظ بن اسماعيل ٥٢ ، ٥٦ ، ٦٦ .
- الحافظ ابو الفضل ٨٧ ، ٢٣١ ، ٢٤٢ .
- الحافظ الهيثمي ٤٢ ، ٥٤ .
- ابن حبيب ٩٦ .
- حجاج بن يوسف ١٧١ ، ١٧٥ .
- ابن حجاج ١٦٩ ، ٢٢٦ .
- حسان بن ثابت ٤٥ ، ١١٣ .
- الحسن والحسين ١٨٦ .
- أبو الحسن بن الأقطر ٢٤٤ .
- ابو الحسن بن بسام ١١٧ ، ١٣٧ ، ٢٠٨ ، ٢٢٥ ، ٢٤٩ .
- ابو الحسن السلامي ١٢٢ .
- ابو الحسن الجرجاني ١٢٢ .

- الحسن بن سهل ٥٦ .
- ابو الحسن بن شراج ١٤٠ .
- ابو الحسن بن شريح ١٧٥ .
- ابو الحسن بن فارس ١٨٦ ، ٢٢٢ .
- الحصري ٢٣٧ .
- الحطيئة ١٨٩ .
- ابن حمدين ١٥١، ٢٢٢ .
- حمزة بن عبد المطلب ١٦٩ ، ٢٤٠ .
- ابو حنيفة ١٧٠ ، ١٧١ .
- حواء بن تاشفين ٦٣ .

الخاء

- خالد القسري ١٦٨ .
- خالد بن الوليد ٨٥ .
- الخليل بن أحمد ١٣٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ .
- خمارويه ٧٦ .

الدال والذال

- ابو الدرداء ١٨٠ .
- ابن دريد ١٢٦ ، ١٨٦ .
- ابن دينار ٦٦ .
- ابو الذبّان ٢٤٢
- ابو ذر الغفاري ٩٥ .
- الأذفونش ١٦٤ .
- ذو الرمة ٢٩ .

الراء والزاي

- ابن الرقاع ٨٣ .
- ركن الدولة ١١٠ ، ١١٨
- الرماني ١٠٢ .
- الزبرقان بن بدر ٤١ .
- الزبير بن العوام ٨٣ .
- زكرياء ٦٣ .
- ابو زكريا ٣٤ .
- زهير ٢٢٩ .
- زياد ١٨٦ .

السين والشين

- سبكتكين الغزني ١١٦ .
- ابن سراج ٧٦ ، ٧٧ .
- سعيد بن هاشم ٢٠٨ .
- ابو سعيد المخزومي ٤٥ .
- ابن السكيت ٣٦ .
- ابو سفيان ٩٥ .
- سقراط ٣٤ .
- سليمان ٨٤ .
- سيبويه ١٣٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٩ .
- سيف الدولة ٤٨ ، ٨٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٧١ ، ٢٤٨ .
- الشافعي ١٧١ .
- شريح ٨٥ ، ٨٦ ، ٢٤٤ ، ٢٤٣ .

- الشريف الرضي ٢٠٩ .
- الشريف المرتضى ٢٠٩ .

الصاد والضاد

الصاحب الأصبهاني ١٢١ .
الصاحب بن عباد ٥١ ، ٧٢ ، ٩١ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٦ ، ٢٣٦ .
- صفوان بن أمية ٩٤ .
- ابن صمادح ١٠٨ .

الطاء والظاء

- ابو طالب ٩٥ .
- الطبري ٤٢ .
- الطرابلسي ٥٧ .
- ابو الطيب (المتنبي) الجعفي : ٥١ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٧٦ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ١٠٢ ، ١٢٥ ، ١٣٥ ، ١٤٥ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٧١ ، ١٨٥ ، ٢٤٢ ، ٢٤٨ .

العين

- عائشة ٨٧ ، ٨٩ .
- عامر ٦٣ .
- أبو عامر بن شهين ٥٤ ، ٥٥ ، ٢٢٩ .
- ابن عباس ٩٠ ، ٩٤ .
- أبو العباس الضبي ١٦٢ .
- عبد الحميد الكاتب ١١٩ ، ١٥٩ .

- ابن عبدكان ٧٥ ، ١٠٤ .
- عبد الله بن ابي ربيعة ٤٥ .
- عبد الله ٢٤٨ .
- ابو عبد الله ٤٢ .
- عبد الله بن الزبعرى ٢٥٥ ، ٢٥٦ .
- ابو عبد الله بن سليمان ٢٠٩ .
- ابو عبد الله بن أبي العافية ٦٥ ، ٧٦ ، ٩٠ ، ٢٢٦ ، ٢٤٤ .
- ابو عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم العتقي المصري ٢١٠ .
- عبد الله بن عامر ٢٤٢ .
- عبد الله بن عمر ٦٦ ، ٩٠ ، ٩٦ .
- عبد الله بن عمرو بن العاص ٢٢٠ .
- عبد الملك بن ادريس ٢٤٨ .
- ابو عبيدة ١٧٠ .
- العتبي ٢٣٦ .
- عثمان بن عفان ٤٢ ، ٤٥ ، ١٦٨ .
- عضد الدولة ١٠٩ ، ١١٤ ، ١١٨ .
أبو العلاء المعري ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٨ ، ٤٦ ، ٥٨ ، ٦٨ ، ٩٨ ، ١٢٥ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٧٩ ، ١٨٦ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٣٩ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ .
- علي بن أبي طالب ١٧٠ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٧ .
- ابو علي الفارسي ٥٩ .
- علي بن يوسف بن تاشفين ١٧٦ ، ١٧٨ .
- عمار بن ياسر ١٦٧ .
- ابو عمران ٢١٠ .

- عمر بن الخطاب ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ .
- عمر بن عبد العزيز ١٧٤ .
- ابو عمرو بن العلاء ٩٥ ، ٢٢٨ .
- عمرو ١٨٤ .
- عمرو بن الأهتم ٤١ .
- عيسى بن هشام ١٢٦ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ .
- عيسى ٨٢ .
- ابو عيينة ٢٢٩ .
- غرّة الدولة بن تغلب ١٠٦ .
- غيلان بن فرشة الضبي ٤٢ .

الفاء

- ابن فارس ١٨٦ .
- فاطمة ١٨٦ .
- فتاة بن عمير ١٣٦ .
- ابو الفتح الاسكندري ١٢٦ ، ١٩٨ ، ١٩٩ .
- ابو الفتح بن جني ٥٨ ، ٧٥ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ١٦٥ .
- الفتح بن خاقان ١٠٧ ، ١٠٨ .
- ابو الفتح بن العميد ١١٠ ، ١١٦ ، ١١٩ ، ١٥٩ .
- ابو فراس الحمداني ٨٦ .
- ابو الفرج البيغا ١٥٧ .
- ابو الفضل البستي ١٢١ ، ١٣١ ، ٢٣٩ .
- ابو الفضل بن العميد ١١٩ ، ١٥٩ .
- ابو الفضل الميكالي ١٢٢ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٥٤ .

- ابو الفضل الهمذاني ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ٢٠٤ .
- ابن الفياض ٤٨ .

القاف

- ابو القاسم بـن اسماعيل ٨٥ ، ٩٣ .
- أبو القاسم بـن الحبر ١١٧ ، ١٨٣ ، ١٨٤ .
- ابو القاسم الزعفراني ١٦٦ .
- ابو القاسم بن يوسف ١١٦ .
- القتبي = ابن قتيبه ٨٣ ، ٨٨ .
- القحطاني ٢٢٠ .
- قدامة بن جعفر ١٠٢ .
- قس بن ساعدة ١٦٩ .
- ابو القصار ٢٤٥ .
- قطر الندى ١٠٧ .
- القعنبي ٦٦ .
- قيس بن خارجة الفزاري ٩٨ ، ١٦٧ .
- قيس بن عاصم ٤١ .

الكاف

- كسرى ١٨٩ .
- الكندي ٤٦ ، ١٨٤ .

اللام

- لبيد ٨٨ ، ٨٩ .
- لؤلؤ ١٠٤ .

الميم

- مالك ٦٦ ، ١٧١ ، ٢١٠ .
- مالك بن حنظلة ١٩١ .
- ابن مجاهد ١٠٨ .
- المجيد العسقلاني ٢٣٧ .
- محمد بن عباد ٢٠٨ .
- ابو محمد بن عبد البر ١٠٨ .
- ابو محمد بـن عبد الغفور ١١٧ .
- ابو محمد بـن عبدون ١١٧ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٨ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ .
- محمد بن مناذر اليربوعي ٢٤٩ .
- محمد بن هاشم ٢٠٨ .
- مدبر الدولة ١١٩ .
- ابو مروان الباجي ٢٠٩ .
- مسروق ١٨٦ .
- ابن المسيب ٢٢٨ .
- معاوية بن ابي سفيان ٤٢ .
- المعتضد ٧٦ ، ١٠٧ ، ٢٤٧ .
- المعتمد بن عباد ١٦٤ ، ١٦٩ ، ١٩٤ ، ١٩٥ .
- معن بن زائدة ١٦٦ .
- المعقلي ١٦٥ .
- ابو المغيرة بـن حزم ١٤٤ ، ١٤٥ .
- ابن المقفع ٢٠٠ .
- المنصور ٢٤٨ .
- ابو منصور ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٦١ ، ١٦٣ .

- ابو منصور الثعالبي ٢٠٨ .
المهلبي ٧٩ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٦٣ .
- موسى بن ابراهيم الرافقي ٣٩ .
- مؤيد الدولة ١١٠ .

النون

- ناشب بن بشامة الاعور ١٩٠ .
- ناصر الدين ٢٠٨ .
- ابو النجم ١٠٦ .
- النحاس ٦٥ .
- ابو نصر ١٢٧ .
- ابو النصر العتْبي ١٦٢ ، ٢٣٦ .
- نمير ١٣٦ .

الهاء والواو والياء

- هارون الرشيد ١٢٢ .
- الهذيل بن الاخنس ١٩١ .
- أبو هريرة ٩٥ .
- هشام بن عبد الملك ١٦٨ .
- أبو هفان ٥٠ .
- هشام بن نشابة ١٩١ .
- الهمذاني ٥٤ .
- واصل بن عطاء ١٧٢ .
- ابو الوليد بن جهور ٢٤٧ .
- ابو الوليد بن رشد ١٦٢ .

- ابو الوليد بن زيتون ٢٤٧ .
- ابن وهب ٢١٠ ، ٢٢٦ .
- يحيى ٦٦ .
- ابو يعقوب يوسف ٩٨ .
- يعقوب ٢١١ .
- يعقوب بن تاشفين ١٦٤ .
- يوسف ١٨٤ .

فهرست القوافي

الوغى	المتقارب	الكلاعي	١٥٠
الماء	البسيط	الكلاعي	١٥٢
الأشياء	الكامل	المتنبي	٥٨
سماؤه	الكامل	أبو تمام	١٠١
الراء	البسيط	الصاحب	
أعضائها	المتقارب	الكلاعي	١٥٣
أقاربه	الطويل	المهلبي	١٤٦
كتاب	الطويل	المتنبي	٧٩
وخطاب	الطويل	المتنبي	١٠٢
يكتسب	البسيط	ذو الرمة	١٨٣
غريب	البسيط	الحصري	٢٣٧
نجيب	الوافر	ابن عبدون	١٥٠
جلاب	المديد	الكلاعي	١٥٢
اعجب	السريع	الكلاعي	١٥٣
والاعذب	السريع	الكلاعي	١٥٤
كوكب	السريع	الكلاعي	١٥٣
كاتب	الطويل	المتنبي	٥١
ناعب	الطويل	-	٦٠

بنصيب	الطويل	المتنبي	٨٧
الغضب	البسيط	المتنبي	٦٤
الصحاب	الوافر	ابن الرومي	٥٢
الكتاب	الوافر	-	٧٠
كالعقرب	الكامل	-	٦٠
قلبه	السريع	المتنبي	٨٦
ينتبهْ	-	البديع	٥١
الطلب	الخفيف		١٩٩
عجب	المنسرح	-	٥٤
وريح	الوافر	الكلاعي	١٥٢
الصباح	الخفيف	المهلبي	٧٩
بالقوارح	الطويل	جميل	٨٨
يتعهدا	الطويل	المهلبي	١٤٩
الزندا	الطويل	الكلاعي	١٥٣
العدا	الطويل	المتنبي	١٧١
مجدا	الطويل	البديع	٢٠١
وزادها	الكامل	ابن الرقاع	٨٣
خدود	الطويل	-	١٠١
فيعقد	الطويل	-	١٤٤
تجد	البسيط	-	٨١
والسعود	الوافر	الراعي	١٣٦
الضد	الكامل	-	٥٠
يحد	السريع	والد المؤلف	٤
والغد	الطويل	المعري	١٢٥

بالمد	الطويل	المهلبي	١٤٨
الاضداد	الخفيف	المعري	٢٤٧
ضده	السريع	المعري	٥٨
خالد	السريع	ابو فراس	٨٦
حمده	السريع	-	٩٢
جلده	الرجز	أحمد بن اسماعيل	٤٣
القدود	المتقارب	المتنبي	٨٨
مولود	المضارع	المتنبي	٨٦
اعتذر	الطويل	لبيد	٨٨
شاعرا	السريع	أبو سعيد المخزومي	٤٥
أخرى	السريع	المهلبي	١٤٩
الخمارا	الرمل	-	١٨٣
الصبر	الطويل	ابن زيدون	٢٤٧
الذكر	الطويل	ابن عبدون	١٥٠
عمر	البسيط	الحطيئة	٨٩
بعير	الوافر	-	٧١
حافره	السريع	الكلاعي	١٥٣
لخاطر	السريع	جد المؤلف	١٩٥
باهر	السريع	جد المؤلف	١٩٤
مقاديرها	المتقارب	الأعور الشني	١٧٠
خدر	المنسرح	-	٤٩
شكره	الطويل	الببغا	١٥٨
السرير	الوافر	-	١٦٨
قراري	المجتث	البديع	٢٠٢

وبرز	المجتث	البديع	١٩٨
التجاوز	الطويل	المهلبي	١٤٩
شمس	الطويل	الكلاعي	٦٠
اياس	الكامل	أبو تمام	١٨٤
النفس	المنسرح	أبو تمام	١٠١
متاعها	الطويل	جد المؤلف	١٩٥
المساعي	الوافر	ابن عبدون	١٥١
وقوفا	الكامل	المجيد العسقلاني	٦٢
للصدف	البسيط	الكلاعي	٣٠
وتصاف	الكامل	المعري	٢٠٩
الضعيف	المتقارب	المهلبي	١٤٩
صدقا	البسيط	حسان	٤٦
فاعتنقا	الرجز	-	٥١
لناشق	الطويل	حسان	٧٢
وخندق	الطويل	الكلاعي	١٥٥
عامله	البسيط	البستي	٢٤٠
حاله	الكامل	البديع	٢٠٤
تولى	الخفيف	-	٥٢
نسل	الطويل	البستي	٢٣٩
اشغال	البسيط	المتنبي	٧٦
مثلي	الطويل	-	٦٤
رجل	الطويل	المتنبي	١٤٥
البطل	البسيط	الببغا	١٥٨
قبلي	البسيط	المتنبي	١٦٥

الرجال	الوافر	المتنبي	٧٢
آله	الكامل	المتنبي	٨٧
فعله	الكامل	المهلبي	١٤٨
والكرم	الطويل	البستي	١٤٩
نم	المتقارب	بشار	٨٠
ومطعما	الطويل	-	٨٠
لائما	الطويل	المرقش الأصغر	١٧٩
خاتمه	الطويل	المتنبي	١٨٥
العرمرم	الطويل	المتنبي	١٦٤
منهوم	البسيط	المهلبي	١٥٠
الهمم	البسيط	الببغا	١٥٧
السلام	الوافر	الأحوص	٩٠
تتكلم	الطويل	-	١٠٢
حسام	الطويل	ابن عبدون	١٥١
الحسام	الوافر	ابن عبدون	٥٠
المدام	المتقارب	المهلبي	١٤٨
ترجمان	السريع	عوف بن محلم	٨٣
بالسمتين	الرجز	-	٢٣٣
وقرآنا	البسيط	حسان	٦٠
بلبنى	الوافر	ابن عبدون	١٥٠
طحينا	المتقارب	المهلبي	١٤٩
أنا	المتقارب	الصاحب	١٦٦
حائن	الطويل	المهلبي	١٤٩
يقين	الكامل	المهلبي	١٤٩

سيان	الطويل	الكلاعي	١٥٣
حمدين	البسيط	ابن عبدون	١٥١
الرياحين	البسيط	ابن عبدون	١٤٨
المجانين	البسيط	والد المؤلف	١٥١
الخسن	البسيط	-	١٦٤
الضان	البسيط	أمية بن الاشكر	١٧٠
البيان	الوافر	-	٤٠
فالموقفين	الوافر	أبو تمام	٢٣٣
معين	المتقارب	البستي	٢٤٠
يروه	الوافر	الكلاعي	١٥٢
ينتبه	السريع	-	٥١
ذكرناها	المنسرح	المتنبي	٦٢
بديه	الوافر	-	٤٨
فيه	الوفر	المهلبي	١٦٣
تغانيا	الطويل	عبد الله بن جعفر	٩٢
حاديا	الطويل	ابن عبدون	١٥٠
ماهيا	الطويل	ابن عبدون	١٥٠
نسيه	الوافر	-	١٦٤

فهرس الكتب التي ذكرها المؤلف

أجناس التجنيس للثعالبي ٢٢٥
أحاسن المحاسن للثعالبي ٢٢٥
أحسن ما سمعت للثعالبي ٢٢٥
كتاب الاستغفار للمعري ٢٢٤
إصلاح المنطق لابن السكيت ٣٦ ، ١٣٧
كتاب الف غلام للثعالبي ٢٢٥
كتاب الأمثال لأبي عبيدة ١٧٠
الانتصار لأبي الطيب لابن عبد الغفور الكلاعي ٥٨ ، ٧٦ ، ٨٨ ، ١٠١ ، ١٦٧ ، ١٨٥ ، ٢٣٣ .
برد الأكباد في الأعداد للثعالبي ٢٢٥
البيان في إعراب القرآن لأبن أبي العافية ٢٢٧
تتمة اليتيمة للثعالبي ٢٢٥
التمثيل والمحاضرة للثعالبي ٢٢٥
التوابع والزوابع لابن شهيد ٢٢٥
التوراة ١٠٠
الثلج والمطر للثعالبي ٢٢٥
ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي ٢٢٥

ثمرة الأدب لابن عبد الغفور الكلاعي ٣٤ ، ٤٤ ، ١٤١
كتاب جامع الأوزان للمعري ٢٢٤
حانوت عطار لابن شهيد ٥٥
حل العقد للثعالبي ٢٢٥
خطبة الإصلاح لابن عبد الغفور الكلاعي ٣٦
خطبة الفصيح للمعري ٣٦ ، ١٧٨ ، ٢٢٤
الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة لابن بسام ٢٢٥
كتاب ذكرى حبيب للمعري ٢٢٤
رسالة الاغريض للمعري ٣٦ ، ١٣١ ، ٢٣١
رسالة الجن للمعري ٢٢٤
رسالة الرشيدية للاعلم ٧٧
رسالة لجد المؤلف ١٩٧
رسالة الساجعة والغربيب لابن عبد الغفور الكلاعي ٣٤ ، ١٤٢ ، ١٥٤ ، ١٨٧ ، ١٨٨
رسالة الصاهل والشاحج للمعري ٣٤ ، ٣٩ ، ١٨٦ ، ٢٢٤
رسالة الغفران للمعري ٢٢٤
رسالة الفلاحة للمعري ٢٢٤
رسالة المنيح للمعري ٢٢٤
رسالة النكاح للمعري ٢٢٤
كتاب السجع السلطاني للمعري ٣٢ ، ٣٣ ، ٢١٩ ، ٢٢٤
سجع المنثور للثعالبي ٢٢٥
السحر والبلاغة للثعالبي ٢٢٥

سقط الزند للمعري ٣٤ ، ٣٨ ، ٢٢٤
كتاب شرح لغة كتاب خطبة الفصيح لثعلب ، للمعري ٢٣١
كتاب في شعر أبي الطيب للمعري ٢٢٤
كتاب ضوء السقط للمعري ٢٢٤
الطرائف واللطائف للثعالبي ٢٢٥
كتاب طيف الخال للمرتضى ٢٠٩
غرر المضاحك للثعالبي ٢٢٥
فتيا فقيه العرب لابن فارس ١٨٦
الفرائد والقلائد للثعالبي ٢٢٥
كتاب الفصول والغايات في تمجيد الله والعظات للمعري ٢٢٤
فقه اللغة للثعالبي ٢٢٥
كتاب القائف للمعري ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٢٤
الكتاب لسيبويه ٢٢٥ ، ٢٢٦
الكفاية والنهاية للثعالبي ٢٢٥
كتاب كليلة ودمنة ٢٠٤ ، ٢٠٦
كتاب لزوم ما لا يلزم للمعري ٢٢٤
كتاب لسان الصاهل للمعري ٢٢٤
لمحة البارق في تقريظ لواحظ السابق لأبي بكر
ابن العربي ١٨٨
اللمع الغضة للثعالبي ٢٢٥
المبهج للثعالبي ٢٢٤
مجمل اللغة لابن فارس ٢٢٢
مختصر اصلاح المنطق لأبي القاسم المغربي ١٣٧
المدونة في الفقه ٢٢٥

مرآة المروءة للثعالبي ٢٢٥
الملاحن لابن دريد ١٨٦
كتاب المنخل من إصلاح المنطق للكلاعي ٣٦
كتاب اليتيمة للثعالبي ٢٠٨ ، ٢٢٥

فهرس مراجع التحقيق والتعليقات
الوارد ذكرها في الكتاب

- ابو الطيب المتنبي ماله وما عليه . مصر ١٣٢٣ - ١٩٢٥ .
- أدب الكاتب لابن قتيبة - ط ٤ - محمد محيي الدين عبد الحميد - مطبعة السعادة مصر ١٣٨٣ - ١٩٦٣ .
- أحكام أهل الذمّة لابن قيّم الجوزية - تحقيق الدكتور صبحي الصالح - طبع جامعة دمشق .
- أدب الكتاب للصولي ، تحقيق محمد بهجة الأثري - المطبعة السلفية - مصر - ١٣٤١ .
- الاستقصا للسّلاوي الناصري - ط المغرب - ٩ أجزاء .
- الأسماء والصفات للحافظ البيهقي - مصر - ١٣٨٥ .
- الأشباه والنظائر (حماسة الخالدين) ط مصر - تحقيق محمد يوسف .
- إصلاح المنطق لابن السكيت - دار المعارف - مصر .
- الأغاني - لأبي الفرج الأصفهاني - طبعة الساسي - مصر .
- الاقتضاب بشرح أدب الكتاب لابن السّيد البطليوسي بيروت ١٩٠١ .
- أقسام ضائعة من تحفة الأمراء للصابي - جمعها ميخائيل عواد - بغداد ١٩٤٨ .
- أمالي الشريف المرتضى - القاهرة - مطبعة عيسى الحلبي .
- الإنصاف في التنبيه على المعاني والأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم - ابن السيد البطليوسي - دار الفكر - الطبعة الثانية - تحقيق د . محمد رضوان الداية .

- البدر المنير في أحاديث البشير النذير - نشر محمد حسين الخشّاب - مصر ١٢٧٧ .
- بغية الملتمس للضبّي - نشرة قديرة - مدريد ١٨٨٤ .
- بغية الوعاة للسيوطي (ط ١) - الخانجي ١٣٢٦ .
- البيان والتبيين للجاحظ - ط ٢ - تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة .
- تاج المفرق بتحلية علماء المشرق لأبي البقاء البلوي - ط المغرب - جزآن .
- تاريخ الأدب الأندلسي - الدكتور إحسان عباس - بيروت (عصر الطوائف والمرابطين) .
- تاريخ الأدب العربي - الدكتور عمر فروخ - دار العلم للملايين .
- تاريخ الأدب العربي بروكلمان (الأجزاء المترجمة) و (النسخة الالمانية) .
- تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي - مصر .
- تاريخ النقد الأدبي في الأندلس - الدكتور محمد رضوان الداية - ط ٢ - مؤسسة الرسالة دمشق .
- تأويل مشكل القرآن - ابن قتيبة - تحقيق سيد صقر - القاهرة .
- تجارب الأمم - مسكويه - طبعة فرج الله الكردي - مصر ١٩١٥ .
- تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء - هلال بن المحسّن الصابي - بيروت ١٩٠٤ .
- تحرير التحبير - ابن أبي الاصبع - القاهرة - المجلس الإسلامي الأعلى .
- تعريف القدماء بأبي العلاء - القاهرة - دار الكتب المصرية ١٣٦٣ - ١٩٤٤ .
- تفسير ابن كثير - مطبعة المنار - مصر ١٣٤٦ .
- تفسير الطبري - القاهرة .
- تفسير القرطبي : الجامع لأحكام القرآن - دار الكتب المصرية - القاهرة .
- التكملة - لابن الأبيّار - نشر عزة العطّار الحسيني - مصر ١٣٧٥ - ١٩٥٦ .
- تنزيه القُرآن عن المطاعن - القاضي عبد الجبار الهمذاني - مصر - ١٣٢٩ .
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب - الثعالبي - ط ١ - مصر - ١٣٢٦ .
- الجامع في أخبار أبي العلاء - سليم الجندي - المجمع العلمي العربي - دمشق .

- جذوة الاقتباس - ابن القاضي - ط الرباط - جزآن .
- جمهرة الأمثال للعسكري - جزآن - القاهرة .
- جمهرة خطب العرب - أحمد زكي صفوت (العصر الأموي) ط ١ - ١٣٥٢ - ١٩٣٣ .
- خاصّ الخاص - الثعالبي - ط ١ - ١٣٢٦ - ١٩٠٨ - مصر .
- خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني (قسم المغرب والأندلس) .
- تحقيق محمد المرزوقي ورفيقه - ط ٢ - الدار التونسية - ١٩٧٣ .
- دول الطوائف - محمد عبد الله عنان - القاهرة - مكتبة الخانجي .
- خزانة الأدب (تقديم أبي بكر) لابن حجة الحموي - ط مصر .
- ابن خفاجة - محمد رضوان الداية - سلسلة الذخائر - العدد ٢ .
- ديوان ابن خفاجة - تحقيق الدكتور سيد غازي - الاسكندرية - ١٩٦٠ .
- ديوان ابن زيدون - تحقيق علي بن عبد العظيم - مصر ١٩٥٧ .
- ديوان أبي تمام - ط شاهين عطية - المطبعة الأدبية بيروت ١٨٨٩ .
- ديوان أبي الفتح البُستي - ط ١ - مصر (وطبعة الدكتور محمد مرسي الخولي) .
- ديوان أبي فراس الحمداني - تحقيق الدكتور سامي الدهان - بيروت ١٣٦٣ - ١٩٤٤ .
- ديوان أبي نواس - طبعة مصر ١٨٩٨ .
- ديوان جميل بثينة جمع الدكتور حسين نصّار - مكتبة مصر .
- ديوان حسّان بن ثابت - نشرة عبد الرحمن البرقوقي .
- ديوان الحصري القيرواني - تونس - ١٩٦٣ .
- ديوان الخالديّين - تحقيق الدكتور سامي الدهّسان - دمشق - مجمع اللغة العربية .
- ديوان ذي الرمّة - تحقيق مكارتني - كامبردج ١٩١٩ (والطبعات التالية) .
- ديوان لبيد - تحقيق الدكتور إحسان عباس - الكويت .

- ديوان المتنبي بشرح الواحدي - برلني ١٨٦١ .
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة - تحقيق الدكتور إحسان عباس - بيروت .
- رايات المبرّزين وغايات المميّزين - ابن سعيد - تحقيق غارثيا غومس - مدريد ١٩٤٢ .
- رسائل بديع الزمان الهمذاني - الجوائب - ١٢٩٨ .
- رسائل أبي العلاء المعرّي - ط شاهين عطية - بيروت ١٨٩٤ .
(وروجعت طبعة عمّان - مجمع اللغة العربية) .
- رسالة الغفران للمعري - تحقيق الدكتورة بنت الشاطي - القاهرة - دار المعارف .
- رسالة الصاهل والشاحج - المعري - تحقيق د . بنت الشاطىء - القاهرة - دار المعارف .
. زهر الآداب للحصري القيرواني - ط علي البجاوي - مصر ١٣٧٢ - ١٩٥٢ - مصر - عيسى البابي الحلبي .
- زجر النابح - المعري - جمعها وحققها الدكتور أمجد الطرابلسي - دمشق - مجمع اللغة العربية .
- سرّ الفصاحة لابن سنان الخفاجي - القاهرة .
- سنن النسائي - ط مصر .
- سنن أبي داود = مختصر سنن أبي داود .
- شرح أدب الكاتب للجواليقي - طبعة حسام الدين القدسي - مصر .
- شرح سقط الزند للمعرّي - طبعة دار الكتب المصرية .
- شرح شواهد المغني للسيوطي - طبعة مصر الأُولى .
- شرح مقامات الحرير للشريشي - ط القاهرة .
- الشعر والشعراء - ابن قتيبة - تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر - مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٣٦٤ .
- صحيح البخاري = فتح الباري .

- صحيح الترمذي بشرح أبي بكر بن العربي = عارضة الأحوذي (مصر - ١٣٥٣) .
- صحيح مسلم بشرح النووي - المطبعة الأزهرية - مصر ١٣٤٩ .
- الصلة لابن بشكوال - مصر - الدار المصرية .
- طبقات الشعراء لابن المعتزّ - عبد الستار فرّاج - دار المعارف مصر .
- طبقات فحول الشعراء - ابن سلاّم الجمحي - تحقيق محمود محمد شاكر - دار المعارف بمصر .
- العقد - ابن عبد ربه - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة .
- عيون الأخبار - ابن قتيبة - دار الكتب المصرية - القاهرة .
- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر - مصر .
- الفتح الكبير للسّيوطي - ترتيب الشيخ يوسف النبهاني - مطبعة مصطفى الحلبي - مصر ١٣٥٠ .
- فحولة الشعراء للأصمعي - المطبعة المنيرية - مصر .
- فريدة العصر في جداول يتيمة الدهر - أحمد القرشي - كلكتّا - ١٩١٤ .
- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال لأبي عبيد البكري - تحقيق الدكتور إحسان عباس وعبد المجيد عابدين - مطبوعات جامعة الخرطوم .
- الفهرست لابن النديم - تحقيق فلوجل .
- قلائد العقيان لابن خاقان - ط مصر .
- كتاب الكتّاب لابن درستويه - بيروت ١٣٢١ .
- مجمع الأمثال للميداني - مصر - الطبعة الأولى - جزآن .
- مجمع الزّوائد ومنبع الفوائد للحافظ الهيثمي - نشره حسام الدين القدسي ١٣٥٣ .
! مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري - مصورة دار الكتب المصرية - (برقم ٥٥٩ معارف عامة) .
- مطمح الأنفس : الفتح بن خاقان - مطبعة الجوانب .

(وروجعت طبعة عمّان ـ مؤسسة الرسالة) .
ـ المعجب للمراكشي ـ مصر ـ المجلس الاسلامي الأعلى .
ـ معجم البلدان ـ ياقوت ـ طبعة الخانجي .
ـ المغرب في حلى المغرب لابن سعيد ـ دار المعارف بمصر ـ ط ١ .
ـ مقاييس اللغة ـ ابن فارس ـ ط الخانجي .
ـ الملاحن لابن دُريد ـ المطبعة السّلفية .
ـ المنصف (في نقد الشعر وبيان سرقات المتنبي) لابن وكيع ـ تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية ـ دار قتيبة ـ دمشق .
ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ـ ابن الجوزي ـ حيدر أباد ١٣٥٧ ـ ١٣٥٩ .
ـ الموطأ للإمام مالك ـ نشره محمد فؤاد عبد الباقي ـ مصر .
ـ نثر النظم وحلّ العقد ـ الثعالبي ـ مصر ـ ١٣٧٧ .
ـ النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ـ دار الكتب المصرية .
ـ نفح الطيب ـ المقري ـ نشره الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ـ القاهرة .
(وروجعت طبعة الدكتور إحسان عباس) .
ـ نقد الشعر ـ قدامة بن جعفر ـ الجوائب ـ ١٣٠٢ .
ـ نهاية الأرب ـ النويري ـ طبعة دار الكتب المصرية .
ـ نوادر المخطوطات ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ القاهرة .
ـ الوافي بالوفيات ـ الصفدي ـ الجزء الثالث ـ دمشق ١٩٥٣ .
ـ وفيات الأعيان ـ ابن خلكان ـ بولاق ١٢٩٩ .
(وروجعت طبعة بيروت) .
ـ الولاة والقضاة للكندي ـ تحقيق ريغن جسب ـ بيروت ـ ١٩٠٨ .
ـ يتيمة الدهر للثعالبي ـ مطبعة الحفني ـ دمشق .

فهرس محتويات الكتاب

مقدمة الطبعة الثانية ٥

مقدمة الطبعة الأولى ٩

إحكام صنعة الكلام ٢٧

مقدمة المؤلف ٢٩ ـ ٤٠

(محاورة بينه وبين المعترض عليه ٢٩ . مجلس ثان معه : ٣١ ، مجلس ثالث ومعارضة أبي العلاء المعري : ٣٣ ، مجلس رابع : مفاضلة بين النظم والنثر : ٣٩) .

فصل في فضل البيان ٤٠

فصل في الترجيح بين المنظوم والمنثور ٤٤

فصل في الكتابة وآدابها ، وما يتعلّق بها من أسبابها ٤٧

فصل في رتبة الخطأ وتسوية البطاقة وختمها ٥٣

فصل في العنوان ٥٩

فصل في الاستفتاح ٦٣

فصل في الصلاة على النبي (ﷺ) ٦٤

فصل في صدور الرسائل ٦٧

فصل الإشارة في الصدور إلى الغرض المذكور ٧٥

فصل في التخلّص من الصدور إلى الغرض المذكور ٧٨

فصل في الدُّعاء ٨١
فصل في السلام ٨٨
فصل في مكاتبة أهل الكفر ٩٣
فصل في أقسام الخطاب ٩٧
(الإسهاب ٩٧ ، الإيجاز ٩٨ المساواة : ١٠٢) .
فصل الترسيل ١٠٣
فصل العاطل ١٠٤
(ابن عبد كان : ١٠٤)
فصل الحسالي ١٠٥
(ابو إسحاق الصابي : ١٠٥ ، أبو القاسم بن يوسف : ١١٨ ، أبو الفضل بن العميد : ١١٩) .
فصل المَصْنُوع ١٢١
(الصاحب بن عباد ١٢١ ، بديع الزمان الهمذاني : ١٢٤ ، أبو بكر الخوارزمي : ١٢٩ ، أبو الفتح البستي : ١٣١ ، أبو الفتح الميكالي : ١٣٢) .
فصل في المرصَّع ١٣٤
(أبو العلاء المعرّي : ١٣٥ ، أبو إسحاق بن خفاجة : ١٣٧ ، أبو بكر بن سعيد البطليوسي : ١٤٠ ، من إنشاء المؤلف : ١٤١ ، ١٤٣ ، أبو أيوب بن أبي أمية : ١٤٢ ، أبو المغيرة بن حزم : ١٤٤) .
فصل المغصّن ١٤٥
فصل المفصّل ١٤٨
(من إنشاء المؤلف : ١٥٢ . لأبي الفضل الميكالي : ١٥٤ ، للمؤلف من الساجعة والغربيب : ١٥٥ ، أبو الفرج الببغاء : ١٥٧) .
فصل المبتدع ١٥٨
(أبو محمد بن عبدون : ١٥٨ ، للمؤلف : ١٦٠) .

فصل في التوقيع ١٦١
(أبو النصر العتبي : ١٦٢ ، أبو الوليد بن رشد : ١٦٢ ، المهلّبي : ١٦٣ . التوقيع بالشعر : ١٦٤ ، سيف الدولة الحمداني : ١٦٦) .
فصل الخطبة ١٦٧
(ما يُستحبُّ للخطيب : ١٦٨ ، القيام في الخُطَب : ١٧٠ ، خبر عن الحجاج ١٧١ خطبة لواصل بن عطاء : ١٧٢ ، أبو الحسن بن شُريح : ١٧٥ ، في خطبة وداع رمضان : ١٧٦ ، في خطبة أول ذي الحجّة ١٧٧ ، في خطبة عند اختلاف الأزمنة : ١٧٧ ، من خطبة الفصيح للمعرّي : ١٧٨) .
فصل الحكم المُرتجلة والأمثال المرسلة ١٧٩
(الأمثال : ١٨٠ ، الاتساع في استعمال الأمثال : ١٨٢ ، أبو القاسم بن الجدّ : ١٨٣) .
فصل المورّى ١٨٥
(القاضي شُريح : ١٨٥ ، من رسالة الصاهل والشاحج للمعرّي : ١٨٦ ، أبو بكر بن العربيّ : ١٨٨ ، اللُّغز : ١٨٩ . نقول عن المعرّي : ١٨٩ . نقول أُخرى : ١٩٠ ، المورّى في الشعر والنثر : ١٩٢ ، الوزير أبو القاسم بن عبد الغفور جدّ المؤلف : ١٩٤ ، المعتمد بن عباد : ١٩٤) .
فصل المقامات والحكايات ١٩٦
(المقامة الأصفهانية لبديع الزمّان ١٩٦ ، المقامة الكوفية : ١٩٨ ، المقامة الجاحظية : ٢٠٠ ، المقامة البغدادية : ٢٠٢ ، كليلة ودمنة ٢٠٤ ، من كتاب القائف للمعرّي : ٢٠٤) .
فصل التوثيق ٢٠٦
(أبو الحسن بن بسّام : ٢٠٨ ، الفقيه أبو عبد الله بن سليمان : ٢٠٩ ، لأبي إسحاق الصابي : ٢١١ ، من كتاب السجع السلطاني للمؤلف : ٢١٩) .

فصل التأليف ٢٢١
(ضروب التأليف ٢٢٣ ، من كتب أبي العلاء المعري ٢٢٤ ، من كتب الثعالبي : ٢٢٤ ، أبو عبد الله بن أبي العافية شيخ المؤلف : ٢٢٦) .
فصل السجع ٢٢٧
(رأي المؤلف في السجع : ٢٢٨ ، ابن شهيد : ٢٢٩ ، أقسام الكلام المُسَجَّع : ٢٣٠) .
فصل المُنقاد ٢٣٣
فصل المُستَجْلَب ٢٣٤
فصل المُضارع ٢٣٦
فصل المُشْكِل ٢٣٧
(المجيد العسقلاّني ٢٣٧ ، أبو الفتح البستي : ٢٣٩) .
فصل في قوانين الكتابة وآدابها ٢٤٠
(بين المرسِل والمرسَل إليه : ٢٤١ ، الكُنية : ٢٤٢ ، مما يُستحبُّ للكاتب : ٢٤٣ ، التصحيف : ٢٤٥ ، اللحن : ٢٤٥ ، التكرار : ٢٤٦ ، النقد الذاتي : ٢٤٨ ، عليُّ بن بسام الشاعر المشرقي : ٢٤٩) .
خاتمة ٢٥١